الجزء الثالث الجلد الرابع والأربعون

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق
« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

تموز « يوليو » سنة ١٩٦٩ م ربيع الآخر سنة ١٣٨٩ هـ

بقايا الفصاح

تتصرَّف العامَّة في طوائف من الألفاظ الفصيحة تصرفاً عجيبـــاً ، فإمّا أن تنقل معانيها من الحقيقة إلى المجاز وإمّا أن تحوّل هذه المعاني عن وجهها الشريف إلى وجهٍ دنيء ، ثم نراها في كثيرٍ من الأحيان تحافظ على معاني بعض التراكيب فلا تختلف هذه المعاني عمّا كانت عليه قبل ألف سنةٍ ، وقد نجدها تطلق أسماء فصيحة على بعض المسمَّيات إلاّ أن هذه المسمَّيات لا تلبث أن تذهب فتموت الأسماء بذهابها أو تكاد .

فمن الألفاظ التي حوَّلت العامَّة معانيها عن وجهٍ إلى وجهٍ لفظة : الشبرقة ، لقد عاشت هذه اللفظة في لغتنا العامَّة في دمشق حتى يومنا هذا ، ولكنّها لم تعش على أصل معناها فقد تصرَّفت العامَّة في هذا المعنى بعض التصرف ، فمن معاني الشبرقة في اللغة الفصيحـة : نهش البازي الصيدَ

وتمزيقه وقطع الثوب . . . أمّا الشبرقة في لغتنا العامّة فلها معنى آخر ، فالشبرقة أن يشتري الولد من هنا وهنا على سبيل التسلية ، فالأهل يدفعون إلى ولدهم يسيراً من المال ويقولون له اذهب إلى السوق وتشبرق ، أي اذهب واشتر ما يروقك من مأكول أو مشروب ، اذهب وأنفق ما أعطيناك ، فأيّ صلة بين معنى هذه اللفظة الفصيح وبين معناها العامي ، أيّ صلة بين نهش البازي صيده وتمزيقه وبين شراء الولد ما يمرّ به في السوق ، لا نجد في الظاهر شيئاً من هذه الصلة ، ولكن إذا اجتهدنا في الأمر بعض الاجتهاد اهتدينا إلى ظلّ من الصلة على سبيل المجاز ، فكما ينهش البازي صيده ويمزّقه حتّى لا يبقى من هذا الصيد أثر فكذلك ينفق الولد ما دفعه إليه أهله من المال في شراء كذا وكذا حتى لا يبقى من هذا المال شيء ، فكما أن البازي نهش صيده فكذلك الولد نهش ماله أي صرفه كلّه . هذا تعليل قد نصيب فيه أو نخطئ ولكنّا نقبله على ظاهره حتى نهتدي إلى تعليل أقوى .

ومن هذا القبيل لفظة : النشّال الشائعة على ألسن أهل مصر ومعناها : السارق ، فالنشّال في اللغة الفصيحة كشدّاد من يأخذ حرف الجردقة ، وهي الرغيف ، فيغمسه في القدر فيأكله دون أصحابه ومن معاني : نشل الشيء أسرع نزعه ، من هذا يتبيّن لنا أنّ النشّال العامية أصلها فصيح ولكنّ العامّة تصرّفت في معناها فنقلت هذا المعنى من وجه إلى وجه على سبيل المجاز ، فكما أنّ من ينشل الشيء يسرع نزعه ، فكذلك من ينشل الشيء من الثياب يسرع نزعه بحيث لا تقع عليه عين صاحبه ، وكما أنّ النشّال الفصيحة من يأخذ حرف الرغيف فيغمسه في القدر فيأكله دون أصحابه فكذلك النشّال العامية من يأخذ الشيء من ثياب صاحبه فيغمسه في جيبه ويستأثر به ، فالمعنيان الفصيح والعامي متقاربان ولكن هذا التقارب على سبيل المجاز .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن هذا النمط ، وإن كان الأمر يختلف بعض الاختلاف لفظة : الشموذة ، فقد اتسعت العامّة في معنى هذه المادّة وفسحت لآفاقها ، فالشموذة في اللغة خفّة في اليد وأخذ كالسحر يُري الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين وهو : مشعوذ ومشعوِذ ، (بكسر الواو وفتحها) ، إلاّ أنّ العامّة اختارت كسر الواو ولم تكتف بأصل معنى هذه المادّة فقد وسّعت آفاقه ونقلته من معنى ضيق إلى معنى أرحب ، فلجأت إلى المجاز وأطلقت الشموذة على كل نوع من أنواع الخفّة والسحر في السياسة أو العلم أو الدين ونظائر هذه الأمور ، فلم تبق الشموذة في لغة العامّة والخاصّة خفّة في اليد أو أخذاً كالسحر ولكنّها أصبحت خفّة في كثير من الأمور ، فهي خفّة في ستر حقائق الأشياء ، فالشموذ يريك السياسة بغير ما عليه أصلها في رأي العقل وكذلك يريك العلم أو الدين أو ما شابه ذلك ، وإذا كان الشموذ قد يطول أمر شموذته في خفّة يده أو سحره فإن الشموذ في أمور السياسة أو الدين أو العلم قد يفتضح أمره في هذه الخفة وفي هذا السحر فينكشف باطنه وتعرف شموذته ، وما أظن أن لفظاً من الألفاظ أقوى من لفظ الشموذة في الدلالة على هذه الطبقة من الناس .

بقيت لفظة لا تحتاج إلى كثير من التعليل ، فهي عامية ولكن أصلها فصيح ، نقول في لغتنا العامة : فلان ذلق ... أو فلان ذلق لسانه ... ونحن نريد بقولنا هذا أن فلاناً كان يكتم عنّا أشياء ولا يريد أن يبوح بها إلاّ أنه في خلال حديثه قد تخونه الذاكرة فيبوح بما كان يكتمه فنقول : فلان ذلق فقال كذا وكذا ... وقد تعدّي العامّة هذه المادّة وتستعمل الفعل المشدّد فتقول : ذلّقه حتى قال كذا وكذا ... ماذا نجد في اللغة ، إنّا نجد : ذلق اللسان كفرح ذرب فهو ذلق وأذلق ... وذلق اللسان كنصر وكرم فهو ذليق وذلق بالفتح إلى آخر ما جاء من مشتقات هذا الفعل ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فاللسان الذليق هو اللسان الحديد ، البليغ ، ثم نجد معنى أذلقه : أقلقه وأضعفه ، ولا نريد التوسع أكثر من ذلك في معاني هذه المادّة ، فالقول العامي : ذلق فلان فقال كذا وكذا .. لا يطابق القول الفصيح : ذلق اللسان فهو ذليق بمعنى بليغ ولكن قول العامّة : ذلّقه فقال كذا وكذا . . . لا يبعد كثيراً عن أذلقه بمعنى : أقلقه وأضعفه ، فقد يأتي بعد هذا الإقلاق أو هذا الإضعاف حمل الإنسان على البوح بما يكتم ويؤيد ذلك ما جاء في كتاب الأغاني في الكلام على وقعة بدر ، فقد قبض على غلامين اعترفا بأنهما سقاة لقريش ولكن القوم رجوا أن يكون الغلامان لأبي سفيان فضربوهما ، فلمّا أذلقوهما قالا : نحن لأبي سفيان إلى آخر ما جاء في هذا الخبر ، فالذي يهمنا منه إنما هو فعل : أذلقوهما وما أدّى إليه هذا الإذلاق ، أي هذا الإقلاق والإضعاف ، فقد أدّى إلى الاعتراف بما يرضي الذين ضربوا الغلامين ، وإن كانت بقية الخبر تدلّ على أن الغلامين كانا صادقين فيها لقريش وليسا لأبي سفيان .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فإذا رجعنا إلى قول العامة : ذلّقه فقال كذا وكذا . . . وجدنا شيئاً من التقارب بين القول العامي والقول الفصيح ، والفرق بينها أن العامّة تستعمل : ذلّقه بالتشديد ، واللغة الفصيحة تستعمل : أذلقه ، ومها يكن من الأمر فإن الإذلاق أو التذليق إنما نتيجته البوح بما هو مكتوم سواء أوقع الإقلاق والإضعاف أو لم يقع .

وإذا انتقلنا من هذه الطبقة من الألفاظ إلى طبقة ثانية وجدنا أن العامّة قد تتصرف في بعض المعاني أقبح تصرّف ، فمن الألفاظ الفصيحة لفظة : العِلق ، (بكسر العين وتسكين اللام) ، ومعناها في اللغة : النفيس من كل شيء ، والجمع : أعلاق وعلوق ، إلاّ أن هذه اللفظة لم يبق لها في لغة العامّة معناها الفصيح ، فقد تصرفت فيها أسوأ تصرّف فأطلقت العلق

على كل مخنّث أو متنفّج من الناس ، وهي تريد به أقبح الذم ، ولا يسرّ أحداً أن يقال فيه أنه علق ، واختارت العامة من صيغة الجمع : العلوق وطرحت الأعلاق في لغتها ، فإذا قالت في جماعة من القوم أنهم علوق فقد بلغت من قبح تصويرهم في المجتمع كلّ مبلغ ، وهكذا نجد أن بعض الألفاظ الفصيحة قد تنحدر في لغة العامّة من أفقها الأعلى إلى الأفق الأدنى .

وإذا كانت العامّة قد تتصرّف في بعض الأوقات في معاني فئةٍ من الألفاظ فإنها قد تحافظ في كثيرٍ من الأحيان على معاني تراكيب فصيحة استعملت في قديم أدبنا ، من هذه التراكيب : فلان يدي ورجلي ... الكلام معك ضائع ... يتعلّم الحجامة على رؤوس اليتامى والمساكين .

نجد في الأغاني في أخبار منصور النمري هذه العبارة : استقبلت منصوراً النمري يوماً من الأيام فرأيته منموماً ، واجماً ، كئيباً فقلت له : ما خبرك ، فقال : تركت امرأتي تطلق وقد عسر عليها ولادها ، وهي يدي ورجلي والقيّمة بأمري وأمر منزلي .... فهذه العبارة : فلان يدي ورجلي لا تزال مستفيضة في لغة العامّة ، وقوّتها ظاهرة ومعناها جزل ، فالذي يكون يدك ورجلك في أمورك إنما هو المعوّل عليه في هذه الأمور ، لا تستطيع أن تعمل عملاً دونه ، وهل يستطيع أن يتحرّك من لا يدَ له ولا رجل ، وهكذا نجد أن التراكيب السهلة ذات المعنى الخصب قد تعيش دهراً طويلاً في لغة العامّة فضلاً عن لغة الخاصة .

ومثل هذا التركيب في القوة قولنا : الكلام معك ضائع ... في أخبار حمّاد الراوية في الأغاني أن الطرمّاحَ أنشده قصيدة في مسجد الكوفة ، فلمّا سمعها حمّاد ادّعاها ونفاها عن الطرمّاح ، فطال الكلام بينهما في هذا الشأن حتى قال الطرمّاح لحمّاد : أنت رجل ماجن ، والكلام معك ضائع .

قد يشتدّ النزاع بين رجلين وقد يكون أحدهما على حقٍ فيحاول أن يقنع الآخر بالحجة ، أو أن يوبّخه إن كان يستلزم التوبيخ أو أن يدخل على ذهنه فكراً من الأفكار فيجده كأنه حائط ، لا يقنع ولا يلين ولا يأخذ بالصواب ، فتنفد حيلته معه فلا يهتدي إلى سبيل من السبل في ردّه إلى الصواب ، فلا يجد في مثل هذه الحال أبلغ من قوله : الكلام معك ضائع ... فلا الحجة تنفع ولا التوبيخ يفيد ولا المنطق ينجح ، فكل أمرٍ من هذه الأمور ونظرائها لا طائل فيه ، فالكلام مع هذا الرجل ضائع ، فهذه العبارة تغني عن كل حجة وعن كل توبيخ وعن كل منطق فضلاً عن أنها تجنبنا كل عاقبة غير محمودة ، فما أحسن شيوعها على ألسن العامّة والخاصة حتى يومنا هذا .

أمّا التركيب الأخير : فلان يتعلّم الحجامة على رؤوس اليتامى والمساكين فلا تقلّ قوّته عن أخويه ، نقرأ في الأغاني في نسب أبي العتاهية وأخباره أن أبا العتاهية لمّا تنسك جلس يحجم اليتامى والفقراء ليضع من نفسه وليكتسب الثواب وهو لا يعرف ما يحتاج إليه كل واحدٍ من الناس إلى أن يخرجه من الدم على قدر طبعه ممّا إذا زاد فيه أو نقص منه ضرّ المحجوم ، فقال بشر لأبي العتاهية : ما أراك إلاّ أردت أن تتعلّم الحجامة على أقفاء اليتامى والمساكين !

هذه العبارة شائعة على ألسن الناس ، عامّتهم وخاصّتهم ، إلاّ أنهم يستعملون الرؤوس بدلاً من الأقفاء ، فقد يتطاول أحدنا لأمرٍ من الأمور ولم يأخذ لهذا الأمر عدّته ولا هيّأ له أسبابه ولا عرف مصادره وموارده ، ومع هذا فهو يدّعي العلم بهذا الأمر فيمارسه على جهله به والله أعلم بما يتمّ فيه على يده من الأذى ، ولكنّه يريد أن يتعلّم الحجامة على رؤوس اليتامى .

ولا أريد أن أختم هذا المقال دون الإشارة إلى لفظة قد تدلنا على موت الألفاظ ، فإن للألفاظ حياة ، إن لها ميلاداً وموتاً ، من الألفاظ الشائعة في بنياننا لفظة : المشرقة ، فالمشرقة ، مثلثة الراء ، موضع القعود في الشمس بالشتاء ، وقد حافظت العامّة على هذا المعنى في لغتها ، فلم تنحرف هذه اللفظة عن معناها الفصيح ، وإذا كانت المشرقة مثلثة الراء فإن العامّة اختارت فتح الراء في كلامها ، إلاّ أن هذه اللفظة التي عاشت في دمشق زمناً طويلاً قد أوشكت أن تموت ، والسبب في ذلك عمراننا الحديث ، فالدور القديمة لها مشرقات ، وكان أهل هذه الدور يقعدون فيها بالشتاء للدفء أو ينشرون فيها غسيلهم ، فهي من أصل الدور وهي غير سطوح الدور ، ولكن عمراننا الحديث قد خلا من هذه المشرقات فأكثر الأبنية أصبحت ذات طبقات وكلّ طابق خالٍ من المشرقة ما خلا الطابق الأعلى فإن له مسطحاً فأهله يقولون : السطح ولا يقولون : المشرقة ، وعلى هذا نجد أن هذه اللفظة التي لا تزال تعيش في حارات دمشق القديمة قد ماتت في الحارات التي استفحل فيها العمران الحديث .

شفيق جبري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فقيد العروبة

الأستاذ الكبير ساطع الحصري

مجمعي افتقدناه

فقيد العروبة

الأستاذ ساطع الحصري

في صبيحة يوم الثلاثاء الواقـــع في الخامس من شوال سنة ١٣٨٨ هـ الموافق لـ ٢٤ كانون الأول سنة ١٩٦٨ م، روّع العالمَ العربي صوت من بغداد ينعى إليه الأستاذ الكبير ساطعاً الحصري ، وكان لهذا الصوت صدىً حزن وألم عمّ أرجاء الوطن العربي كافة ، فقد خسر العرب بوفاته واحداً من أكبر علماء التربية والتعليم لديهم ، وفقدوا رائداً من **أقدم رواد النهضة العربية الحديثة** ، وداعية من أشد الدعاة إخلاصاً للفكرة العربية البنّاءة ، ومناضلاً من أشد المناضلين حماسة في الدفاع عن « **القومية العربية المعاصرة** » أفنى سمعه وبدد ضياء عينيه في تأريخ « **الثورة العربية** » ، وتحديد معنى « **القومية العربية** » وفي الدفاع عنها بالتصدي لكل من خطّ حرفاً ليس في صالحها ، أو فاه بكلمة ليست في جانبها ، أو صدرت عنه حركة قد تسيء إليها ، كان صلباً في عقيدته ، لا تخلو ردوده أحياناً من قسوة ، كما كان ثابتاً على رأيه ، يندر أن يتزعزع في مواقف الدفاع ، ولو تحالف عليه كل الأقوياء سواء بمراكزهم أو بجبهم له أو بتقديره إياهم ، وقد حلا للكثيرين من الكتاب ورجال الصحافة إطلاق لقب « **أبو العروبة** » عليه ، فقد عاش مؤمناً بالعروبة ، منافحاً عن الأصالة العربية ، ومات عن ثروة ضخمة من المؤلفات حاول فيها ترسيخ مفهومه للقومية العربية ، وإفحام خصومها من شعوبيين أو من عرب تائهين .

ولقد خسر **مجمع اللغة العربية بدمشق** بموت الأستاذ ساطع الحصري، **عضواً من أبرز أعضائه العاملين**، فقد انتخبه المجمع في الجلسة التي عقدها في ١٧ من شباط (فبراير) سنة ١٩٥٥ م عضواً تقديراً لمكانته العلمية، واعترافاً بما أداه للعربية من خدمات بآرائه الصائبة ومقترحاته المفيدة، وقد صدر مرسوم جمهوري بتاريخ ٢٤ نيسان (أبريل) ١٩٥٥ م.

رحم الله فقيدنا الكبير رحمة واسعة، فقد كان **علماً من أعلام الفكر العربي المعاصر**، وفيما يلي نبذة عن نشأته وحياته وآثاره.

★ ★ ★

نشأته وحياته

كان **محمد** هلال الحصري، من أهالي مدينة **حلب في شمالي سورية**، قد قضى شطراً من شبابه في مصر يدرس في الجامع الأزهر علوم الشريعة والعربية، فلما أجيز، عين قاضياً في مدينة دير الزور ثم نقل إلى مدينة حماة السوريتين، ثم عين **رئيساً لمحكمة استئناف ولاية اليمن**، وفي مدينة **صنعاء** أقام القاضي الجديد سنة أو تزيد، فلما كان الخامس من شهر آب (أغسطس) عام ١٨٨٠ ميلادية الموافق لسنة ١٢٩٧ للهجرة، ولد له فيها غلام أسماه «**ساطعاً**».

لم يقم محمد هلال الحصري الحلبي في صنعاء، أكثر من سنتين نقل بعدها إلى أضنة ثم إلى أنقرة **من بلاد الأناضول**، فإلى طرابلس الغرب **في ليبيا**، ثم أعيد ثانية إلى **اليمن**، فإلى قونية **في تركية**، فثانية إلى **طرابلس الغرب**، وهكذا كان الموظفون في الدولة العثمانية لا يستقر أحدهم في وظيفة عين فيها أكثر من **سنتين** على الأعم الأغلب، وكثيراً ما كان أطفال هؤلاء الموظفين يتنقلون مع آبائهم كما وقع **لساطع وليد الحصري الحلبي**.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعندما انتقلت وظيفة القاضي الحصري إلى طرابلس الغرب للمرة الثانية سنة ١٨٩٣ م ، كان ساطع ، **الذي فاتته الدراسة الابتدائية النظامية** ، قد استطاع بجهده الشخصي واجتهاده الشديد ، دخول القسم الإعدادي من «**المدرسة الملكية الشاهانية**» في استانبول . فتركته الأسرة المسافرة إلى ليبيا تلميذاً داخلياً في هذه المدرسة ، على أن يلحق بها في العطلة الصيفية ، وقد لحق بها في عطلة أول سنة ، ولما كانت عطلة السنة الثانية ، لحق بأسرته وهي في بني غازي حيث كان أخوه الأكبر يتولى وظيفة النيابة العامة فيها ، ولم تأت عطلة السنة الثالثة ، إلا وكانت وظيفة رب الأسرة قد انتقلت إلى استانبول، **فاستراحت** واستراح الشاب الساطع ، واستطاع أن يكمل دراسته العالية في المدرسة الملكية سنة ١٩٠٠ م **بتفوق ملحوظ** .

عين ساطع الحصري ، بعد تخرجه مباشرة ، **مدرساً للعلوم الطبيعية** في إعدادية (يانيا) عاصمة مقاطعة **أبيروس** وهي اليوم جزء من دولة اليونان ، فظل في هذه المدرسة إلى سنة ١٩٠٥ م . وخلال مدة السنوات الثلاث الأخيرة من إقامته في يانيا عين «**مأمور معية**» ، إذ كان أمثاله يعينون كذلك تمهيداً لتعيينهم في **الوظائف الإدارية** ، مع السماح له بتدريس بعض ما كان يتولى تدريسه .

وفي سنة ١٩٠٥ م عين ساطع الحصري **قائمقاماً** لقضاء (**رادو ويشته**) في ولاية قوصوة ، ذي الأكثرية البلغارية ، وكان القضاء سياسياً في المنطقة النمساوية من **المراقبة الدولية** التي كانت قد فرضت على ولايات ما كدونيا الثلاث ، ثم نقل ساطع قائمقاماً لقضاء (**فلورينه**) في ولاية **مناستر** ، وكان هذا القضاء في المنطقة الإيطالية من المراقبة الدولية .

بقي ساطع الحصري قائمقاماً في (فلورينه) حتى الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨ م ، **ولما كان هواه مع الانقلابيين** ، عهدوا إليه يوم إعلان الدستور بمهمة شرح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أهدافهم في عاصمة الولاية « مناستر » فقام يخطب في الجماهير يحمسهم **لتأييد الانقلاب** ، وفي وفود المهنئين به **يشكرهم على تهانيهم** .

ولم يمض على إعلان الدستور شهران ، إلا وأحب ساطع الحصري العودة إلى العاصمة ، فترك الوظائف الإدارية ، **راغباً في العودة إلى تولي التعليم في المعاهد العالية** ، فكان بدءاً من نهاية عام ١٩٠٨ م : أستاذاً للتربية في جامعة استانبول (**دار الفنون**) وأستاذاً لعلم الأقوام في المدرسة الملكية الشاهانية ، وقد أطلق عليها فيما بعد اسم « **مدرسة العلوم الإدارية والسياسية** » ، وأستاذاً لعلمي التربية والاجتماع في مدرسة (**دار الخلافة العلية**) وفي (**دار المعلمين العالية**) .

وقبل أن ينقضي عام ١٩٠٩ م ، عين ساطع الحصري **مديراً لدار المعلمين** ، فأحدث تعيينه هزة كبيرة في الدار ، إذ أعقبه حدوث انقلاب جذري في نظامها **وأصول** التدريس فيها ، وإقامة نظام جديد مبني على أحدث أساليب التعليم ، مما كان له أثر كبير في تبديل اتجاهات التعليم في **جميع ممالك الدولة العثمانية** .

وقام ساطع الحصري أثناء توليه مديرية (**دار المعلمين**) بتأسيس مدرسة أطلق عليها اسم (**المدرسة الحديثة**) متبعاً في أنظمتها **أحدث أساليب التربية والتعليم** التي عرفتها البلاد الأوربية .

احتل ساطع الحصري ، بما قام به من تبديل في نظم التربية والتعليم وبما نشره من مؤلفات ومقالات ، **مكانة عالية في الدولة العثمانية** وتمتع بمركز علمي مرموق ، وأخذ اسمه مقروناً بالتقدير يتردد في كل المحافل العلمية والتربوية ، وقد انتخب عضواً في « **جمعية المطبوعات العثمانية** » منذ يوم تأسيسها ، وكان من آخر المراكز التي تبوأها في العهد العثماني رياسة « **مؤتمر المطبوعات** » .

ظل ساطع الحصري يعمل ويدأب في إصلاح نظم التربية والتعليم في الدولة العثمانية ، حتى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ م ، ولكنه ماكاد يسمع أنباء جلاء الأتراك عن دمشق ودخول الجيش العربي إليها ، **إلا وتطلع إلى هذه الدولة الفتية تقوم في دمشق بعد زمن طويل من سقوط الدولة العربية الكبرى** ، فما أن تلقى إشارة تدعوه الحكومة العربية بها إلى سورية ، حتى غادر استانبول ، رغم ما عرضه عليه الأتراك للبقاء في منصبه ، **ووصل دمشق** في مطلع عام ١٩١٩ م ، فبادرت الحكومة العربية فيها إلى تكليفه بالإشراف على معارف الدولة فكان على التوالي :

١ — **مفتشاً عاماً للمعارف** في سورية ، من تاريخ ١٩١٩/٤/١٦ حتى ١٩١٩/٤/٣٠ م .

٢ — **مديراً عاماً للمعارف** في سورية ، من تاريخ ١٩١٩/٥/١ حتى ١٩٢٠/٣/٩ م .

ويوم أعلن المؤتمر السوري **استقلال سورية** ووضع **دستورها الأول الملكي** بتاريخ ٨ آذار (مارس) ١٩٢٠ م ، قامت في دمشق أول حكومة عربية دستورية ، واختير ساطع الحصري **وزيراً للمعارف** فيها ، فمارس مهام الوزارة من تاريخ ١٩٢٠/٣/١٠ حتى تاريخ ١٩٢٠/٧/٢٧ م ، يوم احتل الجيش الفرنسي دمشق ليفرض على الشعب السوري ما أسمته عصبة الأمم بـ « **الانتداب** » .

غادر ساطع الحصري سورية مع مليكها المبعد عن العرش **فيصل الأول** ، مرافقاً مليكه في رحلاته التي انتهت به **ملكاً على العراق** ، وفي بغداد تولى الحصري المناصب التالية :

١ — معاون وزير المعارف من تاريخ ١٩٢٢/٣/٥ إلى ١٩٢٣/١/١٧ م .

٢ — مدير المعارف العام من تاريخ ١٩٢٣/١/١٧ إلى ١٩٢٧/٨/٣١ م .

٣ — أستاذ علم التربية في دار المعلمين العالية من تاريخ ١٩٢٧/٩/١ حتى ١٩٣١/١٠/١ م .

٤ — مراقب التعليم العام من تاريخ ١٩٣١/١٠/١ حتى ١٩٣١/١٢/٢٢ م .

٥ — عميد كلية الحقوق من تاريخ ١٩٣١/١٢/٢٣ حتى ١٩٣٤/١٠/١١ م .

٦ — عميد كلية الحقوق ومدير الآثار القديمة من تاريخ ١٩٣٤/١٠/١٢ حتى ١٩٣٥/٩/١٦ م .

٧ — مدير الآثار القديمة ومراقب التربية والتدريس العام، من تاريخ ١٩٣٥/٩/١٦ حتى ١٩٣٦/٩/١٢ م .

٨ — مدير الآثار القديمة من تاريخ ١٩٣٦/٩/١٣ ، وظل يتولى هذا المنصب حتى الحادي عشر من حزيران (يونيو) سنة ١٩٤١ م ، يوم أبلغت الحكومة العراقية ، التي ألفت عقب فشل الثورة ضد الانكليز ، ساطعاً الحصري مدير الآثار القديمة ، **قراراً بنزع الجنسية العراقية عنه بوصفه سوري الأصل** ، وبضرورة مغادرته الأراضي العراقية ، فغادرها باليوم نفسه ووصل مدينة بيروت وفيها أقام أربع سنوات .

وفي أعقاب جلاء الجيوش الفرنسية عن سورية سنة ١٩٤٥ م ، قامت الحكومة السورية بتكليف ساطع الحصري بمهمة الإشراف على **إعادة تنظيم المعارف** ، وعينته **مشاوراً فنياً لها** لشؤون التربية والتعليم ، وظل يقوم بهذه المهمة ثلاث سنوات .

وفي ٢٥ شباط (فبراير) ١٩٤٧ م ، دعته وزارة المعارف المصرية لإلقاء محاضرات في **اجتماعيات التربية** في معهد التربية في القاهرة ، فاستمر يلقي المحاضرات في هذا المعهد مدة ثلاث سنوات أيضاً ، قامت خلالها جامعة الدول العربية بترشيحه لمنصب **المشاور الفني للادارة الثقافية** ، فشغل هذا المنصب من أول سنة ١٩٤٧ م ، بما عرف فيه من دأب على العمل وإخلاص فيه ،

حتى نهاية عام ١٩٥٠ م ، إذ بدا له أن يستقيل منه فاستقال . على أنه قبل عرض الإدارة الثقافية بأن **يدير معهد الدراسات العربية العالية** ، الذي قررت جامعة الدول العربية بمساعيه افتتاحه في القاهرة ، واستلم إدارة المعهد اعتباراً من أول نيسان (أبريل) سنة ١٩٥٣ م ، متولياً فيه كرسي « **القومية العربية** » . وفي سنة ١٩٥٦ استقال من إدارة المعهد ، ولم تمض سنة دراسية واحدة بعد ذلك حتى قرر ترك المعهد نهائياً ، **لأنه لم يستطع تطبيق جميع ما يدين به من آراء** ، فاستقال من التدريس أيضاً .

هذا وكانت الحكومة العربية السعودية قد كلفته خلال سنة ١٩٥٤ م ، **بدراسة أحوال المعارف في المملكة** ، وتقديم **تقرير عن وسائل إصلاحها** ، فقام بهذا الواجب خير قيام ضمن الحدود المرسومة وبحسب ما رآه مفيداً .

الدراسات التي استهوت الفقيد ونبغ فيها

عندما كان ساطع الحصري في « المدرسة الملكية الشاهانية » في استانبول ، لم يكن يرضى لنفسه الاكتفاء بالمحاضرات النظامية تلقى عليه ، وبالكتب المحددة المطلوبة منه ، فقد خُلق **شديد الرغبة بالمعرفة والتقصي** ، محباً للدراسة **والتحصيل** ، **مولعاً بالعلوم الرياضية** ، مندفعاً وراء كشف دقائقها ، فأخذ يلتهم كل ما تقع عليه يده من كتب ومجلات تبحث فيها ، مستعيراً من أصدقائه طلاب مدرستي الهندسة والأركان الكتب المقررة عليهم ، وبدأ يُعرف بقدرته على حل **العويص من مسائل الرياضيات العالية** ، فأطلق عليه رفاقه اسم « **آرشيمد** » ، وبه اشتهر مدة طويلة من الزمن .

وكما أولع ساطع الحصري بالعلوم الرياضية ، أولع **بالعلوم الطبيعية** ، واستهواه تشريح الحيوانات وتحنيطها ، فأتقن ذلك ، حتى كان في طليعة ما يفعله في المدارس التي تولى إدارتها ، إنشاء **متاحف للتاريخ الطبيعي** فيها .

ومن العلوم التي استهوت فقيدنا أيضاً ، **علوم النفس والتربية والاجتماع** ، فأخذ يتبحر فيها ويغوص وراء مشاكلها ، حتى غدا **أستاذها الذي يشار إليه بالبنان** في استانبول يوم كان فيها ، **وعميد أساتيذها** في أرجاء العالم العربي فيما بعد .

ومما ساعد ساطعاً ، في إتقان هواياته وإتقان أبحاثها ودقائقها ، **الرحلات الدراسية التي قام بها إلى البلاد الأوروبية** خلال أعوام ١٩١٠ — ١٩١٧ م ، فقد زار كلاً من إيطالية وسويسرة وفرنسة وانكلترة وبلجيكا وهولندة وألمانية ورومانية وبلغارية ، دارساً في كل منها **نظم التربية والتعليم** المطبقة والعيوب التي يُشكى منها ، والاتجاهات الحديثة التي يفكر فيها المصلحون في مختلف البلاد المذكورة .

اشترك ساطع الحصري في **المؤتمر الدولي** الثاني **للتربية الأخلاقية** في لاهاي سنة ١٩١٢ م ، وكان من أعضاء عمدة معهد جان **جاك روسو** الذي أسس في صيف السنة نفسها ، كما اشترك في **المؤتمر الدولي لعلم الاجتماع** في استانبول سنة ١٩٣٢ م ، ممثلاً لدولة العراق ، كما مثله في **المؤتمر الدولي للحفريات الأثرية** في القاهرة سنة ١٩٣٧ م . وقد جرى انتخابه سنة ١٩٤٨ م عضواً في **لجنة المتاحف الدائمة** المنبثقة عن اللجنة الدولية للتعاون الفكري .

★ ★ ★

مؤلفات الفقيد وآثاره

كان الفقيد من أكثر المفكرين العرب تدويناً لدراساته وبحوثه وآرائه والحوادث التي وقعت معه ، وقد نشر أكثرها كتباً يتداولها الناس ، إلى جانب العديد من مؤلفاته في مختلف العلوم والفنون .

كانت آثار فقيدنا المطبوعة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ م ، مكتوبة **بالتركية اللغة الرسمية للدولة العثمانية** ، وهي تنقسم إلى قسمين بحسب زمن كتابتها :

القسم الأول : آثاره قبل إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ م

وهي عبارة عن سلسلة من الكتب المدرسية في عديد من العلوم الطبيعية، وكانت وزارة المعارف العثمانية قررت تدريسها في جميع أنحاء الدولة، وتبين موضوعاتها من العناوين التالية :

١ — معلومات زراعية ؛ ٢ — دروس الأشياء (**المدارس الابتدائية**) .

٣ — علم الحيوان ؛ ٤ — علم النبات ؛ ٥ — تطبيقات زراعية (**المدارس الثانوية**) .

وللفقيد **مقالات كثيرة** في مسائل عملية، وفي وصف مخترعات حديثة، نشرت له في المجلات العلمية والأدبية، وعناوين بعضها كالتالي :

نحو القطب — التلغراف اللاسلكي — الأشعة المجهولة — الحياة في المناجم — مناظر الغروب : في الأرض، وفي الكواكب .

القسم الثاني : آثاره بعد إعلان الدستور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أ — الكتب التي ألفها الفقيد

١ — كتاب « **فن التربية** »، ويشتمل على مجموعة دروسه في دار المعلمين وهو في مجلدين .

٢ — « **اتنوغرافيا** » [علم الأقوام]، وهو كتاب يشتمل على مجموعة دروسه في المدرسة الملكية .

٣ - « **تقاريري** » [لايحه لرم]، وهي عبارة عن كتاب يتضمن **مجموعة** التقارير التي قدمها إلى وزارة المعارف، بعد عودته من رحلته الدراسية الأولى سنة ١٩١٠ م .

٤ — «**الوطن**» وهو كتاب يتضمن مجموعة محاضرات في الوطنية والتربية الوطنية .

٥ — « **الأمل والعزم** »، وهو كتاب يتضمن مجموعة محاضرات .

٦ — « **اليابان واليابانيون** »، عنوان محاضرة عن نهضة اليابان وعواملها .

م (٢)

ب — المجلات التي عمل الفقيد على إصدارها :

١ — « أنوار العلوم » ، وهي مجلة في العلوم والكشوف العلمية ، وقد صدر منها مجلد واحد .

٢ — « التدريسات الابتدائية » ، مجلة تعليمية صدر منها ثلاثة مجلدات .

٣ — « مجلة التربية » ، صدر منها عشرة أعداد فقط ، وكانت الأربعة الأولى مصورة .

ج — المقالات التي دبجها الفقيد :

اشتهر الفقيد بالمقالات الكثيرة التي كان ينشرها في مختلف الصحف والمجلات ، منتهزاً أي مناسبة يستطيع فيها أن يدلي برأيه ، أو يدافع عن مبادئه أو يشرح فيها أفكاره وعقيدته .

وليس من السهل على المرء تقصي كل ما كتبه الفقيد ونشره ، على أن معظم مقالاته كانت تربوية واجتماعية ، وكان قسم كبير منها نقداً أو دراسة للقضايا الإصلاحية الكبرى ، وبعضها كان سياسياً ؛ وكان من أهم المقالات التي نشرها في العهد العثماني ، وكان لها صداها في الرأي العام المقالات التالية :

١ — آثار الاستبداد وبذوره الباقية (أربع مقالات متتابعة) .

٢ — في سبيل إصلاح المعارف .

٣ — نظرية شجرة الطوبى والتفكير العلمي .

٤ — دوركهايم ونظرياته الاجتماعية (نقد) .

٥ — دفاع عن مدحت باشا .

٦ — قضايا التنظيمات .

٧ — معرض تورينو وطرابلس الغرب .

٨ — خطاب إلى طلعت بك .

ARCHIVE

ومما تجدر الإشارة إليه ، أن الفقيد نشر مقالات عديدة خلال سنتي ١٩٠٨ و ١٩٠٩ م في مجلة « نيّر حقيقت » ، التي كانت تصدر في مناستر ، بصورة سرية قبل إعلان الدستور ، وبصورة علنية بعد إعلانه ، وظل الفقيد يراسلها ويكتب فيها إلى ما بعد انتقاله إلى استانبول .

★ ★ ★

أما آثار الفقيد التي تؤلف ثروة ضخمة للمكتبة العربية ، فهي على نوعين أيضاً :

النوع الأول : ١ ــ مقالات منشورة في مختلف صحف ومجلات البلاد العربية ، ضمن الفترات الزمنية التالية :

أ ــ خلال وجود الفقيد في سورية (١٩١٩ ــ ١٩٢٠ م) ، وقد عمل على إصدار مجلة باسم « التربية والتعليم » نشر فيها عدة مقالات تربوية ووطنية .

ب ــ خلال وجود الفقيد في العراق (١٩٣٢ ــ ١٩٤١ م) وقد عمل على إصدار مجلة باسم « التربية والتعليم » أيضاً ، وصدر منها خمسة مجلدات بين سنتي ١٩٢٨ و ١٩٣١ م ، وفيها كثير من المقالات والبحوث القيمة التي كتبها الفقيد .

جـ ــ بعد إخراج الفقيد من العراق ، وقبل إقامته في مصر ، نشر كثيراً من المقالات والمحاضرات والأبحاث وقد جمع أكثرها في كتب مستقلة ، وكانت صحف بيروت ودمشق والقاهرة ومجلاتها ، ومجلة « الرسالة » في طليعتها ، هي الميدان الذي كان فقيدنا يناضل على صفحاتها .

د ــ بعد استقرار الفقيد في القاهرة ، أخذ بنشر آرائه ودراساته نشراً منظماً ، كوّن أهم مؤلفاته القيمة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النوع الثاني : — الكتب ، وفيما يلي ثبت بما عرفناه منها :

١ — « **القراءة الخلدونية** » (الألفباء) .

٢ — « **مرشد القراءة الخلدونية** » (طريقة تعليم الألفباء) .

٣ — « **مساعد القراءة الخلدونية** » .

٤ — « **دروس الأشياء** » ، في أربعة أجزاء .

٥ — « **أصول التدريس** » و « **أصول تدريس اللغة العربية** » ؛ كل بحث في جزء .

٦ — « **رسائل إلى بول مونرو** » ، نظرات نقد لتقرير مونرو عن معارف العراق .

٧ — « الإحصاء » ، مجموعة محاضرات في كلية حقوق **بغداد** .

٨ — « **آراء وأحاديث في التربية والتعليم** » .

٩ — « **آراء وأحاديث في الوطنية والقومية** » ، وهذا الكتاب والذي قبله تضمنا مجموعة مختارة من المقالات والمحاضرات التي نشرها الفقيد في مختلف الصحف والمجلات ، وقد طبعا في القاهرة سنة ١٩٤٤ م .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٠ — « **دراسات عن مقدمة ابن خلدون** » نشرت أولاً في بيروت سنة ١٩٤٤ ، ثم أعيد طبعها منقحة مزيدة في القاهرة سنة ١٩٥٣ م .

١١ — « **يوم ميسلون** » ، مذكرات الفقيد عن الأيام الأخيرة للدولة العربية السورية سنة ١٩٢٠ م . وقد طبع في بيروت أكثر من مرة .

١٢ — « **تقارير** » ، وتتضمن دراسة مستفيضة حول المعارف في سورية ، صدرت في جزأين طبعا في دمشق ، الأول سنة ١٩٤٤ والثاني ١٩٤٥م .

١٣ — « **صفحات من الماضي القريب** » وقد طبع في بيروت سنة ١٩٤٨ م .

١٤ — « **آراء وأحاديث في العلم والأخلاق والثقافة** » ، طبع في القاهرة سنة ١٩٥١ م .

١٥ — « آراء وأحاديث في التربية والاجتماع » ، طبع في القاهرة سنة ١٩٥٢ م .

١٦ — « آراء وأحاديث في القومية العربية » ، طبع في القاهرة سنة ١٩٥١ م وأعيد طبعه في بيروت للمرة الرابعة .

١٧ — « العروبة بين دعاتها ومعارضيها » ، طبع المرة الأولى في بيروت سنة ١٩٥٢ م .

١٨ — « محاضرات في نشوء الفكرة القومية » ، طبع لأول مرة في القاهرة سنة ١٩٥١ م ، وأعيد طبعه في بيروت للمرة الخامسة .

١٩ — « العروبة أولاً » ، طبع المرة الأولى في بيروت سنة ١٩٥٥ م . ثم أعيد طبعه فيها أيضاً للمرة الخامسة .

٢٠ — « دفاع عن العروبة » ، طبع المرة الأولى في بيروت سنة ١٩٥٦ م . وقد أعيد طبعه فيها للمرة الثالثة سنة ١٩٦٨ م .

٢١ — « آراء وأحاديث في اللغة والأدب » طبع في بيروت سنة ١٩٥٨ م .

٢٢ — « المحاضرة الافتتاحية » في معهد الدراسات العربية العالية ، طبعت في القاهرة سنة ١٩٥٣ م .

٢٣ — « البلاد العربية والدولة العثمانية » ، طبع للمرة الأولى في القاهرة سنة ١٩٥٧ م ، وأعيد طبعه للمرة الثالثة في بيروت طبعة مزيدة ومنقحة .

٢٤ — « حوليات الثقافة العربية » ، وهي مجموعة دراسات وإحصائيات عن الثقافة العربية في أرجاء الوطن العربي ، صدرت منها الأجزاء التالية :

١ — السنة الأولى : عن السنوات التي سبقت ١٩٤٩ — ١٩٥٠ وطبعت في القاهرة سنة ١٩٥٠ م .

٢ — السنة الثانيـــة : عن سنة ١٩٥٠ – ١٩٥١ ، وقد طبعت في القاهرة سنة ١٩٥٢ م .

٣ — السنة الثالثة : عن سنة ١٩٥١ — ١٩٥٢ ، وقـــد طبعت في القاهرة سنة ١٩٥٣ م .

٤ — السنة الرابعة : عن سنة ١٩٥٢ — ١٩٥٣ ، وقـــد طبعت في القاهرة سنة ١٩٥٤ م .

٥ — السنة الخامسة : فيها صلة ما انقطع حتى سنة ١٩٥٧ ، وقد طبعت في القاهرة سنة ١٩٥٧ م .

٢٥ — « **البلاد العربية منذ ظهور الإسلام** » ، خريطة زمنية طبعت في القاهرة سنة ١٩٥٤ م .

٢٦ — « **آراء وأحاديث في الوطنية والقومية** » ، وقد طبعته دار العلم للملايين في بيروت للمرة الخامسة سنة ١٩٦٦ م .

٢٧ — « **حول الوحدة الثقافة العربية** » ، وقد طبع في بيروت .

٢٨ — « **ماهي القومية** » ، وقد طبعته دار العلم للملايين في بيروت للمرة الثانية .

٢٩ — « **الاقليمية .. جذورها وبذورها** » ، وقد طبعته دار العلم للملايين في بيروت للمرة الثانية سنة ١٩٦٥ م .

٣٠ — « **حول القومية العربية** » ، وقد طبعته دار العلم للملايين في بيروت سنة ١٩٦٧ م .

٣١ — « **ثقافتنا في جامعة الدول العربية** » ، وقد طبع في بيروت .

٣٢ — « **مذكراتي في العراق** » الجزء الأول وفيه حوادث سنة ١٩٢١ حتى ١٩٢٧ م ، وقد طبعته دار الطليعة في بيروت سنة ١٩٦٧ م .

٣٣ — « **مذكراتي في العراق** » الجزء الثاني وفيه حوادث سنة ١٩٢٧ حتى سنة ١٩٤١ م ، وقد طبعته دار الطليعة في بيروت سنة ١٩٦٨ م .

★ ★ ★

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

بين الفقيد وبيني

تربطني بالفقيد الكبير **صلة ود وتقدير عظيمة**، تمتد جذورها إلى سنة ١٩٣٩م يوم كنت في بغداد أزوره مع إخوان لي من شباب العرب المتحمسين لعروبتهم . كان الفقيد وهو شيخ يمشي نحو الستين من عمره ، يستحوذ على كل تقديرنا واحترامنا ، لاندفاعه وحماسه في الدفاع عن القومية العربية ، حماسة **لا تعدلها حماسة الشباب ولا اندفاعه** . وتوثقت صلاتي بالفقيد عندما أقام في دمشق سنة ١٩٤٥م ، ثم اشتدت بعد أن أقام في القاهرة وكثر ترددي عليها ، أزوره أو يزورني فأقضي معه ساعات أفيد فيها **من علمه وخبرته وقوته في الدفاع** عن آرائه .

وعندما أخرجت مطابع دار العلم للملايين في بيروت ، كتاب **«حول القومية العربية»** لفقيدنا الكبير سنة ١٩٦١م ، قمت بتعريف الكتاب بكلمة نشرتها **بمجلة المجمع العلمي العربي** في الجزء الأول من المجلد السابع والثلاثين لسنة ١٩٦٢م ، وقلت مستهلاً تعريفي بالكتاب : [هذا كتاب جديد تصدره المطبعة العربية للعلامة ساطع الحصري ، إنه الحلقة الثامنة من السلسلة القومية ، سلسلة الكتب التي نشرها الأستاذ الحصري على الناس ، يحدثهم فيها حديث العلم الواثق بعلمه ، وحديث المؤمن القوي الإيمان بما يعتقده ، يحدثهم فيها عن القومية بمفهومها العام ، وعن القومية العربية بصورة خاصة] .

وكان من نقدي للكتاب نقد التعريف الذي أورده الأستاذ الحصري بأن : **«العربي من تكلم بالعربية»** ، وقد قلت في ذلك : [.. لا بد لنا إذن من إضافة عنصر الإرادة إلى هذا التعريف الناقص حتى يتم بقولنا :

« العربي من تكلم بالعربية وأراد أن يكون عربياً [1] » ، ومن المعلوم أن الشعور والإرادة هما العامل الثاني الأساسي في قيام جميع القوميات] .

وأدّى نقدي هذا إلى ردّ وتوضيح كتبه الأستاذ الحصري ، ثم إلى تعقيب مني على ردّه ، وقد نشرا في الجزء الثاني من المجلد المذكور من مجلة مجمع دمشق .

على أن ما دار بيني وبين الفقيد الكبير من جدال حول تعريف العربي ، وما كان يدور بيننا أحياناً من مناقشات حول القومية عامة **ومدى علاقتها بالإسلام خاصة** ، ما كان ليفسد ما بيننا من ودّ صاف وتقدير عظيم ، صورته في كلمتي التي أشرت إليها آنفاً قائلاً فيها : [إن الأستاذ الحصري يضفي على كل ما يكتبه **فيضاً** من إيمانه بالقومية العربية واعتزازه بها ، فيزيد المؤمن إيماناً والمعتز اعتزازاً ، وهو يفرض على قارئه الاحترام ، **ولو كان له رأي يخالف رأيه** ، أو كان يحتفظ لنفسه بقيود على بعض نظرياته ، وذلك لأن من يكتب عن عقيدة واضحة وإيمان لم يعتوره شك ، يوم كان المؤمنون قلة ، وظلام المستقبل يكتنفهم ، جدير بالاحترام] .

* * *

من أصداء موت الحصري

مات ساطع الحصري ، بعد حياة مديدة قاربت **التسعين من السنين عدداً** ، وكانت حافلة بالحركة الدائبة والنشاط الجم والأفكار القيمة العميقة ، وأحدث موته صدى أليماً في أرجاء الوطن العربي ، وحزناً لدى المفكرين عامة ، ولدى **دعاة القومية العربية** منهم بصورة خاصة ، وكان من أهم الأصداء الدالة على مكانة الفقيد في العالم العربي إعلان (**اتحاد الصحفيين العرب**) عن إقامة جائزة

---

(١) واضع هذا التعريف هو الأمير مصطفى الشهابي رئيس المجمع العلمي العربي الراحل . انظر كتابه عن « الاستعمار » ج ١ ص ١٣ القاهرة ١٩٦٥ م .

دروية يطلق عليها اسم (جائزة ساطع الحصري السنوية) ، وقد أعلن عن تخصيص ثلاث جوائز لسنة ١٩٦٩ م ، ذات قيمة مالية كبيرة تدفع لأحسن ثلاثة بحوث تقدم في أحد الموضوعات التالية :

١ – أثر القضية الفلسطينية في حركة الوحدة العربية .

٢ – التكامل الاقتصادي العربي .

٣ – موقف ساطع الحصري من النظم التربوية الحديثة .

★ ★ ★

رحم الله ساطعاً رحمة واسعة وغفر له وأنزله منازل الأبرار من عباده المؤمنين .

عدنان الخطيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نظرة عيان وتبيان

في مقالة

(أسماء أعضاء الإنسان)

أضاف إليها ما يقابل الأسماء بالفرنسية والانكليزية مع شرح موجز

الدكتور صلاح الدين الكواكبي

— ٧ —

٢٠٥) الجَنْب

ف Plèvre (f.)

ز Pleura

في الأصل . — الجنب ، مجتمع الأضلاع وأسفل الضلوع .

في (ق) . — الجَنْب والجانب والجَنَبة شِقّ الإنسان وغيره والجَنْب مُعظم الشيء وأكثره .

قلت : في الطب يغلب استعماله مع الغشاء .

في (ل) ولاروس ذي المجلدين . — الجنب ، كيسٌ لا فتحة له من غشاء مصلي ، ينطبِّق الزَّور ويُغلِّف الرئتين اليمنى واليسرى .

ما أضفته :

١ً — غشاء جنب رقبي

ف Plèvre cervicale

ز Cervical pleura

٢ً — غشاء جنب ضلعي

ف Plèvre costale

ز Costal pleura

٣ً — غشاء جنب حجابي

ف Plèvre diaphragmatique

ز Diaphragmatic pleura

٤ً — غشاء جنب مَنْصِفي

ف Plèvre mediastinale

ز Mediastinal pleura

٥ً — جنبي

ف ، ز Pleural

٦ً — ذات الجنب

ف Pleurésie

ز Pleurisy

٧ً — ذات الجنب (= بِرْسام)

ف Pleurite

ز Pleuritis

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٨ً — جُناب

ف Pleurodynie

ز Pleurodynia : pleuralgia

★ ★ ★

٢٠٦) الخَلْف = القُصَيْرَى

ف Côte flottante

ز Floating rib

في الأصل . — ومما يلي البطن يقال له الخلف وهي أيضاً القصوى . (الخلف ما قصر من أضلاع الجنب ودقّ . شرح المحقق) .

في (ق) . — الخَلْف نقيض القُدّام ؛ وأقصر أضلاع الجنب . ج خُلُوف ؛ والظهر وما ولي البطن من صغار الأضلاع ؛ وحلمة ضرع الناقة ... الخ . والقُصْوى ، والقُصْيا في (ق) أيضاً : الغاية البعيدة .

ملاحظتي . — على اعتبار (القصوى) الغاية البعيدة ؛ فالمذكورة في الأصل مرادفة للخلف تكون صفة لمحذوف هو (الضلع) (أي الضلع القصوى) . وفي رأيي انها — وإن صحّت مرادفة — مصحّفة عن (القُصَيْرى : وهي أسفل الأضلاع وآخر ضلع في الجنب) . فيصح تخصيص (القصيرى) للضلع الثانية عشرة من أضلاع الهيكل البشري : لأقصى الأضلاع وهي أقصرها أيضاً . ولذا وضعتها مصححة في (الرقم ٢٠٦) .

★ ★ ★

٢٠٧) الخاصِرة

ف Flanc (m.); côté

ز Flank ; side

في الأصل . — والخاصرة عند ذلك (قلت : أي عند أسفل الضلوع كما يتبين من سياق الجملة التي قبلها) .

في (ق) . — الخَصْر ، وسَط الإنسان ، وأخمص القدم ؛ والخاصِرة ، الشاكلة وما بين الحرقفة والقُصَيْرى .

قلت : أما الشاكلة فهي من الفَرَس الجلد بين عُرض الخاصرة والثَّفِنة (هي من البعير الركبة ؛ ومن الإنسان مجتمع الساق والفخذ ؛ ومن الخيل موصل الفخذين في الساقين من باطن) .

وأما القصيرى فهي أسفل الأضلاع وآخر ضلع في الجنب .

في (ل) . — الخاصرة قسم البدن ، من الأضلاع حتى الوركين ؛ وعلى التوسع جانب الجسم .

★ ★ ★

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢٠٨) الصِّفاق

ف — Péritoine (m.)

ز — Peritoneum

في الأصل . — جليدة البطن التي تلي الجلدة الظاهرة (= ما بين الجلد والمصران) .

في (ق) . — الصفاق ككتاب ، الجلد الأسفل تحت الجلد الذي عليه الشعر ، أو ما بين الجلد والمصران ، أو جلد البطن كله .

في (ل) ولاروس ذي المجلدين . — غشاء مصلي كاس أعضاء البطن داخلاً ، مغلفٌ وحافظٌ جميع الأعضاء الموجودة في هذا الجوف .

ما أضفته :

١ً — صفاق جداري

ف — Péritoine pariétal

ز — Parietal peritoneum

٢ً — صفاق حَشَوي

ف — Péritoine viscéral

ز — Visceral peritoneum

٣ً — صفاقي

ف ، ز — Péritonéal

٤ً — التهاب الصفاق

ف — Péritonite

ز — Peritonitis

★ ★ ★

٢٠٩) الحَشْوة = الحَشَى والحشا (*)

ف — Viscère (m.); entraille (f.)

ز — Viscera ; entrail ; bowels

(*) واوي ويائي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الأصل. — في البطن ، مما ضمت عليه الضلوع .

في (ق) . — الحَشَا ما في البطن ج أحشاء . والحَشَى ما دون الحجاب مما في البطن من كبد وطحال وكرش وما تبعه ؛ أو ما بين ضلع الخَلْف التي في آخر الجنب إلى الورك ، أو ظاهر البطن والحِضْن ؛ وحشوة الأرض بالضم والكسر حشوها ودغَلُها .

في متن اللغة . — الحشوة بالضم والفتح ، من الشاة : جوفها وأمعاؤها ، أو جميع ما في بطنها عدا الشحم ؛ وفي الأرض حشوها ودغَلُها (على المجاز) .

في (ل) . — الكلمة الأولى (Viscère) تطلق على كل من الأعضاء التي توجد في أجواف الجسم كالدماغ والرئتين ، والقلب الخ .

والكلمة الثانية (Entrailles) تطلق على الأمعاء وهي الرَّبَض .

قلت : الكلمتان مترادفتان في الطب ، ويراد بها الأحشاء عامةً .

ما أضفته :

١ً — ألم الأحشاء

ف Viscéralgie

ز Visceralgia ; neuralgia of visceral nerves

٢ً — مبحث الأحشاء

ف Splanchnologie

ز Splanchnology

٣ً — هبوط الأحشاء

ف Viscéroptose ; splanchnoptose

ز Visceroptosis

٤ً — حشوي

ف Viscéral ; splanchnique

ز Visceral ; splanchnic

★ ★ ★

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢١٠) الحِجَاب

ف Diaphragme (m.)

ز Diaphragm ; midriff ; phren ; diaphragma

قلت : و (الحاجز) كذلك . وقد يقال الحجاب الحاجزُ صفةً للأولى .

في الأصل ٠ — الحجاب من الحشا ، جُلَيْدَةٌ لحم يحجز بين الصدر والبطن.

في (ق) ٠ — حجبَه حَجْباً وحِجاباً ستره كحجَّبه . والحاجب البواب. والحجاب ما احتُجِب به . ج حُجُب ، ولحمة رقيقة مستبطنة بين الجنبين تحول بين السَّحر (أي الرئة) والقَصَب .

في (ل) ٠ — عضلة عريضة جداً ورقيقة تفصل الصدر عن البطن . بتقبضها يزداد حجم القفص الصدري وبالتالي الشهيق .

ما أضفته (أقسامه) :

١ — حُزَم ضلعية

ف Faisceaux costaux

ز Pars costalis

٢ — حُزَم قصّية

ف Faisceaux sternaux

ز Pars sternalis

٣ — حُزَم قطنية

ف Faisceaux lombaires

ز Pars lumbaris

٤ — فُوَّهة المريء

ف Orifice œsophagien

ز Foramen œsophagicum

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٥ — فوهة الوتين

ف Orifice aortique

ز Aortic opening

٦ — فوهة الوريد الأجوف السفلي

ف Orifice de la veine cave inferieure

ز Foramen venae cave

٧ — مركز حجابي

ف Centre phrénique

ز Central tendon

★ ★ ★

(٢١١) الفؤاد = القلب

ف Cœur (m.)

ز Heart

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الأصل . — الفؤاد ، القلب .

في (ق) . — الفؤاد القلب أو أخص منه .

في متن اللغة . — القلب الفؤاد أو المضغة منه المعلّقة بالنياط ، أو العلقة السوداء في جوفه . ج قلوب .

والفؤاد : القلب لتفؤّده وتوقده أو لحركته ونبضه (مذكر) أو هو وسط القلب أو غشاؤه أو وعاؤه أو داخله أو ما يتعلق بالمريء من كبد ورئة وقلب فيكون أعم من القلب ج أفئدة .

في (ل) . — القلب عضو زَوْري مجفور (١) وعضلي بيضوي الشكل وهو عضو رأس للدورة الدموية . يغلّف هذا العضو ، التأمـور (٢) . ويتألف أساساً من عضلة هي عضلة القلب (٣) . أما باطنه فمؤلف من الشغاف

أي بطانة القلب (٤) . في هذا العضو أربعة أجواف : أذَيْنة (٥) وبُطين أيمن (= القلب الأيمن) ، وأذينة وبطين أيسر (= القلب الأيسر) . الأذينة والبطين الأيمن يتصلان بصُفَيق (٧) – أي مصراع [ثلاثي الشُرَف (٨) من الأيمن ، وإكليلي (٩) من الأيسر] لا يسمح بمرور الدم إلا من الأذينة نحو البطين الأيمن . والدم يصل بالأوردة الجوفاء إلى الأذينة اليمنى ، ويمر إلى البطين الأيمن الذى يدفعه إلى الرئة حيث يتخلص من غاز حمض الفحم وحيث يتشحن بالاكسجين ، ثم يعود بعد ذلك إلى الأذينة اليسرى ويمر إلى البطين الأيسر وأخيراً يوزّع على أعضاء البدن كافةً ماراً بالوتين (١٠) . أما عضلة القلب نفسها فتروّى من الدم بالشرايين والأوردة التاجية (١١) التي تأتي إلى العضلة القلبية بالدم اللازم لعملها (للقيام بوظيفتها) . وهنالك جملة عصبية مستقلة (١٢) تعمل على تنظيم تقلصات القلب . والجملة العصبية المستقلة هذه هي نفسها زائفها صغيرة (١٣) قلبية مؤلفة من تشعبات (١٤) الودي (١٥) ونظير الودي (رئوي معدي) اللذين ينقلان إليها التنبيهات الواردة من الناظم القلبي (١٦) الموجود في البصلة السيسائية (١٧) اهـ .

وإليك ما يقابل الأرقام ، باللغتين الفرنسية والانكليزية :

١) Creux [hole , hollow , pit]
٢) Péricarde [pericardium]
٣) Myocarde [heart muscle]
٤) Endocarde [endocardium]
٥) Oreillette [oricle of the heart]
٦) Ventricule du cœur [ventricle of the heart]
٧) Valvule [valve]
٨) Tricuspide [tricuspide]
٩) Mitral [mitral]
١٠) Aorte [aorta]
١١) Coronaire [coronary , coronal]

١٢) Autonome [autononous]
١٣) Plexus [plexus ; network]
١٤) Ramifications [ramifications]
١٥) Sympathique, parasympathique [Sympathetic, parasympathetic]
١٦) Cardiorégulateur [cardioregulator]
١٧) Buble rachidien [spinal or rachidian bulb]

أم ما أضفته عن القلب :

١ — قلب جَنيني

ف Cœur fœtal
ز Primitive heart ; fœtal heart

ملاحظة . — أقسام هذا القلب الجنيني نسيجياً سبعة ، ذكرتها في الاستدراك — الجنين) فليرجع إليها المستزيد .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ — قلب متحرّك

ف Cœur mobile
ز Wandering heart

٣ — قلب متشحّم (أو شَحيم)

ف Cœur gras
ز Fatty heart

٤ — قلب مسترخٍ

ف Cœur en goutte
ز Pendulous heart ; drop - herat

٥ — قلبي ، مقوي القلب

ف ، ز Cordial

٦ — قلبي عِرْقي

ف Cardio - vasculaire
ز Cardiovascular

٧ — قلبيات

ف Cordiaux

ز Tonics ; cordials ; restoratives

٨ — قُلاب (مرض قلبي)

ف Cardiopathie

ز Cardiopathy

٩ — قلوبي (متخصص بأمراض القلب)

ف Cardiologiste ; cardiologue

ز Cardiologist

١٠ — مبحث أمراض القلب

ف Cardiologie

ز Cardiology

١١ — مقلوب (مصاب بقلبه)

ف Cardiaque

ز Cardiac

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٢ — تخطيط القلب الكهربائي

ف Électrocardiographie

ز Electrocardiography

١٣ — مخطَّط القلب ، الكهربائي

ف Électrocardiogramme ; E C G

ز Electrocardiogram

أقسامه :

آ — صفحة ابتدائية للمشترك البُطيني

ف Phase initiale (Q R S) du complexe ventriculaire (E C G)

ز Initial deflection of the ventricular complex (Q R S) ; Q R S - group of ecg

ب — صفحة انتهائية المشترَك البُطني

ف Phase terminale (T) du complexe ventriculaire (ECG)

ز Terminal deflection of the ventricular complex (T) (ecg); QRST-group of ecg

ج) مشترَك أذيني ؛ قفزة ـ ب

ف Complexe auriculaire ; ressaut P (ECG)

ز Auricular comlex ; deflection P (ecg)

د — مشترَك بُطيني

ف Comlexe ventriculaire (ECG); Complex QRST

ز Ventricular complex ecg; QRST — group of ecg

(يرادفه : مخطَّط بطني

(Ventriculogramme [ventriculogarm]

هـ — القسم البدائي المشترَك البطني

ف Partie initiale du complexe ventriculaire ; Complexe QRS (ECG)

ز First position wave of the ventricular complex; QRS — group of ecg

(يرادفه : مشترك بدائي

(Complexe initiale [initial complex (ecg)]

١٤ — مقوٍ للقلب

ف Cardio-tonique ; tonicardiaque

ز Cardiac Stimulant ; cardiotonic ; cardiac tonic

★ ★ ★

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢١٢) الخِلْب

ف ، ز . . . .

في الأصل . — الخِلْب ، غشاء القلب .

في (ق) . — الخِلب ، الظُّفُر . . . و'لحَيمة رقيقة تصل بين الأضلاع والكبد ، أو زيادتها ، أو حجابها ، أو شيء أبيض رقيق لازق بها ... الخ .

في معجم المتن . — الخلب ، الظُفُر عامةً ؛ حجاب القلب والكبد ، أو لحيمة رقيقة تصل بين الأضلاع ، أو الكبد ، أو زيادتها ، أو شيء أبيض رقيق لازق بها ، أو 'عظَيم مثل ظفر الإنسان لاصق بالحجاب مما يلي الكبد ، أو حجاب القلب ، أو حجاب ما بين القلب وسواد البطن . . . . والخِلْب ، الفُجْل ، وورق الكرم العريض .

قلت : وفق التعريف في أصل المقالة ، هل هو التأمور (Péricarde) ؟ ؟ ووفق التعريف في (ق) و (المتن) هل هو ما كان يطلق عليه (Péritoine ؟) ؛ أم هل هو الورَب (Intercostal) أي الفضاء ما بين ضلعين ؛ ولولا ذكر المؤلف للخلب في مقالته لأسماء أعضاء الإنسان ، لزدتُ أم هل هو الفجل (Radis) أم ورق الكرم (Feuilles de vigne) ؟ !

★ ★ ★

٢١٣) النِّياط

ف Aorte (f.)

ز Aorta

في الأصل . - نياط القلب عرقه الذي يعلق به (= العرق المعلق به القلب ، حسب شرح المحقق) .

في (ق) . — ناطه نَوْطاً علّقه . والأنواط المعاليق . والنياط ككتاب الفؤاد ، ومعلَّق كل شيء ، أو عرق غليظ نيط به القلب إلى الوتين ج أنوطة

وأنواط ونُوط بالفم . وعرقٌ مستبطنٌ الصلب تحت المتن كالنائط ، أو النائط ممتد في الصلب .

في متن اللغة . — النياط ، الفؤاد . وعرق متصل بالقلب من الوتين إذا قُطع مات صاحبه . أو عرقٌ مستبطن الصلب تحت المتن ، وهو العرق النائط . والنّيط العرق المعلّق به القلب ج نياط .

ملاحظتي . — لم أتبين على التأكيد ما يُقصد من عرق القلب الذي يعلق به (والمعلّق به القلب حسب شرح المحقق) . ثم إن النياط في (الرقم ٢١٣) جمعٌ والشرح مفرد . وفي (ق) مفرد والجمع أنوطة وأنواط ونوط . وإن ما يعلق به القلب من العروق عديدة فلأي منهنّ يُخصّص النياط ؟ فبحسب التشريح الوصفي للقلب في اليوم الحاضر أرى أن هذا العرق الغليظ الذي نيط به القلب — كما في (ق) وفي متن اللغة — (هو الوتين) وشُعَبه .

وهذا ما جعلني أضع مقابلاً له الكلمتين الافرنجيتين في (الرقم ٢١٣) .

أم ما أضفته عن أقسام الوتين :

١ — وتين صاعد

ف Aorte ascendante

ز Ascending aorta

٢ — وتين نازل

ف Aorte descendante

ز Descending aorta

٣ — قوس الوتين

ف Crosse de l'aorte

ز Arch of the aorta

وأم ما أضفته عن شعب الوتين :

آ) السباتي الأيسر

ف Carotide gauche
ز Left carotid

ب) شريان تحت الترقوة

ف Artère sous - clavière
ز Subclavian artery

ج) شريان رئوي

ف Artère pulmonaire
ز Pulmonary artery

د) جِذْع عَضُدي رأسي

ف Tronc brachio - cephalique
ز Brachiocephalic artery ; innominate artery

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعلى وجه عام أضف :

١ — التهاب الوتين

ف Aortite
ز Aortitis

٢ — رسم الوتين الشعاعي

ف Aortographie
ز Aortography

٣ — وتيني

ف Aortique
ز Aortic

★ ★ ★

٢١٤) حبّة القلب

ف ، ز .....

في الأصل . — سويداء وهي علقة في جوفه (!) . ويقال للكبد والرئة والفؤاد ، وسواد البطن .

في (ق) . — ... وحبة القلب ، سويداؤه أو مهجتــــه أو ثمرته أو هنة سوداء فيه . والعلق ، الدم عامةً أو الشديد الحمرة أو الغليظ أو الجامد ؛ والقطعة منه عَلقة .

في معجم المتن . — حبة القلب ، وسطه ، سويداؤه ، وهي هنة سوداء فيه ، أو العلقة السوداء داخله ؛ ثمرته ومهجته .

ملاحظتي . — أيّة علقة هي في جوف القلب ؟ هل هي قطعة لحمية ثابتة في تكوينه ، أم خثارةُ دم جامد فيه (كما في ق) ؟ أم ان الحبّة محض وصف عاطفي (؟) لثمرته أو مهجته (؟) . وفي ظني أن أكثر هــــذه الأوصاف يذكرها من شاهد قلباً تُزع من حيوان مذبوح أو ميت فرأى فيه (علقة سوداء ، أو هنة سوداء) . ولا شك أنها خثارة دم من عروق القلب الخاصة أو مما تخثر من الدم في جوف القلب إثر الذبح أو الموت . أو — وهو الأغلب في الاحتمال — لعل هذه الهنة (لا العلقة) هي مصاريع القلب إذا نُظر إلى القلب مقطوعاً أو مشرّحاً .

ومن الثابت اليوم أن أية علقة دموية أو خثارة مها دقّت قد تسبب انسداداً لأحد الأوعية ، خطراً على الحياة سمي (حشاء أو سُداد Infarctus) .

لهذا لا يصح بوجه من الوجوه أن يُقبل وجود علقة في القلب بمعنى الخثارة الدموية ، في حال الحيـــاة ، فيجب أن يطوى ذكرها في معجم عربي حديث .

★ ★ ★

(يتبع) الدكتور صلاح الدين الكواكبي

صفحات من تاريخ الاستشراق

- ٥ -

النظرة الجديدة إلى الاسلام في القرن الثامن عشر :

إن النزعة العقلية التي تميزت بها « حركة النور » في القرن الثامن عشر كان لها تأثير كبير في تغيير نظرة الأوربيين إلى الشرق عامة . فقد كانت هذه الحركة ترمي ، قبل كل شيء ، إلى التحرر من سيطرة الكنيسة ومن القيود التي فرضتها على الحياة الفكرية . وكانت الجماهير قد عرفت الشيء الكثير عن البلاد الشرقية بفضل كتب الرحلات الحقيقية أو الخيالية التي شاعت في هذا العصر . وكان الإعجاب عظيماً بحضارة الصين خاصة . فأخذ الكتاب ينوهون بديانة (كونفوشيوس) وما امتازت به من حكمة وتسامح ويستندون إلى ذلك في مهاجمة تعصب رجال الدين المسيحي . ثم اتسع نطاق الاهتمام فشمل الهند وفارس والشرق الإسلامي كله .

وقد تبدلت النظرة إلى الرسول ﷺ ، فنرى الفيلسوف (لايبنز Leibniz) يعتبره مبشراً بالديانة الفطرية . ولعل أبرز ممثل للاتجاه الجديد هو الكونت (هنري دوبولنفيه Henry de Boulainvilliers) (١٦٥٨ — ١٧٢٢) الذي مات قبل أن يتم كتابه عن (حياة محمد) (١) فنشر بعده في لندن سنة ١٧٣٠ وأعيد طبعه في آمستردام سنة ١٩٣١ .

---

(١) Le Comte Henry de Boulainvilliers : La vie de Mohamet, avec des réflections sur la religion Mahometane et les coutumes de Musulmans, London 1730; 2ed. Amsterdam 1931.

يصرح (بولنفيه) بأنه يريد إثبات تفوق الإسلام على المسيحية . وهو قد وصف الرسول ﷺ بأنه مشرع حكيم ، متنور ، قاد شعبه إلى الحضارة وجاء بديانة « عقلية » لتحل مكان العقائد اليهودية والمسيحية المشبوهة . ثم إنه يهاجم الذين يشككون في صدق الرسول ﷺ ويبين أن كل ما قاله محمد ﷺ عن تعاليم الدين الأساسية صحيح ولو أنه لم يكشف عن كل الحقائق .

لكن لا بد من الملاحظة أن (بولنفيه) لم يكن يعرف العربية وأن كتابه لم يأت بمعلومات جديدة . فهو قد جمع مادته من المؤلفات الأوروبية وأراد أن يستخدم الموضوع لمكافحة سيطرة الكنيسة .

ولقد لخص ناشر الكتاب رأي المعاصرين فيه بالعبارة التالية ضمن رسالة بعث بها إلى المستشرق الفرنسي (جان غانيه Jean Gagnier) ، أستاذ اللغات الشرقية في جامعة (اوكسفورد) ، قال : « إن (بولنفيه) يمزج تاريخه بكثير من التأملات السياسية التي تعجب القراء لما فيها من طرافة وجرأة » .

جان غانيه :

على أن المستشرق (غانيه) رأى في هذه التأملات الطريفة والجريئة خطراً كبيراً وشعر بأن من واجبه التحذير من كل تطرف والدعوة إلى اتباع الطريق الوسط بين ضلال المتعصبين وحماسة المتهوسين . وكان قد سبق لغانيه أن نشر القسم المتعلق بسيرة الرسول من تاريخ (أبي الفداء) باللغة العربية مع الترجمة اللاتينية في سنة (١٧٢٣) فقام بعد صدور كتاب (بولنفيه) وألف في سنة (١٧٣٢) كتابه عن « حياة محمد » باللغة الفرنسية .

يتبين من مقدمة هذا الكتاب أن (غانيه) ليس صادقاً في ادعائه الحياد . فهو لا يقتصر على مهاجمة كتاب (بولنفيه) ، الذي يزعم بأنه يستحق الحرق بل يطعن في الرسول أيضاً . وعلى الرغم من أن (غانيه) قد استند إلى القرآن والحديث وروايات المؤلفين المسلمين في وصف حياة الرسول ﷺ وشخصيته وأعماله وحاول أن ينقل النصوص بأمانة فان التحزب واضح في اختيار الشواهد وفي طريقة عرضها .

(سيل) و (سافاري) :

إننا نلمس الرغبة في الإنصاف وحب الحقيقة عند مستشرقين آخرين برزا في ذلك العهد وقاما بترجمة القرآن من جديد :

الأول هو المستشرق الانكليزي (جورج سيل George Sale) (١٦٩٧ — ١٧٣٦) الذي مهد لترجمة القرآن (١) بمقدمة ضافية بحث فيها عن العرب قبل الإسلام وعن حالة اليهودية والمسيحية في الشرق عند ظهور الرسول ﷺ وعن القرآن وتعاليمه ثم نفى عن الرسول المطاعن التي اعتاد الكتاب المسيحيون تكرارها وقارن بين محمد ﷺ والمشرعين اليونانيين .

أما المستشرق الثاني الفرنسي (قلود أتيان سافاري Claude Etienne Savary) فقد كتب في مقدمة ترجمته للقرآن (١) يصف الرسول ﷺ بأنه أحد أولئك الرجال العظام الذين يظهرون من وقت إلى آخر فيقلبون أوضاع العالم ويقودون البشر في طريق التقدم والنصر . ثم يقول : « ونحن إذا أمعنا النظر في سيرة محمد ﷺ لا بد أن نشعر بالاعجاب تجاه المعجزات التي تستطيع العبقرية البشرية تحقيقها إذا ما ساعدتها الظروف . فالرسول محمد ، على الرغم من

(١) George Sale, The Koran, London 1734 .

(٢) Claude Etienne Savary, Le Coran : Paris 1752 (2.ed. 1783).

أنه ولد بين عبدة الأصنام ، قد استطاع أن يسمو إلى عبادة الإله الواحد . وهو قد لاحظ في رحلاته كيف كان المسيحيون يتنازعون وتلعن كل طائفة منهم الأخرى وكيف أن اليهود الذين هم حثالة الشعوب لا يتزحزحون عن تقاليدهم البالية . وعلى العكس من المسيحيين واليهود أسس محمد ديانة عالية تقوم على عقيدة بسيطة لا تتضمن إلا ما يقره العقل من إيمان بالإله الواحد الذي يكافيء الفضيلة ويعاقب الرذيلة ... »

وبعد أن ينوه (سافاري) بعبقرية الرسول السياسية والعسكرية وبقدرته في السيطرة على البشر يصرح بأن الغربي المتنور ، وإن لم يعترف بنبوته ، لا يستطيع إلا أن يعتبره من أعظم الرجال الذين ظهروا في التاريخ .

إن المباحث المديدة عن حياة الرسول ﷺ وشخصيته التي ظهرت في القرن الثامن عشر كانت خاضعة للنزعات السياسية والاتجاهات الفكرية ، إنها كانت تهدف إلى الدفاع عن مبدأ معين أو فكرة سابقة ، لذلك كان الاختلاف شديداً والتناقض ظاهراً بينها . وفي الإجمال كان محكوماً عليها بأن تبقى عقيمة لا تؤدي إلى كشف حقائق جديدة أو إلى تقدم المعرفة . هكذا نرى (فولتير) يمثل لنا هذا الاضطراب إذ اختار شخصية الرسول موضوعاً لرواية تمثيلية (١) هاجمه فيها على أنه رمز للتعصب الديني ثم عاد في كتابه عن « الأخلاق والعادات » (٢) يلتزم الاعتدال في الكلام على الرسول ويعترف بنبوغه وعظمته .

(قارلايل) :

وقد ظل الرأي السائد بين الأوروبيين عن الرسول ﷺ غامضاً وأقرب إلى المعارضة والمداوة ، وقبل كل شيء ، بعيداً عن التحقيق التاريخي حتى

(١) Voltaire : Le Fanatisme ou Mahomet, le Prophète, Paris 1741.

(٢) Voltaire. Essai sur les moeurs. Paris 1756.

منتصف القرن التاسع عشر إذ قام ، من جهة (قارلايل) يدعو إلى الإنصاف ومن جهة ثانية ، بدأ غيره من المستشرقين يرجعون إلى المصادر العربية القديمة ويتبعون طرائق النقد التاريخي في دراستها .

في يوم الجمعة ، الثامن من آذار سنة ١٨٤٠ ألقى المستشرق الانكليزي (توماس قارلايل Thomas Garlyle) (١٧٩٥ — ١٨٨١) المحاضرة الثانية من سلسلة محاضراته التي جمعها من بعد في كتابه المشهور « الأبطال وعبادة الأبطال » (١) وكان موضوعها : (الرسول محمد) . قال (قارلايل) :

« لقد أصبح من أكبر العار على كل فرد متمدن في هذا العصر أن يصغي إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب وأن محمداً خداع مزور . وقد آن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة ، المخجلة ، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا خلقهم الله الذي خلقنا . أكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة ؟ أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبداً . فلو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج ويصادفان منهم ذلك التصديق والقبول فما الناس إذن إلا بله ومجانين وما الحياة إلا سخف وعبث وأضلولة كان الأولى بها أن لا تخلق . » [تعريب : محمد السباعي]

ثم حلل (قارلايل) شخصية الرسول وكشف عن نواحي عبقريته التي تتجلى فيها أسمى معاني الوحي وانتهى إلى أن محمداً ﷺ كان مخلصاً في دعوته ، صادقاً في عقيدته مثل غيره من العظماء المؤمنين .

(١) Thomas Carlyle : On Heroes, Hero - Worship and the Heroic in History. London 1849

وكان (فارلايل) من الكتاب الانكليز البارزين يمتاز بأسلوب رائع، فاستطاع أن يترك أثراً عميقاً في الرأي العام الاوروبي. إلا أن محاضرته عن الرسول لم تكن بطبيعة الحال، تتضمن شيئاً من البحث في المصادر التاريخية ومناقشة الروايات ...

(وايل) والبحث التاريخي الانتقادي:

لذلك كان المستشرق الألماني (كوستاف وايل Gustav Weil) (١٨٠٨ — ١٨٨٩)، حينما نشر كتاب «محمد الرسول، حياته وتعاليمه»(١) على حق في قوله بأن كتابه هذا هو أول دراسة ذاتية مستقاة من المصادر العربية منذ كتاب (غانيه) الذي انقضى عليه أكثر من قرن، عدا أن (غانيه) قد اقتصر على نقل بعض الأخبار عن (ابن الهيري) و (أبي الفداء) دون أي نقد تاريخي. وهذان المؤلفان من الكتاب المتأخرين الذين لا يمكن الوثوق بهم.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إن (وايل) أيضاً يريد الاعتماد على المصادر العربية، ولكنه يعتقد، من جهة بضرورة الرجوع إلى جميع المصادر الممكن الحصول عليها ولا سيما المصادر القديمة، ثم يطالب من جهة ثانية، باخضاع هذه المصادر إلى النقد التاريخي ومقارنتها وتمييز الروايات الصحيحة من المدسوسة أو المزورة أو المحرفة. ويمكن القول بأن (وايل) قد افتتح مرحلة جديدة في دراسة سيرة الرسول ﷺ. فهو أول مستشرق بحث بطريقة انتقادية في الروايات المتناقلة عن الرسول وحاول أن يميز الأخبار القديمة التي تستحق التصديق من الأساطير المتأخرة التي ليس هناك من دليل على صحتها. وهو لم يكتف

(١) Gustav Weil, Mohammed der Prophet, sein Leben und seine Lehre, 1843.

بالمصادر المعروفة قبله ، بل بحث في المكتبات عن مختلف المخطوطات المتعلقة بالسيرة واختار منها كتاب « إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون » المعروفة « بالسيرة الحلبية » تأليف (برهان الدين علي بن ابراهيم الحلبي) ، ثم تاريخ « الخميس » (الحسين بن محمد بن الحسن الدياربكري) . والمؤلفان من رجال القرن السادس عشر ، ولكنها قد نقلا حرفياً كل ما عثرا عليه في الكتب القديمة منذ القرن الثاني للهجرة حتى عصرهما . وبعد ذلك أرسل إليه الأستاذ (أيوالد Ewald) ، المستشرق الألماني ، مخطوطة هامة جداً هي (سيرة ابن هشام) التي قام (وايل) في سنة ١٨٦٤ بترجمتها إلى الألمانية بعد أن تولى (وستنفلد Wuestenfeld) تحقيق النص العربي ونشره . ثم أقدم (وايل) على دراسة القرآن بمساعدة تفسير الجلالين وحاول ترتيب الآيات حسب تعاقبها الزمني ليستعين بها في متابعة حياة الرسول . وبعد ذلك سعى إلى دراسة شخصية محمد الإنسان والنبي والمشرع بصورة موضوعية دون أي تحزب ديني .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان طبيعياً أن يراجع (وايل) كل المؤلفات الأوروبية عن حياة الرسول . وقد درس أيضاً بحوث (جايجر Geiger) و (جيروك Gerock) عن علاقة الإسلام باليهودية والمسيحية .

والنتيجة التي انتهى إليها (وايل) من دراسته تتلخص في قوله : « بالنظر إلى ما قام به محمد من نشر أسمى التعاليم الواردة في الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) بين شعب لم يصل إليه أي شعاع من نور الإيمان ، يجب على غير المسلمين أيضاً أن يعتبروه رسول الله . »

منذ نشر كتاب (وايل) تقدمت دراسات المستشرقين خطوات عظيمة وكشفت عن كثير من الحقائق الجديدة . ولكن لا ينكر أن لهـذا العالم

فضل السبق إلى البحث العلمي الدقيق . والأحكام التي وصل إليها العلماء بعده لا تختلف بالإجمال كثيراً عن رأيه ...

(دو برسفال) :

هكذا نرى المستشرق الفرنسي (قوسان دوبرسفال Coussin de Perceval) يصدر ، بعد بضع سنوات ، حكماً مماثلاً في كتابه عن « تاريخ العرب » (١) ، الذي خصص الجزء الثالث منه لوصف حياة الرسول . ويتلخص رأيه في « أن محمداً (ﷺ) كان صادقاً ، مخلصاً ، مؤمناً بأنه مرسل لإنقاذ أمته من الضلال وبعثها إلى الحياة .. » وهو قد اقتصر على استعراض ما ورد في المصادر العربية دون تحليل ونقد . ولكنه كان يمتاز على المستشرقين السابقين بمعرفته العميقة للغة العربية وباطلاعه الواسع على أخبار العرب ، كما إنه استخدم مصادر جديدة لم تكن معروفة قبله . بذلك أصبح كتابه مرجعاً هاماً يستقي منه الباحثون . وإليه خاصة استند (رينان Renan) في دراساته عن الإسلام ومقارناته بين مختلف الأديان . وهو يصف الإسلام بأنه « ديانة طبيعية ، فطرية ، جدية ، متسامحة ، معقولة ... »

تطور الطريقة التاريخية — الانتقادية :

لم يكن (وايل) و (دوبرسفال) يجهلان ما لحق أخبار الرواة المسلمين من تحريف وتزوير بسبب المنازعات الطائفية والاختلافات المذهبية . ولا شك في أنهما يمتازان على من سبقهما من المستشرقين بالسعي إلى التمييز بين الروايات الصحيحة والكاذبة . ولكن طريقتهما في النقد كانت تعتمد كلياً على مجرد

(١) Coussin de Perceval, Essai sur l'histoire des Arabes ... Paris 1847—1848.

الذوق السليم ولم تستند إلى نتائج البحث التاريخي نفسه . فهما لم يلاحظا كما ينبغي أن كتب السيرة قد تطورت في طريقة تأليفها وأسلوب كتابتها تبعاً لما حدث من تطور في العقيدة الإسلامية ذاتها . وقد غفلا عن أن الكثير من التعاليم والتقاليد التي شاعت بين المسلمين في العصور المتعاقبة وأصبحت تعتبر من صميم الإسلام لم يكن لها أي صلة بالعقيدة الإسلامية الأصلية . وقد بدأ المستشرقون ينتبهون إلى هذه الناحية حوالي سنة ١٨٦٠ كما يستدل من مؤلفات عديدة عن حياة الرسول ظهرت في ذلك العهد ، أهمها هي مؤلفات (موير) و (شبرنجر) و (نولدكه) .

(للبحث صلة) الدكتور محمد كامل عياد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فوات الوفيات في طبعته الجديدة

(الجزء الثاني)[1]

— ٤ —

١٦ — وورد في الصفحة ١٦٢ ترجمة أبي فراس علي بن محمد بن غالب العامري المعروف بمجد العرب وقد جاء فيها « شاعر جال ما بين العراق والشام ومدح الملوك والأكابر ولبس أخيراً لبس الأتراك وتوفي بالموصل سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة » . ولم يعلّق الشيخ الفاضل محقق الكتاب عليه شيئاً ، لأنه لم يعرف من سيرته ومراجع ترجمته ما يعلّقه ، ولذلك بقي الخطأ لابداً في سنة وفاته التي جعلته من أهل القرن الثامن للهجرة ، مع أنه من أهل القرن السادس ، ترجم له العماد الأصفهاني المتوفى في أواخر المائة السادسة للهجرة وهل يترجم أديب من المائة السادسة لأديب من المائة الثامنة [2] ؟ ! قال العماد الأصفهاني : « الأمير مجد العرب مظفر الدولة أبو فراس علي بن محمد بن غالب العامري — رحمه الله — هو الداهية الدهياء وأعجوبة الدنيا ، يصب الشعر في قالب السحر ويُباهي الفضلاء بالنظم والنثر . . . وقصائده بالشام أجزل وأحسن مما أنشأه بالعراق »[3] .

---

(١) نشر أول هذا البحث في الصفحات ٢٧٢ و ٥٤٣ و ٧٤٩ من المجلد (٤٣) .

(٢) أزل هذا الوهم قدم التحقيق في خريدة القصر « قسم الشام ج ١ ص ٧٩ » فقد نقل هذا الوهم إلى الحاشية الأولى من الصفحة المذكورة وجاء فيها « توفي بالموصل سنة ٧٥٣ » .

(٣) خريدة القصر « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس « مختار الخريدة ٣٣٢٦ و ٢٧ » .

وقال العماد أيضاً : «وآخر عهدي به بالموصل سنة ٥٧٠ لابساً زي الأتراك ، جليساً للأملاك» . وقال محب الدين ابن النجار : «علي بن محمد بن غالب أبو فراس العامري المعروف بمجد العرب ، شاعر مجيد جال ما بين العراق والشام ومدح الملوك والأكابر ونشر فضله وأظهر نبله» ثم نقل باسناده من تاريخ دمشق مشافهة من مؤلفه ابن عساكر ما هذا نصّه «علي بن محمد ابن غالب أبو فراس العامري المعروف بمجد العرب ، شاعر بغدادي قدم دمشق وأنا ببغداد وسمع منه بها شيئاً من شعره صديقنا أبو الندى يغمر بن ألب شاور المقرئ وكان يذكره ويثني عليه ويصفه بالبلاغة والكرم» ثم قال : «وكتب إليَّ أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد الكاتب» وذكر موجز ما ذكر في الخريدة من سيرته ثم قال ابن النجار أو العماد : «توفي بالموصل سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة (١)» .

وذكره ابن الفوطي في الملقَّبين بالظفر قال : «الظفر مجد العرب أبو فراس علي بن محمد بن غالب العامري الأديب الشاعر ، كان من أعيان الأدباء وأماثل الشعراء (٢)» . وذكر له بيتين من الشعر ولم يذكر وفاته ، وهو أمر عجيب الوقوع من ابن الفوطيّ وهو مؤرخ بغداديّ وابن النجار مؤرخ بغداد وتاريخ وفاته مثبت في تاريخه (٣) .

١٧ ـ وكرَّر في الصفحة ١٧٧ التصحيف الذي ذكرته في تعقيبي على الجزء الأول وهو جعل «النيربين» مثنى النيرب الموضع النزه المشهور قرب دمشق «النيّرين» ، وذلك في قول ابن وداعة الكندي :

ويوم لنا بالنيربين رقيقـــة حواشيه خال من رقيب يشينه

(١) التاريخ المجدد لمدينة السلام «نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٣١ و ١١،١٢».
(٢) تلخيص مجمع الآداب «ج ٥ الترجمة ١٢٣٥ من باب الميم من طبعة الهند» .
(٣) وممن ذكر وفاته الصفدي قال : «وتوفي بالموصل سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة» . «الوافي بالوفيات نسخة المجمع اللغوي العربي بدمشق ، الورقة ١٨٢» .

١٨ — ووردت في الصفحة ١٨٨ ترجمة « علي بن يحيى القاضي الوجيه المعروف بابن الذروي ، شاعر مجيد وكانت وفاته بالديار المصرية سنة » . ولم تذكر السنة ، وقال الشيخ الفاضل في تعليقه : « لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدي من كتب الرجال » . مع أنّ له ترجمة في خريدة القصر[1] ، وقال محققو الكتاب : « نقلنا هذه الترجمة من المغرب لابن سعيد . . . ولم ننقلها من مختصر الخريدة لأنه أشد اختصاراً ويبدو من المغرب أنّ هذا كل ما قاله العماد في الخريدة . . . وقد توفي ابن الذروي سنة ٥٧٧ ، انظر ترجمته في المغرب وفي كتاب الروضتين ٢ : ٢٧ . . . وحسن المحاضرة ١ : ٢٦ » .

١٩ — وردت في الصفحة ١٩٣ ترجمة « علي بن يوسف بن شيبان جلال الدين الماردیني المعروف بابن الصفار » ولم يحل محقق الكتاب على مرجع آخر لترجمته ، وقد جاء في الترجمة « وتولّى كتابة أشراف دبيس ثماني عشرة سنة » . فمن هؤلاء أشراف دبيس ؟ تركهم المحقق على حالهم من التصحيف ، والصواب « تولى كتابة إشراف دنيسر ثماني عشرة سنة » . وهو ما ذكره اليونيني ، وجاء في الحاشية القديمة من كتاب اليونيني « دنيسر بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردين بينها فرسخان » .

٢٠ — وورد في الصفحة ٢٤٣ « حكي أن أبا الهيجاء بن عمر بن شاهين صاحب النطيحة قال : كنت أساير معتمد الدولة أبا المنيع قرواش بن المقلد . . . » . ولم يبحث الشيخ الفاضل عن « النطيحة » ، هذه ما هي ؟ والقصّة في فوات الوفيات تدور حول « قصر العباس بن عمرو الغنوي » ، قال ياقوت الحموي في معجم البلدان في « قصر العباس بن عمرو الغنوي » ما هذا نصه « وقرأت في كتاب ألفه عميد الدولة أبو سعد محمد بن الحسين بن عبد الرحيم الوزير : حدثني أبو الهيجاء بن عمران بن شاهين أمير البطيحة . . . » . وذكر القصّة ،

(١) خريدة القصر ، قسم مصر ج ١ ص ١٨٧ » .

في البطيحة لا النطيحة ، ثم إن الشيخ الفاضل أعاد نشر وفيات الأعيان وقد وردت هذه القصة بعينها في ترجمة أبي حسان المقلد بن المسيب العقيلي » .

والبطيحة وجمعها البطائح كما في معجم البلدان لياقوت : « أرض واسعة بين واسط والبصرة وكانت قديماً قرى متصلة وأرضاً عامرة ، فاتفق في أيام كسرى أبرويز أن زادت دجلة زيادة مفرطة وزاد الفرات بخلاف العادة فعُجز عن سدها فتبطح الماء في تلك الديار والعمارات والمزارع ، فطرد أهلها عنها ... » . والتتمة والتفصيل في المعجم .

٢١ — وجاء في ترجمة القاسم بن القاسم أبي محمد الواسطي الأديب الشاعر — ص ٢٥٩ — « وقرأ اللغة على سيد الرؤساء هبة الله بن أيوب » . وجاء في الصفحة ٣١٤ « اشتغل بالحلة على عميد الرؤساء أيوب » . وأشار الشيخ في الحاشية إلى أن ترجمة القاسم واردة في معجم الأدباء لياقوت الحموي وبغية الوعاة للسيوطي ، ولكن من فوائد الإحالة الاستفادة من المقابلة ، ففي معجم الأدباء « قرأ النحو بواسط وببغداد على الشيخ مصدق بن شبيب ، واللغة على عميد الرؤساء هبة الله بن أيوب » . وفي بغية الوعاة « عميد الرؤساء هبة الله بن أيوب » . والصواب هو ما ورد في معجم الأدباء والبغية وغيرهما لا ما ورد في فوات الوفيات ، قال ياقوت الحموي في معجم الأدباء : « هبة الله ابن حامد بن أحمد بن أيوب بن علي بن أيوب أبو منصور ، يعرف بعميد الرؤساء ، أديب فاضل نحوي لغوي شاعر ، شيخ وقته ومتصدر بلده (١) ... » . وقال السيوطي : « هبة الله بن حامد بن أحمد بن أيوب بن علي بن أيوب أبو منصور ، يعرف بعميد الرؤساء (٢) ... » ونقل قول ياقوت . وقال

(١) مختصر الجزء السابع من معجم الأدباء « ص ٢٣٤ طبعة مرغوليوث » .

(٢) البغية « ص ٤٠٧ » .

كمال الدين ابن الفوطي : « عميد الرؤساء أبو منصور هبة الله بن حامد بن أحمد ابن أيوب الحلي اللغوي (١) ... » .

٢٢ — وورد في الصفحة ٢٦٥ في ترجمة قرواش بن مقلد العقيلي « فقام بعده أبو المعالي قريش بن بدر بن مقلد ابن أخيه » . وكنت نقلت هذه الجملة في الكلام على وفاة قرواش في النقدة الثالثة عشرة ، والصواب « قريش ابن بدران » بالألف والنون قال العماد الأصفهاني الكاتب : « وفي سنة ٤٥٣ توفي قريش بن بدران وتولى ولده مسلم إمارة بني عقيل (٢) » . وقال عز الدين ابن الأثير في حوادث سنة ٤٥٣ من الكامل : « ذكر وفاة قريش صاحب الموصل وإمارة ابنه شرف الدولة : في هذه السنة توفي قريش بن بدران صاحب الموصل ونصيبين . . . » . وقد ذكره على هذه الصورة في كامله غير مرّة ، وذكر أبو المظفر سبط ابن الجوزي وفاته في سنة ٤٥١ قال في وفياتها : « قريش بن بدران أبو المعالي ويلقب بعلم الدين أمير بني عقيل ، كان داهية بخيلاً سفاكاً للدماء بعيد الغور غدارا (٣) . . . » .

٢٣ — وجاء في الصفحة ٢٨٨ في ترجمة لوط بن يحيى أبي مخنف الأزدي أن من كتبه « حديث روشنقباذ » فقال الشيخ الفاضل محقق الكتاب معلقاً : « في ب روشنعياد وفي الفهرست روستقبـاذ » . قلت : إن الشيخ أحال بترجمته على معجم الأدباء فكان حرياً أن يقابل بين الاسمين في الكتابين أولاً ، ففي معجم الأدباء « روستقباذ » على ما جاء في طبعـــة مرغوليوث الأولى

---

(١) تلخيص مجمع الآداب « ج ٤ القسم ١ ص ٩٦٦ نشرة وزارة الارشاد السورية بتحقيقي » .

(٢) زبدة النصرة في دولة آل سلجوق « ص ٢٢ طبعة مطبعة الموسوعات بالقاهرة » .

(٣) مرآة الزمان « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٠٦ الورقة ٦٧ » « وورد في ترجمة الأمير ابن أبي حصينة من معجم الأدباء ٤ : ٦٩ قريش بن بدران بن المقلّد بن المسيب .

« ٤ : ٢٢١ » وهذا هو أقرب إلى الصحة من غيره ، والصحيح « روستقباذ » بالذال المعجمة ، فقد جاء في كتاب المسالك لابن خُرداذبه – ص ٦ – « طسّوج روستقباذ » قال : « وترجمة الطسوج : الناحية » ثم قال في الصفحة ١٣ : « طسّوج روستقباذ ، الحنطة ألف كرّ ، الشعير والدخن ألف وأربعمائة كر ، الوَرِق مائة ألف وسبعون ألفاً » . وتكرر الاسم في الصفحة ٢٣٥ والصفحة ٢٣٨ .

٢٤ – وجاء في الصفحة ٢٩٦ في ترجمة مالك بن نويرة ما نصه « فقتل ضِرار بن الأزور مالكاً وسمع خالد الداعية ، فخرج وقد فرغُوا منهم » . فقال الشيخ الفاضل محقق الكتاب وضابطه ومعلق حواشيه ،ملقاً على الداعية : « في ب الداهية وما أثبتناه مُوافق لما في ث » ، قلت : « وليكن مُوافقاً لما في تلك النسخة فما الفائدة ؟ القارىء المبتدىء محتـاج إلى الصحيح فما معنى الداعية هنا ؟ الداعية هي الدعوة كالـكاذبة بمعنى الكذب ، ولا حادي على استعمالها هنا ، فالصحيح السليقة يُدرك أنها « الواعية » أي الصُّراخ على الميت ونحوه ، ولكن الشيخ الفاضل رضي بالوجود ، ثم إن المؤلف – أعني ابن شاكر الكتبي – صرَّح في أول الخبر بأنه نقله من كتاب الأغاني ، فلم يرجع الشيخ إلى كتاب الأغاني ، على حين كان ذلك من السهولة بمكان ، قال أبو الفرج : « فقتل ضِرارُ بن الأزور مالكاً ، فسمع خالد الواعية ، فخرج وقد فرغوا منه (١) » . وقال محقق ذلك الجزء من الأغاني : « الواعية الجَلَبة والصُّراخ على الميت ونعيه . ح الراعية ، وفي سائر النسخ ما عداها ومب الداعية ، صوابها من النسختين والطبري » . قلت : صوابها قبل كل شيء من السليقة العربية والذوق اللغوي العربي وعليها اعتمدت .

---

(١) الأغاني « ج ١٥ ص ٣٠١ طبعة دار الكتب المصرية » .

٢٥ — وورد في الصفحة ٣١٠ في ترجمة نصير الدين الطوسي وذكر تآليفه « ورسالة أبي نجم الدين الكاتبي » فمن أبو نجم الدين الكاتبي ؟ الصحيح أن « أبي » تصحيف « إلى » فهي رسالة علمية أرسل بها النصير الطوسي إلى نجم الدين ، ومَن نجم الدين هذا ؟ مرّ به الشيخ وهو المترجم في هذا الجزء نفسه – ص ١٣٤ – باسم « علي بن عمر بن علي العلامة نجم الدين الكاتبي (كذا) دبيران بفتح الدال المهملة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء وبعدها راء وألف ونون القزويني المنطقي الحكيم » . وقال الشيخ معلقاً على الكاتبي : « في ب الكاتبي » . ووقف عند هذا القول ، لأنه لم يجد مرجعاً تاريخياً آخر لهذا العلامة . والذي علمناه وحفظناه هو « الكاتبي » بالتاء والباء وكذلك ورد في ترجمة الصفدي له ، قال : « علي بن عمر بن علي العلامة نجم الدين الكاتبي دبيران (بفتح الدال ...) القزويني المنطقي الحكيم [1] ... » وكأن ابن شاكر نقل ما ذكر الصفدي بنصه ونسي ذكر سنة مولده . وقال حاجي خليفة في « الملخص » من كشف الظنون : « الملخص في الحكمة والمنطق للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة ست وستمائة وشرحه أبو الحسن علي بن عمر القزويني الكاتبي [2] ... » . وقد كان قال في « الشمسية » من كتابه المذكور : « الشمسية من مختصر في المنطق لنجم الدين عمر بن علي القزويني المعروف بالكاتبي » . وقال الصفدي في ترجمة ابن واصل الحموي : « وحضر حلقته نجم الدين الكاتبي المعروف بدبيران المنطقي [3] » . وكرّر الصفدي هذه الجملة ولم ينقص منها حرفاً في تاريخه للعميان [4] . وفذلكة القول أن

(١) الوافي بالوفيات « نسخة مجمع اللغة العربية بدمشق المصورة « و ١٣١ » .
(٢) كشف الظنون « طبعة وكالة المعارف التركية ، العمود ١٨١٩ » ومنه أي من شرح الملخص نسخة في دار كتب ليدن واسمه فيه « الكاتبي » .
(٣) الوافي بالوفيات « ٣ : ٨٥ » .
(٤) نكت الهميان « ص ٢٠١ » .

التواريخ والفهارس والاجازات أجمعت على أنه «الكاتبي» حتى جرجي زيدان وإن كان متأخراً لا يتخذ وحده حجة فقد قال تحت عنوان «العلوم الدخيلة في العصر المنولي: ... في الفلسفة ١ - نجم الدين الكاتبي القزويني ويعرف بدبيران توفي سنة ٦٥٧ له الرسالة الشمسيَّة في القواعد المنطقية (١) ...». وورد كذلك في كتاب الاجازات من بحار الأنوار للعلامة محمد باقر الإيراني المجلسي، وروضات الجنات للخونساري.

٣٦ — وجاء في الصفحة ٣١١ من الترجمة المذكورة «قال شمس الدين الحريري قال حسن بن أحمد الحكيم ...». فالمؤلف نقل قول مؤرخ من المؤرخين، والذي علمناه وحفظناه أنه «شمس الدين الجزري» لا الحريري، وإذ كان ابن شاكر الكتبي قد اقتبس أكثر تراجم كتابه من الوافي بالوفيات فلننظر ماذا يقول في ترجمة النصير الطوسي خاصاً بهذه المسألة، قال: «قال شمس الدين الجزري قال حسن بن أحمد الحكيم (٢)». وشمس الدين الجزري من مشهوري المؤرخين وإن لم يطبع تاريخه.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢٧ — وورد في الصفحة عينها «والرصد البيساني في حدود الشام». فعلق الشيخ عليه ما نصه «في ت البنياني». ولم يعلم القارئ الشادي أيهما الصواب. وجاء في كتاب الصفدي المذكور «والرصد البناني في حدود الشام (٣)». والكتاب مطبوع باعتناء المستشرق هـ. ريتر، ولم يعلق ريتر عليه شيئاً، والصواب «الرصد البتّاني» نسبة إلى عبد الله محمد بن جابر الحراني البتّاني، قال القفطي: «وكان بعض أرصاده التي ضمّنها زيجه في سنة تسع وستين ومائتين من الهجرة، ومن ذلك في سنة سبع وثمانين [ومائتين]

(١) تاريخ آداب اللغة العربية «٣: ٢٥٠».
(٢) الوافي بالوفيات «١: ١٨٢ طبعة استانبول سنة ١٩٣١».
(٣) الوافي بالوفيات «١: ١٨٣».

ولا يعلم أحد في الإسلام ، بلغ مبلغــه في تصحيح أرصاد الكواكب وامتحان حركاتها »(١) .

وقال ابن خلكان : « أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان الحراني الأصل ، البتّاني الحاسب المنجم المشهور صاحب الزيج الصابي ، له الأعمال العجيبة والأرصاد المتقنة ، وأول ما ابتدأ بالرصد في سنة أربع وستين ومائتين إلى سنة ست وثلاثمائة ، وأثبت الكواكب الثابتة في زيجه لسنة تسع وتسعين ومائتين ، وكان أوحد عصره في فنه ، وأعماله تدل على غزارة فضله وسعة علمه ، وتوفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة عند رجوعه من بغداد بموضع يقال له قصر الحضر ولم أعلم أنه أسلم لكن اسمه يدل على إسلامه ، وله من التصانيف الزيج وهي نسختان أولى وثانية ، والثانية أجود ... والبتّاني بفتح الباء الموحدة وقال أبو محمد هبة الله بن الأكفاني : بكسرها ، وبتشديد التاء المثناة من فوقها وبعد الألف نون . هذه النسبة إلى بتّان وهي ناحية من أعمال حرّان (٢) ... » . وفي هذا كفاية للإثبات .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢٨ — وورد في الصفحة ٣١٤ « اشتغل بالحلة على عميد الرؤساء أيوب » وقال في الحاشية معلقاً : « في ب حميد الرؤساء » . وقد أشرنا إلى ذلك في النقدة الحادية والعشرين وبرهنا على أن عميد الرؤساء هبـــة الله بن أيوب لا هبة الله أيوب ولا حميد الرؤساء ولا سيد الرؤساء فأغنى ذلك عن الإعادة .

٢٩ — وورد في الصفحة ٣١٩ ترجمة من اسمه في هذه الطبعة من هذا الكتاب « محمد بن محمد بن بنان أبو طاهر بن أبي الفضل الـكاتب ، من أهل

(١) أخبار الحكماء « ص ٢٨٠ طبعة ليبزيك » .

(٢) وفيات الأعيان « ٢ : ١٩٦ طبعة إيران وهي أصح الطبعات إلى الآن » . وقال الذهبي في المشتبه : « وبكسر ذلك وقيل بالفتح والتشديد (البتّاني] محمد بن جابر ابن سنان الحراني البتاني الصابي صاحب الزيج ، هلك بعد الثلاثمائة » .

مصر وأصله من الأنبار » . فعلّق عليه المحقق ما هذا نصه « له ترجمة في شذرات الذهب ٤ : ٣٢٨ وسماه محمد بن محمد بن أبي طاهر بن محمد بن بيان الأنباري ، وقال : توفي في ربيع الآخر من سنة ٥٩٦ وله تسع وثمانون سنة ، وذكره الذهبي في وفيات ٥٩٦ محمد بن محمد بن بيان الأنباري ، وفي حسن المحاضرة للسيوطي محمد بن محمد بن أبي الطاهر محمد بن بيان الأنماري » .

قلنا : إذا لم ينص المؤلف على الحروف المشتبهة فليس لنا حق في أن نلقي المهدة عليه ، ثم إن تعليق الشيخ لم يقفنا على الوجه الصحيح في تسمية هذا العين من الأعيان ، فالصحيح الرجوع إلى الكتب الضابطة . قال الزكي المنذري في وفيات سنة ٥٩٦ : « وفي ليلة الثالث من شهر ربيع الآخر توفي القاضي الأثير ذو الرئاستين أبو الطاهر محمد ابن القاضي الأجل ذي الرئاستين أبي الفضل محمد ابن القاضي الأجل ذي الرئاستين أبي الطاهر محمد بن بُنان الأنباري الأصل المصري المولد والدار الكاتب ، بالقاهرة ودفن من الغد . ومولده بالقاهرة سنة سبع وخمسمائة . وبُنان بضم الباء الموحدة وفتح النون وبعد الألف نون أخرى[1] » . وقد نقلنا هذا الضبط إلى حاشية ترجمته في مختصر تاريخ ابن الدبيثي[2] .

٣٠ — وجاء في الصفحة ٣٢١ ترجمة أبي الحسن محمد بن محمد بن أحمد البُصروي وجاء فيها « وبُصرى قرية بدجيل دون عكبرة » ، كذا وردت عكبرة بالهاء ، وأشار المحقق إلى أن للرجل ترجمة في النجوم الزاهرة ومعجم البلدان — يعني في بُصري — على حين أن له ترجمة في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي « ٣ : ٢٣٦ » والمنتظم لأبي الفرج ابن الجوزي « ٨ : ١٥٢ »

---

(١) التكملة لوفيات النقلة « نسخة المجمع العلمي العراقي المصورة ، الورقة ٣ » .

(٢) المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله ابن الدبيثي « ١ : ١٢٢ طبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥١ بتحقيقي » .

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

والوافي بالوفيات للصفدي « ١ : ١٢٠ » . قال الخطيب البغدادي : « محمد بن محمد بن أحمد بن خلف أبو الحسن الشاعر البصروي ، من أهل بُصرى وهي قرية دون عكبرا » . فهي إذن إما « عكبرا » وإما عكبراء لا « عكبرة » كما جاء في فوات الوفيات بتحقيق الشيخ ، وكأن الصفدي نقل قول الخطيب فقد قال : « وبصرى قرية بدجيل دون عكبرا » . وقال ياقوت : « عكبرا بضم أوله وسكون ثانيه وفتح الباء الموحدة وقد تمد وتقصر والظاهر أنه ليس بعربي » .

٣١ وورد في الصفحة ٣٤٣ « محمد بن أحمد بن الحسين بن محمود الفدوخي أبو نصر الكاتب الأوّابي » . هكذا ورد « الفدوخي » و « الأوّابي » بتشديد الشيخ للواو ، من غير أن يحيل على كتاب أو يذكر الأسباب ، لأنه لم يجد لترجمته مظنة غير هذا الكتاب ، فلماذا يشدّد الواو وأكد صحّة الباء ؛ والصواب « محمد بن أحمد بن الحسين بن محمود بن أبي عبد الله ابن علي بن محمود الفروخي أبو نصر الكاتب الأواني [1] » . فالفروخي وهو من الأنساب المشهورة تصحف عليه إلى « الفدوخي » . والأواني تصحف عليه إلى « الأوابي » فشدّد الواو ، وقال العماد الأصفهاني الكاتب : « السديد أبو نصر محمد بن أحمد بن محمود الفروخي الكاتب الأواني ، من قرية يقال لها أوانا بدجيل وهي ذات سوق كالبلدة كبيرة [2] » .

وقال ابن العماد في وفيات سنة ٥٥٧ : « وفيها أبو نصر محمد الفروخي الكاتب ، كان أديباً فاضلاً ، من شعـــره ... » [3] . وأورد له بيتين ،

(١) الوافي بالوفيات « ١ : ١٠٩ ، ١١٠ » .
(٢) خريدة القصر « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٣٢٧ الورقة ٨٢ » .
(٣) شذرات الذهب « ٤ : ١٨٠ » .

ولا أرى حاجة إلى ذكر الكتب الخطية كذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي وتاريخ الإسلام للذهبي وإنما أجتزئ باختصار الذهبي لتاريخ ابن الدبيثي فإنه مطبوع وقد جاء فيه « محمد بن أحمد بن محمود بن الحسين الكاتب أبو نصر ، من أهل أوانا (١) ـ يعني الأواني ـ والد شيخنا محمود وكان كاتباً شاعراً توفي سنة سبع وخمسين وخمسمائة (٢) » . ومما ذكره ياقوت في معجم البلدان قال : « أوانا بالفتح والنون ، بليدة كثيرة البساتين والشجر ، نزهة من نواحي دجيل ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من جهة تكريت وكثيراً ما يذكرها الشعراء الخلعاء في أشعارهم ... وينسب إلى أوانا قوم من أهل العلم ... وأبو نصر محمد بن أحمد بن الحسين بن محمود الأواني ، كاتب سديد وشاعر مجيد وله رسائل مدونة وأشعار حسان منها رسالة في حسن الربيع أجاد فيها وله غير ذلك ومات بأوانا سنة « ٥٥٧ » .

٣٢ ــ وورد في الصفحة ٣٤٥ في ترجمة ابن سيد الناس أبي الفتح محمد ابن محمد اليعمري « فيكاد يدرك القمر ابن السخاوي فماقه بليلتين » . وفي مصدر آخر « الفخر بن النجاري » ذكرها محقق الكتاب في الحاشية وهي الصواب عندي ، وبقي تصحيف في « فماقه » والصواب « ففاته » أي توفي قبل وصول المترجم له إليه بليلتين ، ولو جاءه قبلها لوجده حياً وسمع منه أو قرأ عليه .

٣٣ ــ وجاء في الصفحة ٣٥٦ في ترجمة أبي العبر الهاشمي « وعلى رأسه قطعة رقة حبك مشدود بالشوظة » . وهذه الجملة العربية أحالها التصحيف

(١) قلت في الحاشية : « قال ابن عبد الحق في المراصد : بليدة من دجيل كثيرة البساتين والشجر بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من فوقها ، تحاذي عكبرا ، كانت بينهما الدجلة واستحالت عنهما » .

(٢) المختصر المحتاج إليه « ١ : ٥ طبعة المجمع العلمي العراقي بتحقيقي » .

إلى النبطيّة والسليقة العربية تحكم بأنها في الأصل « وعلى رأسه قطعة رثّة من حبل مشدود بأنشوطة » . أو أنها « وعلى رأسه رُمّة حبل مشدود بأنشوطة » . فشرح بعضهم الرُمّة بالقطعة فأدخلها الناسخ في الأصل ، على ما أحسب .

٣٤ — وجاء في الصفحة المذكورة « وفي كتاب بثر الدر بأبي نوادره » . ولم يبحث المحقق عن كتاب بثر الدر ولا عن مؤلفه ، والصواب « نثر الدر » أو « نثر الدرر » بالنون ، جاء في كشف الظنون « نثر الدرر في المحاضرات لأبي سعيد منصور بن الحسين الآبي المتوفى سنة [٤٢٢] في سبع مجلدات كلها بخطب بلينة على عدة أبواب لم يجمع مثله ... » . وهو كتاب معروف مشهور منه أجزاء في دور كتب العالمين وخزائنها .

٣٥ — وورد في الصفحة ٣٥٦ في ترجمة ابن الظهير الإربلي محمد بن أحمد الأديب « وكانت وفاته سنة سبع وتسعين وستمائة » . وإذا كان الشيخ الفاضل أحال بترجمته على الوافي بالوفيات والجواهر المضيئة لزمته الاستفادة من الإحالة ، ففي الوافي بالوفيات ١ : ١٢٣ « ولما توفي سنة سبع وسبعين وستمائة دفن بمقابر الصوفية » . والفرق عشرون سنة ، وما في الوافي هو الصواب ، أما إحالته على الجواهر المضيئة فأخذها من حاشية ترجمته في الوافي بالوفيات وهي لمحقق ذلك الكتاب ، أعني الوافي ، وهي إحالة ناقصة ومغلوط في أرقامها ، أما نقصانها فان ترجمة هذا الأديب مُوردة في الكتاب على حسب ترتيب اسمه « ٢ : ١٩ » فلم يقف عليها محقق الوافي بالوفيات بل أحال على ترجمة ثانية له في الجواهر المضيئة في باب « ابن فلان » وفيها سنة الوفاة قد سقط رقمها الأوسط فجاءت « ٦٠٧ » وأما سنة وفاته في ترجمته الأصلية فهي سنة « ٦٧٧ » كما في الوافي بالوفيات ، وقال المقريزي في وفيات سنة ٦٧٧ : « وتوفي مجد الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عمر بن أبي شاكر ابن الظهير الاربلي

الحنفي عن خمس وسبعين سنة بدمشق (١) » ، ووهم ابن الفهاد فقد لقبه « الظهير » مع أنه لقب أبيه قال في وفيات سنة ٦٧٧ : « وفيها الظهير العلامة مجد الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن أبي شاكر الاربلي الحنفي الأديب . ولد سنة اثنتين وستمائة باربل . . . (٢) » . ثم إن عمره معلوم وهو « ٧٥ » سنة .

ووردت في الصفحة ٣٧٧ ترجمة « بهاء الدين كافي الكفاة أبي المعالي محمد ابن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون البغدادي الكاتب المؤلف صاحب التذكرة المشهورة التي هي من أمّهات كتب الأدب أو أمتانها على قول بعضهم ، فعلّق الشيخ الفاضل على اسمه ما هذا نصه : « له ترجمة في الوافي ٢ : ٣٥٧ وفي بغية الملتمس ، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان (الترجمة ٦٢٦ بتحقيقنا) . وفي شذرات الذهب ٥ : ٣٢ وسماه الحسن بن محمد بن الحسن وذكر وفاته في سنة ٦٠٨ » .

قلت : الذي ذكره مؤلف الشذرات وأشار إلى اسمه الشيخ الفاضل هو ابنه « الحسن » الأديب المتصرّف المشهور عند المختصين بالتاريخ ، لا هو ، وإنما تابع ابن العماد شمس الدين الذهبي ـ رحمه الله تعالى ـ في وهمه بإسناده تأليف التذكرة إلى الابن (٣) لا إلى الأب مؤلفها بإجماع المؤرخين ، وإجماع نُسخ الكتاب الخطيّة ، وقد ناقض ابن العماد نفسَه بعَزْوِه التذكرة إلى الحسن ابن حمدون ، فإنه قد ذكر الوالد مؤلفها في وفيات سنة ٥٦٢ وفات الشيخ وجدان ترجمته بسبب من أسباب الغفلة التي تعرض لكل إنسان ،

(١) السلوك « ج ١ ص ٦٥١ » .
(٢) الشذرات « ٥ : ٣٥٩ » .
(٣) وذلك في كتابيه « العبر في خبر مَن غبَر » ج ٥ ص ٢٧ وتاريخ الإسلام .

قال ابن العماد في وفيات تلك السنة : « وفيها محمد بن الحسن ابن حمدون صاحب التذكرة الحمدونية ، ولاه المستنجد ديوان الزمام ، ووقف المستنجد على كتابه فوجد فيه حكايات توهم غضاضة من الدولة ، فأخذ من دست منصبه وحبس إلى أن رمس (١) » .

أما ابنه الحسن بن محمد ابن حمدون الذي ظنّه الشيخ إياه فأشهر من أن يذكر ، ترجم له ياقوت الحموي ترجمة مفصلة (٢) ، قال : « الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد بن حمدون أبو سعد بن أبي المعالي بن أبي سعد الكاتب ، قد تقدم ذكر أبيه صاحب الديوان بهاء الدين أبي المعالي وذكر عمه أبي نصر محمد بن الحسن كاتب الإنشاء . . . » . هكذا قال ياقوت مع أن ترتيب كتابه معجم الأدباء ليس على ترتيب كتب التاريخ التي تقدم أسماء المحمدين لشرف هذا الاسم ، فياقوت نقل هذه التقدمة من تاريخ آخر (٣) وما عقلها ولا فكر في دلالتها ، فكيف تقدم اسماهما وترتيبه يوجب إيرادهما في جزء المحمدين المتأخر عن هذا الجزء ؟

هذا وقد وردت ترجمة أبي سعد الحسن ابن محمد بن حمدون في مختصر تاريخ ابن الدبيثي الذي اختصره الذهبي (٤) ، وذكره عز الدين ابن الأثير

---

(١) الشذرات « ٤ : ٢٠٦ » .

(٢) معجم الأدباء « ٣ : ٢٠٩ طبعة مرغوليوث الأولى » .

(٣) الظاهر لي أنه نقلها من ذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي والتاريخ المجدد لمدينة السلام فابن الدبيثي قال في ترجمة الحسن : « وقد تقدم ذكر أبيه وجده » وعنى بجده الحسن بن محمد بن علي ابن حمدون وقد ترجم له .

(٤) المختصر المحتاج إليه « ٢ : ٢٣ طبعة المجمع العلمي العراقي بتحقيقي » .

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

في وفيات سنة ٦٠٨ قال : « وتوفي أيضاً أبو سعد الحسن بن محمد بن الحسن ابن حمدون التغلبي العدوي وهو ولد مصنف التذكرة وكان عالماً » . وقد كان ذكر أباه في حوادث سنة ٥٦٢ ووفاته مسجوناً .

٣٧ – وجاءت في الصفحة ٣٨٣ ترجمة « شمس الدين محمد بن دانيال ابن يوسف الموصلي الأديب المُفتَنّ المشهور ، الذي اختلط شعره بترجمة إبراهيم بن سليمان بن حمزة ابن النجار الدمشقي المجود المتوفى سنة ٦٥١ بعد توليه نقابة الأشراف (١) ، مع أنه كان في هجاء أحمد بن البَقَقي المتهم بالزندقة المقتول عليها سنة « ٧٠١ » بين القصرين (٢) ، وجاء في ترجمة ابن دانيال ما هذا نصه « وكانت وفاته بالديار المصرية في شهور سنة ثمان وسبمائة » . فكيف يهجو المتوفى سنة ٦٠٨ رجلاً قُتل سنة ٧٠١ ؟ ثم إن ابن شاكر قال في ترجمة ابن دانيال هذا : « وقال الشيخ صلاح الدين الصفدي : هو ابن حجاج عصره وابن سكرة مصره » . ولم يراجع الشيخ الفاضل ترجمة ابن دانيال في تاريخ الصفدي للرجال وهو الوافي بالوفيات « ٣ : ٥١ » لأنه لم يُحِل عليه في الحاشية ، وترجمته واردة في تاريخ رجال القرن الثامن لابن حجر ، قال ابن حجر : « مات في ١٢ جمادى الآخرة سنة ٧١٠ (٣) » . وفي تاريخ ابن تغري بردي في حكام مصر قال ابن تغري بردي في وفيات سنة « ٧١٠ » من تاريخه الموصوف : « وتوفي الحكيم الأديب البارع شمس الدين محمد بن دانيال الموصلي صاحب النكت الغريبة والنوادر العجيبة وهو مصنف

(١) راجع الجزء الأول من هذا الكتاب « ص ٨ – ١٠ » .
(٢) راجع الجزء الأول أيضاً « ص ١٣٤ » .
(٣) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٣ : ٤٣٦ » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

الوقوف على الأطلال

من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث

— ٤ — (١)

٣ — تخريب الديار

من المعاني العامة الأساسية في شعر الوقوف على الأطلال ذكر خراب الديار واندثار بقاياها بعد رحيل أهلها . وقد ألح الشعراء على هذا المعنى ، فذكروه كثيراً في أشعارهم ، حتى لا تكاد تخلو منه قصيدة في الوقوف على الأطلال . والصفة العامة التي تشترك فيها الديار وبقاياها جميعاً في هذا الشعر هي صفة القدم والبلى . كما أن الصفة العامة التي تشترك فيها جميع التشبيهات والتصاوير التي أتى بها الشعراء في معرض وصف الديار وبقاياها هي صفة القدم والبلى أيضاً .

وقد ذكر الشعراء في عرضهم هذا المعنى الأسباب في خراب الديار واندثارها . فحاولنا استقراء هذه الأسباب ، فانتهى بنا الاستقراء إلى أن الشعراء يرجعون خراب الديار إلى عاملين اثنين . أحدهما تقادم العهد ومرور الزمن ، وثانيها حوادث الطبيعة .

أما تقادم العهد ومرور الزمن فقد جعله الشعراء سبباً لخراب الديار في شعر الوقوف على الأطلال ، ولكنهم لم يهتموا به كثيراً ، ولم يقفوا عليه

(١) نشر القسم الأول في الصفحات ٣٥١ و ٦٣٥ و ٨٤٩ من المجلد (١٣)

طويلاً ، لما كان يرد في أشعارهم إلا الفينة بعد الفينة . وما كان ذكرهم له مع ذلك إلا سريعاً خاطفاً ، لا يعتمد على تصوير أو تشبيه ، ولا يعدو الإشارة العابرة . قال عَبيدُ بن الأبرص (١) :

تغيَّرت الديارُ بذي الدفينِ   فأودية اللِّوى ، فرمالِ لينِ
فخَرْجَيْ ذِرْوةٍ ، فقَفا ذَيالٍ   يُعَفِّي آيَه سلفُ السنينِ (٢)

فقد تغيرت آيات الديار وتعفت ، لأن مرَّ السنين قد بعدت بها عن أيام غناها بأهلها وساكنيها .

وأما حوادث الطبيعة فقد جعلها الشعراء سبباً لخراب الديار أيضاً ، وذكروها كثيراً في شعر الوقوف على الأطلال ، وتداولوها وأفرطوا في ذلك ، ولا سيما شعراء العصر الأموي . وحوادث الطبيعة التي اعتاد الشعراء أن يذكروها منذ الجاهلية ، ولم يكادوا يخرجون عن ذكرها في العصور التالية ، هي الرياح وما تذريه من التراب والرمال ، والسحاب وما ينشأ عنه من الأمطار والسيول . قال النابغة الذبياني (٣) :

http://Archivebeta.Sakhrit.com

أمن ظَلّامةَ الدِّمَنُ البوالي   بمُرْفَضِّ الحُبَيِّ إلى وِعالِ
تعاوَرَها السواري والغوادي   وما تُذْري الرياحُ من الرمالِ (٤)

* * *

ذكر الشعراء فيما يتعلق بالرياح أنها تعفي الديار ، وتمحوها بما تسفي عليها من الحصى والتراب والرمال ، فتدفنها وتخفيها عن العيون . وقد عدَّدوا في

(١) ديوانه ١٣٢ .
(٢) الخرج بمعنى الوادي هاهنا . وآيه : أي علاماته وآثاره ، واحدها آية .
(٣) ديوانه ٦٤ .
(٤) السواري : السحاب التي تنشأ في الليل ، من سرى يسري ، إذا سار ليلاً . والغوادي : السحاب التي تنشأ في الغداة ، أي الصباح ، من غدا يغدو ، إذا سار في الغداة .

معرض ذلك أكثر أنواع الرياح المعروفة عند العرب ، ومنها الرياح اللينة اللطيفة مثل ريح الصَّبا ، ومنها الرياح الشديدة العنيفة مثل ريح الشمال . وذكروا منها أيضاً الرياح التي تهب في فصول السنة المختلفة ، كالصايف وهي الرياح التي تهب في الصيف ، والرابع وهي الرياح التي تهب في الربيع .

وقد عمد الشعراء في ذكر الرياح إلى شيء من الوصف والتصوير . فشبهوا أنينها بحنين النوق وهي تحنّ إلى أولادها التي سُلِبَتْ منها حنيناً حزيناً موجعاً . قال إياس بن عامر أعشى طرود (١) :

وعَرْصةُ الدار تستنُّ الرياحُ بها تحنُّ فيها حنينَ الوالهِ السَّلِبِ (٢)

والتشبيه واقع بين حنين النوق الحزين الرتيب وبين دوي الريح الكئيب الرتيب حين هبوبها ومرورها بالديار . ولم يكثر الشعراء من تشبيه صوت الرياح بحنين النوق ، فلم ترد هذه الصورة في شعر الوقوف على الأطلال إلا نادراً . وربما كان السبب في ذلك دقة هذه الصورة ، وحاجتها إلى حس رهيف دقيق ، يخترق حجاب الواقع المنظور إلى ما لا تراه العينان .

على أن هؤلاء الشعراء قد أكثروا في وصف تخريب الديار من تشبيه الرياح بالعروس وبأذيال ثوبها التي تجرها وراءها . قال الأسود بن يعفر في ذلك (٣) :

جَرَّتْ بها الريحُ أذيالاً مُظاهَرَةً كما تجرُّ ثيابَ الفُوَّةِ العُرُسُ (٤)

---

(١) ملحقات ديوان الأعشى ٢٨٤ .

(٢) تستن الرياح بها : أي تسرع فيها .

(٣) ملحقات ديوان الأعشى ٣٠٠ ، واللسان (فو) .

(٤) الفوة : عروق نبات يستخرج من الأرض ويصبغ بها الثياب . والعرس : جمع عروس .

وقال عبيد بن الأبرص (١) :

جرَّتْ عليها رياحُ الصيف، فاطردتْ والريحُ فيها تعفيها بأذيال (٢)

فالريح تمر بالديار وقد جرت وراءها سحباً من التراب والرمال ، تطمس بها آثار الديار ، كما تجر العروس أذيال ثوبها خلفها ، وتطمس بها آثار أقدامها على الأرض .

وقد لاحظ الشعراء حركة الرياح الدورية في دفن آثار الديار بما تحمله من التراب والرمال ، ثم الكشف عنها بنسف التراب والرمال . فكلما دفنته هذه بالرمل سفرت عنه الأخرى الرمل وأظهرته . لاحظوا هذه الحركة الدائمة ، وشبهوها بعمل النسج ، نسج الثياب .

قال امرؤ القيس في مطلع معلقته (٣) :

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزلِ بسقط اللوى بين الدخول فحوملِ

فتوضحَ فالمقراةِ لم يعفُ رسمُها لما نسجتْها من جنوب وشمألِ (٤)

فشبه حركة الرياح الدورية من جنوب مرة وشمال مرة بعمل نسج الثياب ، لأن الحائك يداول في حركته أثناء النسج يمنة مرة ، ويسرة أخرى .

وقال ذو الرمة في ذلك أيضاً (٥) :

خليليَّ ، عُوجا عوجةً ناقتيكما على طلل بين القلات وشارعِ

به ملعبٌ من مُعْصِفات نسجْنَه كنسج اليماني بُرْدَه بالوشائعِ (٦)

(١) ديوانه ١٠٧ .
(٢) جرت عليها : أي جرت الريح التراب عليها كما تجر العروس أذيال ثوبها .
(٣) ديوانه ٨ .
(٤) نسجتها : تعاقبت عليها مرة هذه ومرة هذه . والجنوب : ريح الجنوب . والشمأل : ريح الشمال .
(٥) ديوانه ٣٥٥ .
(٦) المعصفات . الرياح الشديدة والوشائع : لفائف الغزل ، واحدتها وشيعة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فالرياح العاصفة تلعب بالديار ، وتنسج آثارها بألوان وأشكال مختلفة كما ينسج الصانع اليماني الثوب ، ويزينه بالوشائع . والصورة هنا تختلف عن الصورة الأولى ، لأن امرأ القيس اهتم بالحركة ، وعُني برسم حركة المداولة في هبوب الرياح على آثار الديار ، وفي عمل الحائك في نسج الثوب ، بينما اهتم ذو الرمة بالألوان والأشكال الحادثة من عصف الرياح بآثار الديار ، ومن تزيين الصانع ثوبه بالوشائع حين نسجه .

* * *

وأما فيما يتعلق بالسحاب وتخريبها الديار فقد جعل الشعراء السحاب تعفي الديار بما ينشأ عنها من أمطار وسيول تمحو الرسوم ، وتجرف الدمن ، وتهدم النُّؤيَ . وقد أكثروا من وصف السحاب والأمطار والسيول في معرض وصف تخريب الديار ، وأكثروا من ذكر أنواعها وأشكالها وألوانها ، دون أن يعمدوا كثيراً إلى التصوير والتشبيه . ولكنهم وصفوا خلال ذلك العواصف وثورات الطبيعة وزحف السحاب وهطول الأمطار ، فأتوا من ذلك بصور جميلة شيقة ، ولا سيما شعراء العصر الأموي . ولقد فاق الأخطل أصحابه في ذلك كله . وهذا وصف له لعاصفة هبت على آثار ديار أحبته [١] :

دِمَنٌ تدعذعها الرياحُ ، وتارةً تُسْقى بمرتجز السحاب ثقالِ [٢]
باتت يمانيةُ الرياح تقــــوده حتى استقاد لها بغير حبالِ [٣]

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) ديوانه ١٥٦ – ١٥٧ .
(٢) الدمن : الآثار التي يتركها الناس في الديار ، واحدتها دِمْنة . وتدعذعها : تفرقها .
(٣) تقوده : أي تقود الرياح السحابَ .

في مظلم غَدِق الرَّباب ، كأنما يَسْقي الأشقَّ وعالجاً بدوالي (١)

فهو يصور هنا عاصفة ثائرة ، نرى فيها الرعد مرتجزاً مدوياً ، والسحاب متراكماً ثقيلاً ، تدفعه الرياح الهائجة ، فيتدافع ويقبل بالمطر غزيراً كثيفاً ، وقد أظلم الجو ، واسودت جوانب السماء . وكل ذلك في لفظ يسير ، وجمل قليلة قصيرة ، تمضي سريعة كسرعة العاصفة الهائجة .

٤ — الحيوان الذي يألف الديار

كان العرب في الصحراء يتوخَّوْن في الأرض التي ينزلونها الخصب والإنبات وملاءمة شروط الحياة . ولذا كانوا يختارون أخصب الأماكن ، وأغناها بالماء والكلأ لنزولهم . ويبدو لنا أن وحوش الصحراء كانت تألف هذه الأراضي أيضاً ، وتوطن بها ، بعد أن يخليها أهلها ، ويرحلوا عنها . كأن لها غريزة تشبه غريزة الإنسان في البحث عن المكان الملائم لشروط حياتها .

وكان العرب يمرون في أسفارهم وترحلاتهم بالديار التي هجروها ، فيرون الحيوانات تسرح وترتع في الأماكن التي عمروها هم في الأيام الماضية ، وقضوا فيها شطراً من حياتهم ، يرونه عزيزاً غالياً ، فكان ذلك يؤلمهم ويثير في نفوسهم ذكريات حلوة جميلة . ولذا كان الشعراء يذكرون هذه الحيوانات التي أوطنت بديارهم في شعر الوقوف على الأطلال ، كأن نفوسهم تأسى لذلك ، وكأن لسان حالهم يقول : ما أقسى صروفَ الأيام ! لقد عمرنا هذه الديار حيناً من الدهر ، ثم اضطررنا لهجرها ، فسكنتها بعدنا الوحوش . وكأننا

(١) في مظلم : أي في سحاب مظلم ، والسحاب المظلم يكون مليئاً بالماء . والغدق : السحاب الغزيرُ المطر . والرباب : السحاب المتعلق الذي تراه كأنه دون السحاب . والأشق وعالج : موضعان . والدوالي : جمع دالية ، وهي الدولاب يديرها الثور ، أو الناعورة لسقي الأرض .

بهؤلاء الشعراء يضنون بهذه الديار على الوحوش ، لأن فيها بقية من ذكريات حياتهم الماضية ، ما زالت أطيافها تتردد جائية ذاهبة في ساحاتها وجنباتها .

ومها يكن من أمر فقد ذكر الشعراء الحيوانات التي تألف الديار في شعر الوقوف على الأطلال ، وأكثروا من ذكرها ، حتى جعلوا ذلك معنى من المعاني اللازمة التي وردت في هذا الشعر على مدى العصور .

وحيوانات الصحراء قليلة ليست بالكثيرة . ومن استقراء شعر الوقوف على الأطلال نجد أن الشعراء لم يذكروا فيه سوى البقر الوحشي والظباء والنعام ، وصغار هذه الحيوانات أحياناً ، ثم الطيور ، ولا سيما الحمام . وقد أكثر الغزلون البداة من ذكر الحمام ، وتفننوا بصوته خاصة دون غيرهم من الذين سبقوهم أو الذين جاءوا بعدهم .

ويمكننا أن نقول إن الشعراء قد ذكروا هذه الحيوانات في معرض وصف الديار بالخلو والإقفار . فمرة يقولون إن الديار خالية مقفرة ، ليس بها أحد سوى قطيع من البقر ، أو سرب من الظباء ، أو إجل من النعام ، كما قال المرقش الأكبر (١) :

أمستْ خــلاءً بعد سكانها مقفرةً ما إنْ بها من إرَمْ (٢)
إلاَّ من العِين ترَعَّى بهـا كالفارسيِّين مشَوْا في الكُمَمْ (٣)
بعد جميع قد أراهم بهـا لهم قِبابٌ ، وعليهم نَعَمْ (٤)

ومرة يقولون إن الديار قد أقفرت من ساكنيها ، وتبدلت بهم الحيوانات ،

(١) المفضليات ٢٢٩ .
(٢) من إرم : أي من أحد .
(٣) العين : بقرات الوحش ، واحدتها عيناء . والكمم : القلانس .
(٤) الجميع : القوم المجتمعون النازلون في موضع واحد . وعليهم نعم : أي لهم أنعام تروح عليهم ، وهي الإبل .

كما قال النابغة الذبياني (١) :

عهدتُ بها حياً كراماً فبُدِّلَتْ ... خناطلَ آجالِ النعام الجوافلِ (٢)
ترى كلَّ ذيّالٍ يعارضُ رَبْرَباً ... على كل رَجّافٍ من الرمل هائلِ (٣)
يثرن الحصى حتى يباشرنَ برده ، ... إذا الشمسُ مجّتْ ريقها بالكلاكلِ (٤)

وقد وصف الشعراء هذه الحيوانات بصفات كثيرة ، وشبهوها في أثناء ذلك تشبيهات مختلفة ، حسب أنواعها كما رأينا في المثالين اللذين ذكرناهما . ولكنهم لم يقفوا على صور معينة يتداولونها ، ولا يخرجون عنها ، كما كان الأمر في وصف الديار وتصويرها مثلاً . ونحن نذكر ، إلى المثالين السابقين ، طرفاً من هذه التشبيهات على سبيل المثال .

شبَّهَ طرفة النعامَ بالإماء ، وهن يحملن حزمَ الحطب على رؤوسهن في قوله (٥) :

حابسي رسمٌ وقفتُ به ... لو أطيعُ النفسَ لم أرِمُهْ
لا أرى إلا النعامَ به ... كالإماء أشرفتْ حزَمُهْ

والصورة طريفة جداً ، فالنعام قوائمه طويلة ، تبدو دقيقة بالقياس إلى جسمه الثقيل المشرف ، ويزيده إشرافاً ريشه المتدلي على جانبيه . وهو

---

(١) ديوانه ٦٣ .

(٢) الخناطل : الجماعات ، واحدتها خنطلة وخنطل . والآجال : قطعان النعام ، واحدها إجل .

(٣) الذيال : ثور الوحش الطويل الذيل والربرب : قطيع بقر الوحش . والرجاف من الرمل : الذي يتحرك وينهار حين وطئه من لينه . والهائل : الذي ينهال .

(٤) ريق الشمس : لعابها وهو يبدو في الهاجرة كأنه يسيل من شدة الحر . بالكلاكل : أي يثرن الحصى بالكلاكل ، وهي الصدور ، واحدها كلكل .

(٥) ديوانه ١٥٠ .

يُشبه بهذه الحالة الإماءَ اللواتي يحملن حزمَ الحطب على رؤوسهن ، فتبدو أجسامُهن دقيقةً رقيقةً تحت هذه الحزم العريضة المشرفة .

وشبَّهَ عبيد بن الأبرص الظباءَ بأباريق الفضة في قوله (١) :

بُدِّلَتْ منهـــم الديارُ نعـاماً خاضباتٍ يُزْجِين خَيْطَ الرئالِ (٢)
وظبـــاءً كأنهن أباريقُ لُجَيْنٍ ، تحنو على الأطفـالِ

والصورة هنا طريفة جداً أيضاً . والظباء تشبه أباريقَ الفضة حقاً بطول أعناقها وحسنها في دقتها ورقتها ورشاقتها وبياضها .

وقد أكثر الشعراء من وصف بقر الوحش بالعَيَن وطول الذيل والخَنَس . قال النابغة الذبياني (٣) :

أهاجكَ من سُعْداكَ مغنى المعاهدِ بروضة نُعْميَّ فذات الأساودِ
تعاوَرَها الأرواحُ ينسِفْنَ تربَها وكلُّ مُلِثٍّ ذي أهاضيبَ راعدِ (٤)
بها كلُّ ذيَّالٍ وخنساءَ ترعوي إلى كل رجّافٍ من الرمل فاردِ (٥)

وهم قد أكثروا أيضاً من وصف هذه الوحوش بأنها مَوْشيَّةُ الأكارع ، ولا سيما الشعراء الأمويون ، حتى صار ذلك شبه قاعـــدة عامة عندهم .

---

(١) ديوانه ١٠٦ .

(٢) نعام خاضبات : خضب الكلأ سيقانها في الربيع . والخيط : جماعة النعـام . والرئال : فراخها ، واحدها رأل .

(٣) ديوانه ٣٣ .

(٤) تعاورها : تداولها هذه مرة ، وهذه مرة . والملث : السحاب يكون مطره دائماً . والأهاضيب : دفعات المطر .

(٥) الخنساء : بقرة الوحش التي في أنفها خَنَس . وترعوي : تعطف وترجع . والرجاف من الرمل : الذي يتحرك وينهار فيه .

قال الأخطل (١) :

فما به غيرُ مَوْشيٍّ أكارِعُه إذا أحسَّ بشخص نابئٍ مَثَلا (٢)
يرعى بخَنيفَ أحياناً ، وتُضمُره أرضٌ خلاءٌ وماءٌ سائلٌ غَلَلا (٣)

والشعراء منذ الجاهلية قد اعتادوا كذلك عند ذكر هذه الحيوانات أن يذكروا معها صغارَها أحياناً ، وهي تتبع أمّاتها ، أو تمشي أمامها .

قال زهير (٤) :

هاج الفؤادَ معارفُ الرسمِ قفرٍ بذي الهضبات كالوشمِ (٥)
تمتاده عِينٌ ملمعةٌ تُزجي جآذرَها مع الأُدمِ (٦)

(يتبع) الدكتور حمزة حسن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) ديوانه ١٣٨ ـ ١٣٩ .
(٢) موشي أكارعه : أي ثور في قوائمه سواد وبياض . ومثل : أي إذا أحس بشخص آت زال عن موضعه .
(٣) خنيف : واد بالجزيرة . وسائل غللا : أي يسيل متغلغلا من مكان إلى مكان .
(٤) ديوانه ٣٨٢ .
(٥) معارف الرسم : علاماته المعروفة .
(٦) العين : بقرات الوحش ، واحدتها عيناء ، سميت بذلك لسعة أحداقها . والملمعة : التي بها لمع تخالف سائر لونها . والجآذر : أولادها ، واحدها جؤذر . والأدم : الظباء البيض .

أبو علي القالي وكتابه الأمالي

هو أبو علي القالي البغدادي . واسمه اسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان . وجده سلمان هذا مولى عبد الملك ابن مروان الأموي (١) . ولد سنة ٢٨٨ هـ ، ٩٠١ م . وقيل سنة ٢٨٠ هـ في بلدة « منازجرد » أو « منازكرد » في إرمينية من أعمال ديار بكر بالقرب من بحيرة « وان » التي تقع شرقي الفرات . ومنازجرد — كما يقول ياقوت — بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم (٢) ، وأهلها أرمن وروم ، وفيها قلعة عرفت بهذا الاسم . غير أننا لا نجنح إلى رأي ياقوت الذي ينعت منازجرد بأنه مشهور ، بدليل أن أبا علي نفسه عدل عن الانتساب اليه وآثر بلداً آخر أكثر شهرة وهو « قالي قلا » ، الذي كان مركزاً للمجاهدين والغزاة المسلمين . وإلى منازجرد ينتسب الشاعر أبو نصر المنازي صاحب الأبيات المشهورة في وصف الطبيعة ، ومنها قوله :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا حنوّ المرضعات على الفطيم
يروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

وحين بلغ أبو علي الخامسة عشرة من عمره شعر أن منازجرد القصية لا تتسع لمطامحه فشد الرحال إلى بغداد طلباً للعلم ، وكانت منتجع الأدباء

---

(١) انظر وفيات الأعيان ١ : ٢٠٤ . وفي إنباه الرواة ١ : ٢٠٧ لا يرد ذكر لسلمان بل سليمان عوضاً عنه ، كما يذكر الحميدي في جذوة المقتبس أن جده سليمان كان مولى محمد بن عبد الملك .

(٢) معجم البلدان ٥ : ٢٠٢ . وخلاط كما يذكر ياقوت عاصمة ارمينية .

وقبلة الطلاب والمريدين ، وفي ابهاء مساجدها كان يتربع شيوخ اللغـة والأدب والنحو .. ومن حولهم حلقات حاشدة من طلاب المعرفة أمثال القالي . وقد روى أبو علي نفسه قصة رحلته ولقبـه لتلميذه أبي بكر الزبيدي صاحب « مختصر العين » ، فقال :

« رحلت إلى بغداد سنة ثلاث وثلاثمئة ، فأقمت بالموصل ، وكتبت عن أبي يعلى الموصلي وغيره . ثم دخلت بغداد سنة خمس وثلاثمئة ، فأقمت بها إلى سنة ثمان وعشرين وثلاثمئة . . . » قال الزبيدي : « وسألت أبا علي لم قيل له القالي ؟ فقال :

« لما انحدرنا إلى بغداد كنا في رفقـة ، فيها أهل قاليقلا ، فكانوا يحافظون لمكانهم من الثغر ، ورأيت الناس يعظمونهم . فلما دخلت بغداد انتسبت إلى قاليقلا وهي قرية في منازجرد ورجوت أن انتفع بذلك عند العلماء فلم انتفع بذلك ، وعرفت بالقالي »

ARCHIVE
http://ArchiveBeta.Sakhrit.com

وفي هذا النص ما ينم على عصامية القالي ، وأنه وهو الغريب في بلد كبير مثل بغداد كان عليه أن يبدأ الطريق من أوله وأن يجد له مكاناً بين الزحام ، حتى قيض له أن يبلغ أقصى درجات الشهرة في المشرق والمغرب .

ونحن لا نعرف الكثير عن هـذه المرحلة من حياة أبي علي مرحلة إقامته بالعراق . وبوسعنا القول إنه استطاع أن يعقد صلات علمية وثيقة مع شيوخ العلم في الموصل وبغداد ، وأن نباهته لفتتهم إليه وجعلته مقرباً اليهم . وأغلب الظن أن شهرته أخذت تستفيض بعد وفاة اكثر شيوخه وبخاصة ابن دريد صاحب كتاب « الجمهرة في اللغة » . وإذا ذاك استقل ابو علي* بشخصيته وتم له النضج ، وغدا بذكائه واقتداره في الرواية وتمكنه في اللغـة ذا شأن في بغداد . يؤيد ذلك ما تذكره كتب الأدب

والتراجم من أمر إرسال خليفة قرطبة الأموي اليه يستدعيه وهذا يعني استفاضة شهرته حتى بلغت الأندلس. وقد يكون من أسباب إيثاره دون سائر العلماء بهذه الدعوة السامية أن جده البعيد سلمان أو سليمان في بعض الآراء كان مولى لعبد الملك بن مروان الأموي. غير أن بروكلمان يجنح إلى خلاف هذا الرأي، فيرى أنه لم ينبه للقالي ذكر في بغداد وأنه «لما لم ير بعد دأب خمس وعشرين سنة أن دراساته قد أينع ثمرها وآنت أكلها عوّل على الرحيل إلى بلاد المغرب»(١). ويبدو أن بروكلمان يفترض أن أبا علي رحل عن العراق مهاجراً يائساً، ويغفل أمر دعوة الخليفة الأندلسي له، وفرق كبير بين هذا الحافز وذاك.

ومهما يكن من أمر فقد كان خروج أبي علي من بغداد قاصداً إلى المغرب سنة ٣٢٨ هـ وكانت سنه يومئذ تناهز الأربعين. وقد مر أبو علي بأرض مصر حيث علم بوفاة احمد بن عبد ربه(٢) صاحب كتاب «العقد الفريد». ثم بلغ المغرب ووصل الأندلس سنة ٣٣٠ هـ بعد نحو ثلاث سنوات، فاستقبل استقبالاً عظيماً وكان في مقدمة مستقبليه الأمير الحكم ولي العهد ولفيف من وزراء والده الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله ثامن ولاة الأندلس من الأمويين في قرطبة، وكان أول من تلقب بألقاب الخلافة وتسمى بأمير المؤمنين وأقوى من حكم الأندلس. وكان الناصر قد استدعاه بعد أن بلغته شهرته وعلم فضله، فوكل إليه أمر تعليم ابنه، وعهد إليه بتربيته وتهذيبه، «فتلقاه الحكم بالجميل، وحظي عنده، وقرب منه، وبالغ في إكرامه. ويقال إنه هو كان قد كتب اليه، ورغّبه في الوفود عليه. وكان قبل ولايته الأمور وبعد أن صارت اليه، يبعثه على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) تاريخ الأدب العربي ٢ : ٢٧٨.

(٢) تراث الإنسانية، العدد الأول من المجلد الخامس. بقلم الدكتور أحمد كمال زكي.

التأليف وينشطه بواسع العطاء ويشرح صدره بالإفراط والإكرام »(١) ويعد الحكم بن عبد الرحمن من أشدّ ملوك الأندلس شغفاً بالعلم وأكثرهم اشتغالاً به وحرصاً عليه . وبعضهم يعزو إلى القالي هذا الفضل وأنه غرس في نفس تلميذه الحكم حب المعرفة (٢) ، ولكننا لا نذهب إلى هذا المدى في تأثير أبي علي في الحكم ، لأن الحكم كان في الثامنة والعشرين من عمره سنة وصول أبي علي إلى الأندلس (٣) .

استوطن أبو علي قرطبة ونشر علمه بها وألف فيها أكثر كتبه ، وفي طليعتها كتاب الأمالي والنوادر وكتاب البارع في اللغة ، وكان يملي معارفه أيام الأخمسة بقرطبة وفي المسجد الجامع بالزهراء ، « فاستفاد الناس منه وعوّلوا عليه واتخذوه حجة فيا نقله » .

وكما عرف أبو علي في العراق وسائر المشرق بالقالي عرف أيضاً بالبغدادي بين أهل المغرب والأندلس بعد رحيله إليهم . وقد يرى بعض الباحثين في إطلاق المغاربة الأندلسيين لقب البغدادي على أبي علي ما يشير إلى مذهبه في اللغة والنحو والتصريف الذي اتّسم به نتيجة إقامته في بغداد وأخذه عن عدد من الشيوخ البغداديين في العراق . فكأنه الناقل لهذا المذهب البغدادي والمبشر به في المغرب والأندلس . غير أننا لا نجنح إلى هذا الرأي لأسباب ؛ منها أن مدرسة بغداد لم تكن مدرسة متميزة بالمعنى الدقيق وذات ملامح بارزة كما كان شأن مدرستي الكوفة والبصرة المتنافستين ، ولكنها

(١) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ١٥٥ .
(٢) يجنح الأستاذ أحمد أمين إلى هذا الرأي في كتاب « ظهر الإسلام » ٣ : ٨٢ ـ ٨٣ .
(٣) تولى الحكم خلافة الأندلس من ٣٥٠ ـ ٣٦٦ سنة وفاته ، وكان مولده سنة ٣٠٢ .
(٤) معجم الأدباء ٧ : ٣١ .

حصيلة مشتركة للتفاعل العلمي بين البصريين والكوفيين ، وإن كان الميل إلى البصريين غالباً عليها . يؤيد ذلك ما نجده في العديد من كتب السلف من تجاوز لمذهب بغداد ، مثل كتاب « طبقات النحويين واللغويين » لأبي بكر الزبيدي ، فقد ميز البصريين من الكوفيين ثم أتبعهم المصريين والأفريقيين والأندلسيين بل ان كتاب الزبيدي نفسه يصنف أبا علي القالي في الطبقة السابعة من اللغويين البصريين ويعده من أصحاب ابن دريد ، كما يجعله في موضع آخر من كتابه في الطبقة العاشرة من النحويين البصريين ويذكر أنه من أصحاب ابن درستويه (١) . يضاف إلى ذلك أن أكثر من ترجموا لأبي علي في القديم أشاروا إلى أنه كان أعلم الناس بنحو البصريين . على أن أبا علي نفسه لم يكن في مصنفاته البارزة نحوياً بقدر ما كان لغوياً يعتني بنوادر العربية وغريبها ، ولغات العرب وأشعارهم ، يشهد على ذلك كتاباه الكبيران : الأمالي والبارع . وقد ذكر الحميدي أن أكثر من يحدث عن القالي بالمغرب أو يحكي عنه يقول أبو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي ، ينسبوه إليها لطول مقامه بها ووصوله إليهم منها ، أما أبو علي نفسه فقد آثر أن يجمع بين النسبتين حين استهل كتابه « الأمالي » بقوله : « قال الشيخ أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي رحمه الله .. » .

شيوخ القالي :

أتيح لأبي علي ان يتتلمذ على نخبة من العلماء الأجلاء ، فأخذ الحديث النبوي في بغداد عن أبي القاسم عبد الله بن محمد البغوي محدث العراق في عصره (- ٣١٧ هـ) وأبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني من فقهاء

(١) طبقات النحويين واللغويين ١٣٢ ، ٢٠٥ .

العراق (— ٣١٦ هـ) وأبي سعيد الحسن بن زكريا العدوي البصري (— ٣١٩ هـ) ، ويوسف بن يعقوب القاضي (— ٢٩٧ هـ) وابن صاعد يحيى ابن محمد (— ٣١٧ هـ) ، وأبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد المقرىء (— ٣٢٤ هـ) ، وحسين بن اسماعيل المحاملي ... وكلهم من علماء الحديث الذين تضبط عليهم الرواية بدقة وتشدد . وحين قصد أبو علي إلى الموصل في أول مقامه بالعراق لازم فقيهها وعالمها أبا يعلى الموصلي .

وما من شك في أن هؤلاء الشيوخ المحدثين تركوا أثراً منهم عند أبي علي القالي من حيث اعتماده الكبير على الرواية والحفظ وتوخيه الدقة والاتقان وحرصه على التمسك بالأسانيد ، على غرار كتب الفقه والحديث ، مما نلمسه بوضوح في كتب القالي وبخاصة في الأمالي والبارع .

وأخذ أبو علي علوم العربية عن أبي محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي ويعد أبرز تلاميذ المبرد (— ٢٨٨ هـ) ، وأبي اسحق ابراهيم بن السري الزجاج من تلاميذ المبرد أيضاً (— ٣١١ هـ) ، وأبي الحسن علي بن سليمان المعروف بالأخفش الصغير (— ٣١٥ هـ) ، وأبي عبد الله ابراهيم بن محمد المعروف بنفطويه (— ٣٢٣ هـ) ، وأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي صاحب الجمهرة (— ٣٢١ هـ) ، وأبي بكر بن محمد بن السراج النحوي (— ٣١٦ هـ) ، وأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري من أبرز علماء الكوفة (— ٣٢٨ هـ) ، ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر ومن شيوخ أبي الفرج الأصبهاني (— ٣٢٥ هـ) ... وسوى هؤلاء من اللغويين والنحويين . وكان أكثرهم من تلاميذ المبرد اللامعين وعرفوا مثله بكثرة المحفوظ ودقة الرواية وبغلبة الطابع العربي في ذلك كله بعيداً عن المؤثرات الثقافية التي كانت ترفد الفكر العربي من الفرس واليونان وتتجلى في نتاج فئة أخرى من الأعلام كالجاحظ وابن قتيبة وأبي الفرج الأصفهاني وقدامة بن جعفر وسواهم .. على

تفاوت في مدى هذا التأثر . وثمة شيوخ آخرون أخذ عنهم أبو علي ومنهم ابن شقير والمطرز وجحظة وابن قتيبة الابن ... غير أن أبرز من أخذ عنهم أبو علي أبو بكر بن دريد ، فقد كان شديد الملازمة له والأخذ عنه ، كما ملأ كتبه بأخباره وأقواله ومجالسه ، « وقد روى عنه كتابه الجمهرة رواية واعية متقنة وبخطه »(١) . وعندما توفي حزن حزناً شديداً وقال : « لا أرجو أن أقيم بعده في بغـــداد . وهذا ما حدث بعد حين من الزمان ، فلم يلبث أبو علي في العراق سوى بضع سنين رحل بعدها إلى الأندلس . وقد كان آخر ما أورده أبو علي في كتابه « النوادر » قصيدة طويلة في رثاء ابن دريد ، وكأنه أراد بها أن تكون خاتمة لكتابه الجليل ودليلاً على ما يكنه لشيخه من محبة ووفاء .

تلاميذ القالي :

رحل أبو علي عن بغداد وهو يناهز الأربعين ، ولم يتح له أن يترك أثراً كبيراً في تلاميذه هنـــاك . على أن الحال كان على خلاف ذلك في الأندلس حيث ذاع فضله وكثر قاصدوه ولعل الحكم بن عبد الرحمن الناصر الأموي كان في طليعة الذين أفادوا من علمه . وأبرز من تتلمذوا على أبي علي إطلاقاً أبو بكر الزبيدي الأشبيلي ، وهو لغوي كبير اشتهر بكتابيه « مختصر العين » و « طبقات اللغويين والنحويين » ، « وكان إماما في الأدب ولكن عرف فضل أبي علي فمال اليه واختص به واستفاد منـــه وأقر له » . (٢) وتذكرنا ملازمة الزبيدي لأبي علي في قرطبة بملازمة أبي علي لابن دريد في بغداد . وفي مؤلفات الزبيدي جانب كبير مما أخذه عن

(١) مقدمة الجمهرة في اللغة ١٧ .

(٢) انظر معجم الأدباء لياقوت ٧ : ٣٠ ، وجذوة المقتبس للحميدي ١٥٤ .

شيخه وكان يجله إجلال أبي علي لابن دريد ، وفيه يقول[(١)] : « ولا نعلم أحداً من المتقدمين ألف مثله ».

ومن النابهين الذين أخذوا عن أبي علي أحمد بن أبان اللغوي[(٢)] ويذكر السيوطي أنه صنف كتاباً اسمه « العالم » في اللغة ويقع في مئة مجلد ، وقد رتبه على الأجناس ، وبدأ فيه بالفلك وختم بالذرة . وأغلب الظن أن هذا الكتاب حصيلة تأثر ابن أبان بالقالي في نزعته اللغوية ، ولعل صاحب « العالم في اللغة » كان يضع نصب عينيه كتاب « البارع في اللغة » لأبي علي ويحرص على مباراته في مادته وحجمه .

ثقافة القالي :

إن معرفتنا بشيوخ القالي تتيح لنا أن نقف على طبيعة ثقافته ولون معارفه ، كما تلقي في الوقت نفسه ضوءاً على مذهبه في اللغة ومنهجه في التأليف . وقد رأينا أن معظم شيوخه في الموصل وبغداد كانوا نحاة مشهورين ومحدثين بارزين اتسموا بالطابع العربي الخالص وعرفوا بالضبط والإتقان .

وأكثر من ترجموا لأبي علي يشيرون إلى اقتداره في النحو ، فيصفه ياقوت بأنه أعلم الناس بنحو البصريين[(٣)] ، ويجعله القفطي في عداد أنباه النحاة ويقول عنه : « إنه قرأ على ابن درستويه كتاب سيبويه أجمع ، واستفسره جميعه وناظره فيه ، ودقق النظر وكتب عنه تفسيره وعلل العلة ،

(١) معجم الأدباء ٧ : ٣١ .
(٢) هو أحمد بن أبان بن سعيد اللغوي الأندلسي ، ترجم له السيوطي وقال إنه كان عالماً إماماً في العربية حاذقاً أديباً سريع الكتابة . توفي سنة ٣٨٢ هـ .
(٣) معجم الأدباء ٧ : ٣١ .

وأقام عليها الحجة ، وأظهر فضل البصريين على الكوفيين .. »(١) وعلى الرغم مما توحي به هذه العبارات فإن النحو لم يستأثر باهتمام أبي علي إلى هذا المدى . ومع أن أبا علي ألف في النحو كتباً مثل كتـاب « المقصور والممدود » وكتاب « فعلت وأفعلت » ومشاكلها فإن هذه البحوث تعد أدخل في علم الصرف منها في النحو ، وطابعها لغوي أكثر منه نحوياً . كما أن مثل هـذه الكتب يقل في منزلته وأهميته عن سائر كتب أبي علي اللغوية وفي مقدمتها كتابه « الأمالي » ومعجمه « البارع » فنزعة أبي علي اللغوية بارزة في هذين الكتابين وغالبة على ما عداها . وعلى ذلك لا نعد أبا علي في عداد النحاة على علو كعبه في النحو على حين يتبوأ منزلة رفيعة بين اللغويين وأصحاب المعاجم في تراثنا العلمي . ولعل أبا علي في هذا الشأن أشبه ما يكون بالخليل بن أحمد الذي جعله بعض الذين ترجموا له في عداد النحويين البصريين دون اللغويين ، ومنهم أبو بكر الزبيدي في طبقاته ، على حين عرف الخليل باللغة وكان له فيه معجم العين كما كان لأبي علي معجم البارع . على أن أبا عليّ عرف لدى بعض القدماء بهذا الفضل وأنه « كان إماماً في علم اللغة متقدماً فيها متقناً لها »(٢) . وهكذا تكونت شخصية القالي على أنه إمام ثبت وحجة ثقة ، وأنه راوية للغة والأخبار في غاية التقييد والضبط . وقد عرف فضلاً عن ذلك بسعة العلم وقوة الحفظ وأنه كان يملي معارفه عن ظهر قلبه (٣) .

---

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة ١ : ٢٠٥ .
(٢) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ٢١٧ .
(٣) إنباه الرواة على أنباه النحاة ١ : ٢٠٥ .

كتب القالي :

ألف أبو علي كتباً عديدة مازال بعضها بعيداً عن متناول الأيدي بعد أن عبثت به الأيام . « وكانت كتبه في غاية التقييد والضبط والإتقان . وقد ألف في علمه الذي اختص به تآليف مشهورة تدل على سعة علمه وروايته »(١) ومن هذه المؤلفات التي نوردها كتب التراجم والفنون :

كتاب المقصور والممدود والمهموز : وقد بناه على التفعيل ومخارج الحروف من الحلق . وقد وصفه القفطي في إنباء الرواة بأنه « مستقصى في بابه ، لايشذ عنه شيء في معناه ، لم يوضع له نظير » . ونعته الحميدي بأنه لم يؤلف في بابه مثله (٢) ، ويقع في عشرة أجزاء (٣) .

كتاب الإبل ونتاجها وما تصرف معها ، ويذكر أيضاً باسم كتاب الإبل ونتاجها وجميع أحوالها ، وهو في خمسة أجزاء .

كتاب حلى الإنسان والخيل وشياتها .

كتاب فعلت وأفعلت : وقد جعله ثلاثة أمثال ماكان للزجاج (٤) .

كتاب أفعل من كذا (٥)

كتاب مقاتل الفرسان

---

(١) بغية الملتمس ٢١٨ .

(٢) يرد اسم الكتاب في جذوة المقتبس بأنه كتاب المقصور والممدود والمهموز ، ١٥٦ . على حين تورده كتب التراجم الأخرى باسم كتاب المقصور والممدود .

(٣) فهرست ابن خير ٣٤٣ ـ ٣٥٥ .

(٤) فهرست ابن خير ٣٥٣ .

(٥) انفرد بذكره ابن خير وأسنده إلى شيوخه في رواية متسلسلة .

كتاب تفسير القصائد والمعلقات : ولعله هو نفسه كتاب : تفسير السبع الطوال الذي ذكره ياقوت .

كتاب الأمالي ، وذيل الأمالي والنوادر : وهو أجل كتبه وأشهرها .

كتاب البارع : وهو معجم مسهب في ألفاظ العربية .

وينسب إلى القالي أيضاً أنه شرح ديوان ذي الرمة . ولكن أكثر المصادر لا تشير إلى ذلك .

ويحسن بي أن أقف وقفة طويلة بعض الشيء عند كتابين بارزين من هذه الكتب وهما : البارع ، والأمالي .

كتاب البارع كتاب في اللغة (١) ، بناه أبو علي على حروف المعجم . وتذكر كتب التراجم أنه جمع فيه كتب اللغة ، وعزا كل كلمة من الغريب إلى ناقلها من العلماء وأنه اختصر الأسناد عنهم . وما يؤسف له أن هذا الكتاب الجليل لم يصل إلينا كاملاً . وقد نشر الأستاذ (فلتون A. S. Fulton) الجزء المخطوط لديه في المتحف البريطاني مصوراً عام ١٩٣٣ ، ويقع في ١٤٨ صفحة وقدم له بالانكليزية . غير أن أصل الكتاب أضعاف هذا الجزء . وقد ذكر ياقوت أنه يشتمل على ثلاثة آلاف ورقة وأنه يحتوي مائة مجلد وفي وفيات الأعيان وإنباه الرواة ان كتاب البارع يشتمل على خمسة آلاف ورقة . وأغلب الظن أن الذين تكلموا على البارع من المشارقة لم يصفوه من كثب ، ولذلك يبقى ابن خير وهو أندلسي عرف بتدقيقه أفضل من يحدثنا عن هذا المعجم الكبير . فهو يحدد حجمه بقوله : « إنه في مائة وأربعة وستين جزءاً ، عدد ورقها أربعة آلاف ورقة وأربعمئة ورقة وست

(١) انفرد حاجي خليفة في كشف الظنون بأنه ذكر للقالي كتاباً اسمه « البارع في غريب الحديث » ولم يذكر له البارع في اللغة ، ونظن أن هذا وهمٌ منه ، انظر ١ : ٢١٦ .

وأربعون ورقة ، ويورد ابن خير مزيداً من التفصيل عن هـذا الكتاب فينقل عن الزبيدي تلميذ أبي علي قوله . « وهو في اللغات كلها ، زاد على كتاب الخليل نيفاً وأربعمئة ورقة بما وقع في (العين) مهملاً فأملاه مستعملاً وبما قلل فيه الخليل فأملى فيه زيادة كثيرة ، وبما جاء دون شاهد فأملى الشواهد فيه » (١) .

ويكاد المصنفون يجمعون على إجلال هذا الكتاب ، فيقول فيه الحميدي إنه « كاد يحتوي على لغة العرب » (٢) . ويقول فيه ياقوت إنه « يحتوي على مائة مجلد لم يصنف مثله في الإحاطة والاستيعاب » ، ثم ينقل عن الزبيدي قوله : « ولا نعلم أحـداً من المتقدمين ألف مثله » (٣) . وبرغم اشتهار هـذا المعجم لم يصل الناس إليه منذ زمن قديم ، يقول السيوطي : « ولم يعرجوا أيضاً على بارع أبي علي البغدادي » (٤) ولعل ذلك هو السبب في أننا لم تصل إلينا نسخة كاملة من المعجم (٥) ومها يكن من أمر فإن الأندلس تبقى حتى القرن الرابع ليأتيها القالي من المشرق ويؤلف فيها كتاب البارع أول معجم عربي في تاريخها (٦) .

ونفهم مما قاله ابن خير وسائر من ترجموا للقالي ومن بعض أقوال أبي علي نفسـه ان مصنفات أبي علي في معظمهـا قد ألفها في الأندلس وأنهـا

(١) الفهرست ٣٥٤ .
(٢) جذوة المقتبس ١٥٦ .
(٣) معجم الأدباء ٧ : ٢٩ .
(٤) المزهر ١ : ٤٥ ، والمعجم العربي : حسين نصار ٢٨٧ .
(٥) المعجم العربي : حسين نصار ٢٨٧ .
(٦) ذكر ابن خير أن الزبيدي ألف كتاباً اسمه « المستدرك » من الزيادة في كتاب البارع لأبي علي البغدادي ، على كتاب « العين » للخليل بن أحمد ، ٣٥٠ .

أهديت من صاحبها إلى الحكم بن عبد الرحمن الناصر ، وبخاصة كتاب الأمالي وكتاب البارع وكتاب فعلت وأفعلت . وقد ذكر ابن خلكان أن أبا علي اتخذ قرطبة مقاماً له وأن « أكثر كتبه بها وضعها ولم يزل بها » (١) .

كتاب الأمالي

كتب الأمالي :

الأمالي جمع إملاء على غير قياس . أو أنها جمع أملية كأغنية وأحجية وأثفية وأمسية . وقد ذكر السيوطي ان طريقة الإملاء أعلى وظائف حفاظ الحديث (٢) . وقال حاجي خليفة يصف التأليف في هذا الفن « هو أن يقعد عالم وحوله تلاميذه بالمحابر والقراطيس ، فيتكلم بما فتح الله سبحانه وتعالى عليه ، ويكتبه التلاميذ فيصير كتاباً ، ويسمونه الإملاء والأمالي . وكذلك كان السلف من الفقهاء والمحدثين وأهل العربية » (٣) . فالأمالي كل ما يمليه شيخ على طلابه في العلوم والمعارف المختلفة من فقه وتفسير وحديث نبوي ولغة ونحو وأدب . وهي في رأينا تطابق في مدلولها كلمة المحاضرة في العصر الحديث ، بل ان المحاضرة بهذا المعنى اصطلاح قديم إلا أنه لم يشتهر اشتهار الإملاء ؛ فقد ذكر أبو منصور الأزهري ان الأصمعي كان أملى ببغداد كتاباً في النوادر ، فزيد عليه ما ليس من كلامه ، فأنكر ذلك وقال : « خير العلم ما حاضرت به » (٤) . وإذا كان ثمة فارق بين

(١) وفيات الأعيان ١ : ٢٠٥ .
(٢) المزهر ٢ : ٣١٣ .
(٣) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ١ : ١٦١ .
(٤) انظر تهذيب اللغة ، المقدمة للأزهري .

ARCHIVE

الأمالي وبين المحاضرات فهو أن الأمالي تُملى في الغالب من الذاكرة وتلقى إلقاء مرتجلاً عن ظهر قلب ، على حين تتلى المحاضرة من أوراق أعدت من قبل . وبتعبير آخر أن المحاضرة صورة جديدة ومتطورة للإملاء تتسم بالتركيز ووحدة الموضوع . وكثيراً ماكان يستعاض عن كلة أملية أو إملاء بكلمة مجلس . وثمة كتب عديدة تحمل هذا الاسم أشهرها « مجالس ثعلب » وتعرف أيضاً بأمالي ثعلب ، والتداخل بين هذين الاصطلاحين أيضاً شائع . ففي أمالي القالي مثلاً نجد مادة الكتاب مقسمة إلى مجالس ، وواضح أن المراد بكلمة المجلس مايلقى في جلسة واحدة ولعله يشبه الفصل أو الباب .

ومن هنا وتبعاً للمدلول الواسع لكلمة الأمالي كثرت الكتب التي تحمل هذا الاسم كثرة بالغة في تراثنا العربي على صعيد اللغة والنحو والأدب والفقه والتفسير ... الخ . وفي كتب التراجم والفهـون مثل فهرست ابن النديم وفهرست ابن خير وكشف الظنون وسواها مصنفات لا تكاد تحصى وتحمل جميعاً كلة الأمالي عنواناً لها . ولا يعنينا من هذه الكتب إلا ماكان في اللغة والأدب وهو أيضاً كثير نعدد منه ولا نعده :

أمالي ثعلب (— ٢٩١ هـ) .
أمالي اليزيدي (— ٣١٠ هـ) .
أمالي الزجاج (— ٣١٦ هـ) .
أمالي ابن دريد (— ٣٢١ هـ) .
أمالي أبي بكر الأنباري (— ٣٢٨ هـ) .
أمالي الزجاجي (— ٣٤٠ هـ) .
أمالي القالي (— ٣٥٦ هـ) .
أمالي بديع الزمان الهمذاني (— ٣٩٨ هـ) .
أمالي المرزوقي (— ٤٣١ هـ) .
أمالي المرتضى (— ٤٤٦ هـ) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أمالي أبي العلاء (— ٤٤٩ هـ) .
أمالي ابن الشجري (— ٥٤٢ هـ) .
أمالي الزمخشري (— ٥٣٨ هـ) .
أمالي ابن الحاجب (٦٧٢ هـ) .

ولسنا ندري على وجه الدقة متى عرفت تسمية الكتب بالأمالي واختيرت لمصنفات بعينها ، ولكننا نرجح أن كتب الفقه والحديث كانت أسبق من سواها في هذا الصدد . ونحن نرى مثلاً كتاباً في الفقه يحمل اسم الأمالي لأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة ١٨٧ هـ ، وهو صاحب أبي حنيفة (١) . وهذا يدل على أن التسمية عرفت منذ القرن الثاني ، ثم شاعت خلال القرنين الثالث والرابع . ولعل أول كتاب بارز في اللغة والنحو والأدب من هذه الزمرة كتاب « مجالس ثعلب » من رجال القرن الثالث ويبقى كتاب ثعلب هذا إلى جانب أمالي القالي وأمالي ابن الشجري أشهر كتب الأمالي في هذا الموضوع .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

منزلة أمالي القالي :

أما كتاب الأمالي لأبي علي القالي البغدادي فهو أشهر كتبه ، وبه عرف في مضمار التأليف . ولعله أشهر كتب الأمالي قاطبة . وكثيراً ما يطلق على أمالي القالي اسم (النوادر) . ولعل هذه التسمية من قبيل إطلاق الجزء على الكل . فالمعروف أن جزءاً من الكتاب يلي الأمالي كان مؤلفه قد ألحقه به وأسماه : « النوادر » كما أن الكتاب نفسه يعرف أيضاً باسم آخر هو « النوادر والأمالي » (٢) .

(١) طبع الكتاب في حيدر اباد سنة ١٣٦٠ هـ ويقع في نيف وسبعين صفحة .
(٢) انظر إنباه الرواة ١ : ٢٠٥ .

ولكتاب الأمالي منزلة رفيعة في تراثنا العريق، وقد عرف القدماء فضله وقدموه. يقول ابن خلدون في مقدمته: «وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم: أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين، وهي كتاب الكامل للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي. وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع منها».

وفي تقديرنا أن كتاب الأمالي حظي بشهرة واسعة في الأندلس، وكان له صدى بعيد في محافلها الأدبية، لأنه أول كتاب من نوعه ألف في تلك الربوع (١) وغدا عمدة في موضوعه ونموذجاً يحتذى في غزارة المادة وغنى النصوص وإتقان الرواية ودقة الضبط. يضاف إلى ذلك ما أصاب أبا عليّ نفسه مؤلف الكتاب من حفاوة بالغة في إثر وصوله إلى الأندلس وخروج جمع حاشد من العلماء وجلة القوم لاستقباله، على رأسهم الأمير الحكم نيابة عن أبيه الخليفة الناصر. وما من ريب في أن نباهة شأن أبي علي على هذا النحو قد انعكست على ماكان يمليه في قرطبة وبالتالي على كتابه «الآمالي».

وكان من أصداء هذه الشهرة أن أبا عبيد البكري الأندلسي (٢) نشط

(١) ذهب الأستاذ أحمد أمين في مجلة «الثقافة» ١٥ أكتوبر ١٩٤٠ إلى أن أمالي أبي علي النواة الأولى التي بذرها القالي في الأندلس من علوم الشرق. وفي هذا غلو ولا يتفق والحقيقة. وهذا الرأي قاده إلى الوهم حين قال إن مشهوري الأدباء في الأندلس ومنهم ابن عبد ربه قد تخرجوا في مدرسة ابي علي. وهذا يعني أن القالي أسبق وجوداً وتأليفاً وان ابن عبـد ربه بمثابة تلميذه، على حين توفي ابن عبد ربه قبل بلوغ أبي علي الأندلس، وقد ناقش هذا الرأي بدقة محمد سعيد العريان في تقديمه للعقد الفريد.

(٢) هو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري عالم في اللغة والأنساب والشعر والأخبار سكن قرطبة وتوفي سنة ٤٨٧ هـ.

لشرح الأمالي وتفسير نوادره في كتابين يحمل أحدهما اسم « اللآلي في شرح أمالي القالي »[١] ، والثاني « التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه »[٢] . وعلى الرغم مما يوحي به عنوان الكتاب الثاني من تحامل ومن حرص لدى البكري على تسقط هفوات أبي علي فإن هذه التعليقات زادت شهرة الكتاب استفاضة . وإن تصدي البكري للأمالي ينطوي في الوقت نفسه على إقرار بأهمية الكتاب وجلال شأنه .

كما أن أحمد بن عبد المؤمن الشريشي المتوفى سنة ٥١٩ هـ عمد إلى اختصار أمالي القالي . ومن جهة أخرى حرص بعضهم على احتذاء كتاب الأمالي والنسج على منواله ، كما فعل اللغوي الوافد على الأندلس أبو العلاء صاعد بن الحسن الذي ألف للخليفة الأموي المنصور كتاب « الفصوص » على نحو كتاب النوادر لأبي علي القالي[٣] . وكان أبو علي قد أملى كتابه من حفظه في الأخمسة بقرطبة وفي المسجد الجامع بالزهراء المباركة ، ثم أهدى أماليه إلى الخليفة الحكم وأشاد بفضله في خطبة كتابه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نشر الأمالي :

نشر كتاب الأمالي أول مرة في مصر بمطبعة بولاق سنة ١٣٢٤ هـ[٤] .

(١) طبع في القاهرة سنة ١٩٣٦م بتحقيق جيد من قبل العلامة الهندي عبد العزيز الميمني . والكتاب يزيد في حجمه على كتاب الأمالي نفسه .

(٢) عمل على نشره الأب أنطون صالحاني وظهر في أربعة أجزاء بدار الكتب المصرية سنة ١٩٢٦ ، وطبع مع كتاب الأمالي نفسه ملحقاً بكتاب النوادر . انظر بروكلمان ٢ : ٢٧٩ .

(٣) انظر جذوة المقتبس للحميدي ٢٢٣ .

(٤) ذكر محمد عبد الجواد الأصمعي في خلال تصديره طبعة دار الكتب المصرية لكتاب الأمالي أن تاريخ نشره كان سنة ١٣٢٢ هـ ، على حين يذكر بروكلمان في تاريخ الأدب العربي ٢ : ٢٧٩ أن نشره الأول كان سنة ١٣٢٤ هـ ، ويظاهره في ذلك عبد السلام هارون وهو في صدد تقديمه لأمالي الزجاجي . ونحن لم نوفق في الوقوف على الطبعة الأولى .

وقد صنع المستشرقان كرنكو وبيفان فهارس الأشعار التي وردت في كتاب الأمالي وأصدراها في كتاب عام ١٩١٣ بمطبعة ليدن . ثم طبع الأمالي ثانية في دار الكتب المصرية عام ١٩٢٦ . وبعد ذلك أعيدت طباعته مرات في القاهرة ودمشق وبيروت ، وأكثرها كان بطريقة التصوير عن طبعة بولاق أو طبعة دار الكتب . وطبعــة دار الكتب تشير إلى أن كتاب الأمالي مؤلف من جزءين يليهما جزء ثالث هو « ذيل الأمالي والنوادر » ثم جزء رابع صغير هو كتاب « النوادر » .

ويبدو أن تقسيم كتاب الأمالي لم يكن على هــذه الصورة لأن كتب التراجم تفيد أن صاحبه جعله ستة عشر جزءاً للعامة ، ثم زاد فيه فلتّمه عشرين جزءاً[١] . أما السيوطي فيقول في مقدمة (بغيــة الدعاة) انه اعتمد عليه في كتابه وأنه في خمسة مجلدات ، وقد كرر هــذا القول في كتاب « المزهر » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محتوى الأمالي :

قال أبو محمد بن حزم « كتاب نوادر أبي علي مبارٍ لكتاب (الكامل) الذي جمعه المبرّد ، ولئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحواً وخبراً فــإن كتاب أبي علي أكثر لغة وشعراً »[٢] . وقد وصف القفطي الكتاب أيضاً فقال[٣] : « وهذا الكتاب غاية في معناه وهو أنفع الكتب ، لأن فيــه

(١) انظر تراث الإنسانية ، المجلد الخامس : العدد الأول ، بقلم الدكتور أحمد كمال زكي .
(٢) معجم الأدباء ٧ : ٢٨ .
(٣) إنباه الرواة على أنباه النحاة ١ : ٢٠٥ .

الخبر الحسن والمثل المتصرف والشعر المنتقى في كل معنى . وفيه أبواب من اللغة مستقصاة وليست توجد في شيء من كتب اللغة مستقصاة مثل ماهي في هذا الكتاب . وفيه القلب والإبدال مستقصى ، وفيه تفسير الإتباع وهو مما لم يستيقظ إليه أحد ، إلى فوائد كثيرة » .

على أن القالي نفسه يتكلم في خطبة كتابه على محتوى أماليه فيقول « وأودعته فنوناً من الأخبار ، وضروباً من الأشعار ، وأنواعاً من الأمثال ، وغرائب اللغات . على أني لم أذكر فيه باباً من اللغة إلا أشبعته ، ولا ضرباً من الشعر إلا اخترته ، ولا فناً من الخبر إلا انتخلته ، ولا نوعاً من المعاني والمثل إلا استجدته .

ثم لم أخله من غريب القرآن وحديث الرسول ﷺ . على أني أوردت فيه من الإبدال مالم يورده أحد وفسرت فيه من الإتباع مالم يفسره بشر » .

فمادة الأمالي كما أرادها أبو علي أمشاج من الأخبار والأشعار والأمثال ، يتخللها شيء من تفسير القرآن وحديث الرسول . ويغلب على ذلك كله الطابع اللغوي الذي يميز الكتاب ، على حين أننا قلما وجدنا المؤلف يتعرض لقضايا في النحو ، وهو في ذلك يسير في « أماليه » وفي « بارعه » أيضاً على هدي أستاذه ابن دريد . ومن خلال سطور المقدمة هذه أيضاً يتجلى أبو علي مؤلفاً شديد الثقة بنفسه معتداً بعلمه وبخاصة في مجال التصريف . وليس هذا تبجحاً منه ، فما بين دفتي كتابه من نصوص قيمة أمر لاينازع فيه ويدل على أن صاحبه حوى خطير علوم العربية في عصره .

منهج الأمالي :

إن غزارة المادة في كتاب الأمالي سمة بارزة فيه ؛ فهو غني بنصوص الشعر والنثر مما يعز وجوده في كثير من كتب الأدب . وإذا تساءلنا

عن المنهاج الذي آثره القالي في كتابه القيم هـذا خاب أملنا . إنه أشبه بمنجم من المعادن الثمينة تناثرت كنوزه وتوعرت إليه الدروب . وهذه السنة في التأليف التي تضيق بالتزام الموضـوع وتحديد إطاره ابتدعها الجاحـــظ ووطد أسسها في كتبه وقلما استطاع المؤلفون بعده أن يتحرروا منها . وكان جديراً بالقالي وقد عاش في القرن الرابع أي بعد المرحلة الجاحظية الرائدة بأكثر من قرن أن يعمد إلى شيء من تنسيق الأشباه والنظائر في كتابه . فقد رأينا عدداً ممن عاصروه بل سبقوه كابن قتيبه وابن عبـد ربه يجنحون إلى نوع من التبويب في مصنفاتهم الكبيرة ، برغم بقـاء ظاهرة الاستطراد فيها . ويمكن القول إن أبا علي مازال في عصره — القرن الرابع الهجري — يمثل الاتجاه العربي الخالص ، وينطوي على سمات المحافظة دون أن يسمح بمقدار كاف المؤثرات الدخيلة تؤثر في منهجه ، على حين نجد بين معاصريه علماء كانوا في الطرف المقابل كقدامة بن جعفر الذي أصطنـــع في كتابه « نقد الشعر » تقسيمات شديدة التحديد .

لقد كان القالي حريصاً على التمسك بتقاليد العرب العلمية الـتي كانت ترتكز لديه على شعور الوفاء لشيوخه العلماء وتتجلى في الرواية عنهم وإسناد المنقول إليهم . وهذه الظاهرة تبرز أمامنا في كتاب أبي علي وتشيع في سائر كتبه ؛ حتى إننا قلما نقع خلال الأمالي على فقرة لاتبـــدأ بإحدى العبارات التقليدية المألوفة : (حدثنـا ، أو ، أنشدنا ، أو ، قرأت على فلان ...) . حتى إن الرواية عن الآخرين تكاد تطغى على ما عداها من أقوال المؤلف وآرائه . إن أبا علي في أماليه باعث الشخصية ، يصطنع مذهب رجال الحديث في الرواية والإسناد ، ثم يدلي أحياناً بدلوه بين الدلاء في تواضع جم .

إن طابع الإملاء واضح في كتاب الأمالي ، وكأني بأبي علي في مسجد قرطبة وحوله جمع غفير من المريدين والطلاب والمتأدبين ، وقد أخذ يسترسل في إيراد الأخبار ويتدفق في إنشاد الأشعار ، ثم يجلو عويصها ويفسر غريبها ويشرح غامضها . وقد تدعو فكرةٌ فكرةً أخرى خطرت بباله ، أو قصيدة تذكره بما يشبهها في عبارة وردت فيها أو معنى عرض خلالها ، فإذا الرجل آخر الأمر قد ابتعد عن موضوعه الأول أشواطاً . ولم يكن هذا الاستطراد في ذلك العصر عيباً ، بل كان مزية يراد منها أن تذهب عن الطلاب السأم وتتنقل بهم أو بقراء الكتاب في جواء مختلفة الألوان والطعوم .

ولعل من أسباب ضعف التبويب وقلة التنظيم في كتاب الأمالي أن مؤلفه كان يعتمد على طريقة الإلقاء والإملاء من محفوظه وعن ظهر قلبه . ولا ريب أن في هذا اقتداراً ينتزع الإعجاب . وقد قال القفطي في كتاب أبي علي (١) : « وأملاه ظاهراً من قلبه . . . وارتجل تفسير ما فيه » . وأبو علي نفسه يشيد بغزارة محفوظه فيقول في خطبة كتابه : « فأملت (٢) هذا الكتاب من حفظي » . ويؤثر عن القدماء أنهم كانوا يرون أن الحفظ أعلى منازل العلم ، وأن الحفاظ في أسمى منزلة بين الفقهاء والمحدثين . لقد كان أبو علي من هذا القبيل ، وهو يباهي بأنه حوى علوم السلف ، غير أنه لم يكن يحرص على تجاوز هذا النطاق . ويبدو هذا الاعتداد أيضاً في خطبة كتابه حيث يقول .

« لما رأيت العلم أنفس بضاعة أعملت نفسي في جمعه ، وشغلت ذهني بحفظه ، حتى حويت خطيره ، وأحرزت رفيعه ، ورويت جليله ، وعرفت دقيقه ، وعقلت شارده ، ورويت نادره » . وهذا النص واضح الدلالة

(١) إنباه الرواة ١ : ٢٠٥ .

(٢) أملت الكتاب على الكاتب إملالاً وأمليته عليه إملاءً أي قلته له فكتب عني ، والأولى لغة الحجاز وبني أسد والثانية لغة بني تميم وقيس . (المجلة)

على حرص أبي علي على الجمع والاستيعاب ، شأنه في ذلك شأن أكثر المؤلفين القدامى . وقد ذكر ابن بسام (١) أن أبا علي كان يقول لأهل الأندلس : « إن علمي علم رواية وليس بعلم دراية ، فخذوا عني مانقلت » وفي هذا القول ما يكشف عن طابع كتاب أبي علي فضلاً عن أنه ينم على تواضعه ، وهو ماهو بين العلماء في عصره .

وأغلب الظن أن أبا علي كان يأنس من أهل الأندلس وجمهور قرطبة شغفاً بأخبار المشارقة وإقبالاً على علمهم وأدبهم ، فيعمد من جهته إلى إرضاء هذا التطلع في نفوسهم ، ويحرص على أن يبهرهم بسعة محفوظه وغزارة علمه وكأنه يضع بين يديهم حصيلة ما حواه شيوخه وما آل إليه منهم . ومما يؤيد هذه الرغبة في نفسه أنه وهو المعدود على مذهب البصريين كان لا يتردد في النقل عن الكوفيين وأحياناً عن بعض الكوفيين غير الموثقين .

وينبغي أن نقرر في الوقت نفسه أن أبا علي القوي كبير وعالم جليل ، انفتح ذهنه على المعارف كلها دون تمييز بين مذاهب أهلها . وفي فهرست ابن خير ثبت طويل بأسماء الكتب التي حملها أبو علي معه إلى الأندلس ، من بينها كتب لعدد من علماء الكوفة كما أن أبا علي يكثر في أماليه من الرواية عن أبي بكر بن الأنباري وينقل أيضاً عن الكسائي وعن الفراء وعن ثعلب وسواهم من الكوفيين ، وينقل في الوقت نفسه عن سائر اللغويين والنحاة البصريين كالمبرّد والأخفش وابن درستويه وابن دريد والزجاج .

وفي رأي المستشرق بروكلمان أن أبا علي القالي كان أول من نقل علم الأدب إلى الأندلس (٢) وهذه منزلة رفيعة لم يبلغها أحد من المشارقة قبل

(١) انظر مقدمة كتاب الأمالي نقلاً عن جزء مخطوط من الذخيرة .
(٢) تاريخ الأدب العربي ٢ : ٢٧٧ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أبي علي وبعده في مضمار اللغة والأدب ، ولا يضارعه فيها إلا زرياب في الموسيقي والغناء .

على أننا قد نظلم القالي إذا عددناه في كتابه جامعاً حافظاً للنصوص فحسب فالحق أنه فقيه لغوي قل نظيره ، مقتدر على شرح العويص من الألفاظ ، غير أنه بالإضافة إلى ذلك بل فوق ذلك ذواقة للنصوص ، بصير بجميل الشعر والنثر . ولعل قيمة كتابه الحقيقية إنما تكمن في هذه الناحية ، لأنه حوى زبدة فنون القول وآداب العرب . إن كتاب الأمالي في جملته مختارات أدبية رفيعة تتسم في الغالب بالأصالة والندرة ، وتنطوي في الوقت نفسه على الفائدة والمتعة .

الدكتور عمر الدقاق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ملاحظات

على الموسوعة العربية الميسرة [1]

- ٥ -

(حرف العين)

٢٨٤ — ص ١١٧٣ « عارف حكمت ... أسس مكتبة باستانبول ... » .

من الملاحظات : إن الموسوعة لم تذكر أنه نقل مكتبته إلى المدينة ، وما تزال فيها ، ولها شهرة بمخطوطاتها .

٢٨٥ — ص ١١٧٤ « عائشة بنت أبي بكر ... كانت أديبة شاعرة . »

من الملاحظات : أنها لم تكن شاعرة ...

٢٧٦ — ص ١١٧٥ « عائشة بنت طلحة ، أديبة عالمة ، عرفت بجمالها ... » .

في الحديث عن عائشة بنت طلحة تقدم مسألة الجمال على غيرها ، وقد تكون عائشة أديبة بمعنى ما ، ولكن لا داعي إلى « عالمة » في موسوعة ميسرة ولا سيما إذا وردت الصفة من غير تخصيص .

٢٨٧ — ص ١١٧٥ « عائشة التيمورية ... لها ديوان اسمه حلية الطراز ولها كتاب نتائج الأحوال ، أما ديوان شعرها التركي فاسمه كشوفة ... وللآنسة مي دراسة مشهورة عنها حيث أطلقت عليها اسم شاعرة الطبيعة » .

(١) نشر أول هذه الملاحظات في الصفحات التالية : ٢٨٥ و ٤٧٧ من المجلد (٤٢) و ١٠٤ و ٣٤١ و ٦٢٧ من المجلد (٤٣)

أ — حلية الطراز — ط . نتائج الأحوال — ط . ب — كشوفه : شبكوفه — ط . ج — ليست دراسة مي من النبوغ بحيث يمكن وصفها بأنها مشهورة . د — شاعرة الطليعة : شاعرة الطليعة .

الكتيب في الأصل « محاضرة » ألقتها مي في جمعية « فتاة مصر الفتاة » ونشرت فصولاً منها في المقتطف . . . وأعادت دار الهلال نشر هذه الفصول وزادت عليها مابقي مخطوطاً منها ؛ وصدرت باسم « شاعرة الطليعة » . . . ويبدو أن التسمية من إطلاق دار الهلال مشتقة إيحاء من العوامل التي قدمتها مي لدراستها الشاعرة : « إن عائشة تيمور طليعة اليقظة النسوية في هذه البلاد . . . » صدر الكتيب في سلسلة كتاب الهلال . العدد ٦٨ .

٢٨٨ — ١١٧٥ « العباس : عم النبي ... وإليه ينسب العباسيون ... » من الملاحظات : خير من « ينسب » : ينتسب (أو ينتمي) .

٢٨٩ — ص ١١٧٦ « العباس بن مرداس . . . شاعر فارسي » : . . . فارس .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢٩٠ — ص ١١٧٦ « العباسيون . . . قسّم [الرشيد] دولته قبل وفاته بين أولاده : الأمين والمأمون والقاسم ... »

أصح من هذا أن يقال بين أولاده : محمد وعبد الله والقاسم ... » (أو الأمين والمأمون والمؤتمن — إذا كان لابد من ذكر الألقاب) .

٢٩١ — ص ١١٧٨ « عبد الله بن رواحة ... شاعر فارسي ... » : فارس .

٢٩٢ — ١١٧٩ « عبد الباقي العمري ... له ديوان الترياق الفاروقي ، وديوان أهلة الأفكار في معاني الابتكار » و « نزهة الدهر في تراجم فضلاء العصر » .

أ — الترياق — ط . ولا نعرف عن الكتابين الآخرين شيئاً يذكر .

ب — تكررت ترجمة عبد الباقي في ثلاثة أماكن من الموسوعة مرة تحت « عبد الباقي » ومرة « العمري » وثالثة « الفاروقي » . وأقل ما يمكن عمله في هذه الحالة أن يترجم له في مكان ، ويحال على هذه الترجمة في الأماكن الاخرى .

٢٩٣ — ص ١١٨٣ « عبد العزيز بن سعود ١٨٨٠ — ١٩٥٣ ... أسس أسرته بنجد محمد بن عبد الوهاب واضع المذهب الوهابي » .

لم يؤسس أسرته بنجد محمد بن عبد الوهاب ، فقد كانت قائمة قبل ذلك ، وكان أميرها محمد بن سعود في الدرعية . ومحمد بن سعود هو مؤسس دولة آل سعود وليس محمد بن عبد الوهاب . وأتم ما يذكر من الأمر أن محمد بن عبد الوهاب لما ضاق ذرعاً بلدته العيينة لجأ إلى الدرعية وفيها تم الاتفاق بينه ومحمد بن سعود ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢٩٤ — ص ١١٨٦ « عبدان : مدينة ج غ إيران ... » : عبّادان .

٢٩٥ — ص ١٢١١ « العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله ... خلف ديوان شعر ، ألف عدة كتب في اللغة مثل : « التلخيص » وجمهرة الأمثال وشرح الحماسة .... وفي الأدب مثل « معاني الأدب » والمصون » ... الخ .

أ — لم يصل إلينا ديوانه . ب — لم تميز الموسوعة ما وصل من كتبه وما لم يصل ، وما طبع وما بقي مخطوطاً . جـ — المصون ، ليس للعسكري أبي هلال وإنما هو للعسكري أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد . وهو مطبوع . (الكويت . تح . عبد السلام محمد هارون ١٩٦٠) .

٢٩٦ — ص ١٢٢٠ « العقاد ... عني بابن الرومي ، وكتب عنه كتاباً كبيراً » : كتابا .

٢٩٧ — ص ١٢٣٦ «عمر أبو ريشة ... له عدة قصائد»: له ديوانان وعدة قصائد ...

٢٩٨ — ص ١٢٣٧ «عمران بن حطان ... كان ثقة صادقا ...»: ... صدوقا.

٢٩٩ — ص ١٢٣٨ «عمرو بن قميئة ... خرج مع امرىء القيس إلى قيصر، ومات في الطريق ... ذكره امرؤ القيس في معلقته».

لم يذكره امرؤ القيس في معلقته. وذكرت الرواة أن عمرو بن قميئة هو المقصود بقول امرىء القيس: بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه ....»

٣٠٠ — ص ١٢٣٨ «عمرو بن كلثوم ... له ديوان أشهره معلقته ... التي رددتها تغلب ... وأخذ شعراؤها يضيفون إليها، فبلغت قريباً من ألف بيت، وصل إلينا جزء منها».

لا قيمـــة للخبر الأخير، ولا داعي إلى ذكره - على أي حال - في موسوعة ميسرة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣٠١ — ص ١٢٣٨ «عمرو بن معدي كرب ... شاعر فارسي»: عمرو ابن معديكرب (وهذا الحظ أسير) شاعر فارس.

٣٠٢ — ص ١٢٣٨ «العمري، عبد الباقي ... تزعم الأدب في أيامه ...».

أ — مرت ترجمته على ص ١١٧٩ من الموسوعة وستمر تحت الفاء (الفاروقي).

ب — لم يتزعم الأدب في أيامه.

٣٠٣ — ص ١٢٤١ «عنترة ... شاعر فارسي»: فارس.

(حرف الغين)

٣٠٤ — ص ١٢٤٩ «غ (غين) ... قيمته في حساب الجمل ١٠٠»: ١٠٠٠.

٣٠٥ — ص ١٢٥٤ «الغزالي ... درس علوم الفقهاء»: الفقـــه.

٣٠٦ — ص ١٢٥٧ « الغلاييني ، مصطفى ... » لم تذكر له الموسوعة « الدروس العربية » وجامع الدروس العربية » .

(حرف الفاء)

٣٠٧ — ص ١٢٦١ « فاجنر ، ريتشارد ... كما يعد من عباقرة الموسيقى فهو أيضاً في الصدارة من كتاب القصص » .

مسألة الشطر الثاني من الحكم فيها نظر .

٣٠٨ — ص ١٢٦٢ « فاجيه ، أميل ... » : الصحيح فاگ[ـه] أو فاج[ـه] لأنه Faguer .

٣٠٩ — ص ١٢٦٢ « فارس أو فارستان ... » لا داعي لـ « فارستان » ولعلها غير موجودة .

٣١٠ — ص ١٢٦٤ « الفاروقي ، عبد الباقي بن سليمان العمري ... شغف بالشعر الصوفي ومدائح الرسول ... له ديوان مطبوع باسم « الترياق الفاروقي من منشآت الفاروقي ... » .

أ — تكررت الترجمة للمرة الثالثة . ب — من منشآت : في منشآت .

٣١١ — ص ١٢٦٧ « ... وفيما يلي ثبت بأسماء سلاطين الفواطم ... »

أ — سلاطين : الخلفاء . ب — الفواطم : الفاطميين .

٣١٢ — ص ١٢٧٥ « الفتوة نظام أخذت به بعض البلدان العربية ، يستهدف إعداد تلاميذ المدارس الثانوية للحياة العسكرية » .

لم تشر الموسوعة إلى « الفتوة » في التاريخ العربي وهو أمر جدير أن يرعى ، ولا إلى الفتوة في المعنى الاصطلاحي لدى المتصوفة والشطـــار ، ولا إلى دلالتها في عهد الخليفة الناصر العباسي (تنظر مقدمة الدكتور مصطفى جواد على كتاب الفتوة لابن المعمار البغدادي الحنبلي ـ بغداد ١٩٦٠) .

٣١٢ — ص ١٣٨٠ « فرانس ، أناتول ... » لم تذكر الموسوعة بين ما ترجم له إلى العربية « الآلهة عطاش » (القاهرة ، ١٩٥٢).

٣١٣ — ص ١٢٨٣ « فرح أنطون ... ترجم « أتالا » لشاتوبريان » اتالا : أتالا Atala .

٣١٤ — ص ١٢٨٧ — ٨ « الفرزدق ... هو أحد الشعراء الثلاثة الذين عدّهم النقاد أمراء الشعر الأموي . تفوق على زميله في الفخر ... » .

أ — من عدّهم أمراء ؟ أي من أطلق هذه اللفظة ؟ إنها ليست مما يطلقه القدماء . إنما هم فحول ...

ب — الشعراء الثلاثة . من هم ؟ كان المناسب أن تنص الموسوعة على أسمائهم : جرير والفرزدق والأخطل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣١٥ — ص ١٣٣٣ « فورستر ... روائي انجليزي ... اشتهر بالنقد الأدبي وبخاصة في كتابه أوجه الرواية .

ترجمت له مجموعة من القصص ، وترجم كتابه النقدي بعنوان « أركان القصة » .

٣١٦ — ص ١٣٣٤ « فوق الواقعية أو سيريالية ، حركة أدبية وفنية ... أسسها ... أندريه بريتون ... » .

أ — سيريالية : سريالية Surréalisme . ب — كان المفروض أن يعرف بها في حرف السين (سريالية) لأنها هكذا عرفت وشاعت . فاذا وصلنا إلى حرف الفاء ، قلنا — إذا كان لا بد من القول — : فوق الواقعية ينظر سريالية . جـ — اندريه بريتون : أندرِ[ه] برتون André Bréton .

٣١٧ — ص ١٣١٣ « فلوبير ... أصيب بمرض عصبي جعـــله يمكث طويلاً في كرواسيه ... » .

كرواسيه : كروا‌سـ[ـه] Croisset .

٣١٨ — ص ١٣٢٦ « فنون تشكيلية ... في العراق ... حافظ الدروبي ، وطارق مظلوم وجواد سليم وفاضل عباس واسماعيل الشيخلي ومحمود صبري » .

أ — كان الأولى أن يدل تسلسل الأسمــــاء على أمر نسبي من المهم والأهم ، ويكون المناسب في هذه الحالة البدء بجواد سليم .

ب — بين الأسماء التي ذكرتها الموسوعة من لم يبلغ درجة الذكر ووصفه بالقطب .

حـ — أغفلت الموسوعة أسماء لامعة مبدعة مثل فائق حسن ، خالد الجادر ، جميل حمودي ، كاظم حيدر ، محمد غني حكمت ، ضياء العزاوي ...

٣١٩ — ص ١٣٠٢ « فضولي ... اتصل بسليمان القانوني ... فهنـــأه بقصيدة كوفئ عليها بماهية شهرية ... » .

كلمة « ماهية » لاتليق بموسوعة وكان من الممكن استعمال : رسم أو مرتب أو راتب أو مشاهرة ...

٣٢٠ — ص ١٣١٢ « فلنسيا ... » : بلنسية .

٣٢١ — ص ١٣٥١ « فيلبي ، ... عين ... وزيراً للداخلية في العراق (١٩٢٠ — ١٩٢١) ولكنه استاء من سياسة الحكومة البريطانيـة إزاء ذلك القطر فاستقال ١٩٢٥ .

أ — لم يعين فلبي — ولا أي انجليزي آخر — وزيراً للداخليـة (أو غيرها) في العراق .

ب — إنما كان مستشاراً للداخليـة (١٩٢٠ — ١٩٢١) ثم خرج من العراق لدى مجيء فيصل . حـ — مسألة « استـــاء » فيها نظر .

د — لم يبق في العراق بعد ١٩٢١ أي أنه لم يكن فيه حتى ١٩٢٥ .

٣٢٢ — ص ١٩٥٧ فيني ... فرنسي ... من أشهر قصصه ... شاترتون ... » شاترتون مسرحية وليست قصة .

٣٢٣ — ص ١٣٥٨ « فيت ... مستشرق فرنسي ... حقق الجزء الأول من كتاب « الخطط » للمقريزي .

لقد حقق فيت أكثر من جزء .

حرف القاف

٣٢٤ — ص ١٣٦٣ « القالي ... ولد في منز اجرد بأرمينية » مناز جرد (أو مناز كرد . قال ياقوت « مناز جرد بعد الألف زاي ثم جيم مكسورة وراء ساكنة ودال ، وأهله يقولون بالكاف ... » .

٣٢٥ — ص ١٣٧٢ « قذر البواليع » : « تتركب الأنظمة الحديثة لنقل مياه القاذورات بالمدن إلى مجار من الحديد أو الخرسانة ... ينطلق فيها قذر البواليع من التركيبات الصحية إلى مجاري المنازل ومنها إلى مجاري الشارع » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أ — هل يكون قذر البواليع مصطلحاً ؟ ب — لم التخصيص بالبواليع ؟ حـ — البواليع : البلاليع .

٣٢٦ — ص ١٣٧٣ « قرامطة ... حمدان ولقبه قرميطي أي أحمر العينين ... » .

أ — قرميطي : القرمطي . ب — جاء لدى الطبري ، حوادث سنة ٢٧٨ « ... وكان في القرية رجل ... أحمر العينين شديد حمرتها ، وكان أهل القرية يسمونه : كرميته لحمرة عينيه وهو بالنبطية أحمر العينين » .

٣٢٧ — ص ١٣٧٤ « قرائيون » : قرّاءون .

٣٢٨ — ص ١٣٧٥ « قرطاجة » : قرطاجة .

٣٢٩ — ص ١٣٧٦ « قرطاجنة » : قرطاجنة .

٣٣٠ — ص ١٣٧٩ « القزويني ، زكريا ... كتاب عجائب البلدان أو « آثار وأخبار العباد » وفي رواية ... آثار البلاد وأخبار العباد .

٣٣١ — ص ١٣٨٣ « قصة قصيرة ... ادجار آلن بو » : ألن Alan .

٣٣٢ — ص ١٣٩٣ « قم مدينة ... وسط إيران ... يحج إليها الشيعة » : يزورها .

٣٣٣ — ص ١٤٠٨ « قولي خان ، محمد هادي رضا خان » : رضا قليخان هدايت ...

(حرف الكاف)

٣٣٤ — ص ١٤٢٨ « الكاظمي ... له ... ديوان شعر في جزءين ... » : له ديوان صدرت منه مجموعتان (جزءان) وأعلن عن الثالثة .

٣٣٥ — ص ١٤٤٧ « كربلا ... يحج إلى كربلا الآلاف من الزوار المسلمين » : يزورها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣٣٦ — ص ١٤٦٤ « الكعبة ... ترسل كسوة الكعبة من مصر كل عام منذ عهد الملك الصالح نجم الدين إلى اليوم » : توقف الإرسال منذ حوالي عشر سنوات وأقامت المملكة العربية السعودية مصنعاً خاصاً بكسوة الكعبة .

٣٣٧ — ص ١٤٧٦ « كليلة ودمنة ... ترجمها عبد الله بن المقفع إلى العربية وابتغى في ترجمتها إرشاد الخليفة المنصور إلى ما يجب أن يتمسك به من خُلُق » .

الرأي شخصي وخاص وليس مقرراً ، فهو لا يصلح أن يعرض في موسوعة ميسرة ، وإذا كان لا بد من ذكره ، وجب الإشارة إلى ذلك وسبقه بكلمة مثل : ربما ، ويُظن ، ويمكن القول ... الخ .

٣٣٨ — ص ١٤٩٦ « كوبيه ... من أهم مسرحياته « في سبيل التاج » ... التي ترجمها المنفلوطي إلى العربية » .

أ — كوبيه : كوبّ [ه] Coppée . ب — المنفلوطي لا يترجم ، ولا يعرف الفرنسية ، إنما يترجم له ، ويُلخص ويتصرف . ج — جاءت في اللغة العربية على شكل قصة .

٣٣٩ — ص ١٥٠٧ « كوكتو ... من أشهر مسرحياته « الأبناء المتعبون » ...

أ — مسرحياته : قصصه . ب — الأبناء المتعِبون (بكسر العين ، إذا كان لا بد من الاحتفاظ بالترجمة) لأنها Les Enfants Terribles .

٣٤٠ — ص ١٥٠٩ « كولت أديبة فرنسية ، أهم رواياتها « عزيزتي » .

عزيزتي : عزيزي (إذا كان لا بد من الاحتفاظ بترجمة الموسوعة . وإلا فهي حبيبي إذا أريد معناها ، وهي شيري Chéri إذا طلبت الدقة والصحة فلقد استعملت اللفظة علماً للفتى الذي أحبته بطلة القصة الكهلة Léa . وبهذا الاسم أي (شيري) نقل القصة إلى العربية محمد بدر الدين خليل (القاهرة . سلسلة الروايات العالمية ـ الدار القومية ـ) .

ARCHIVE

٣٤١ — ص ١٩٢٩ « كوندية أسرة أمراء فرنسية » : كوندَ [ه] Condé .

٣٤٢ — ص ١٥٣١ « كيمياء قديمة (الخيمياء) » ، لا معنى لـ (الخيمياء) هنا ، ولا سبب .

(حرف اللام)

٣٤٣ — ص ١٥٣٨ « لاروشفوكو ... شهرته الأدبية تعزى إلى الحكم والأمثال التي برع في نظمها .

أ — إنها خطرات وأقوالٌ أكثر منها (حكماً وأمثالاً) ... Réflexions .

ب — في نظمها : في كتابتها ، لأنها نثر وليست شعراً .

٣٤٤ — ص ١٥٥٩ « لغة العرب ... الأب أنستاس ماري الكرملي ـ أصدر جريدة العرب .... » .

لم يصدر « العرب » الكرملي ، وإنما أصدرتها السلطة الإنكليزية المحتلة ، واختارته محرراً لها . . .

٣٤٥ — ص ١٥٧٧ « لوساج ، الن رينيه . . . كتب قصة « مغامرات جيل بالاس . . . » .

أ — . . . . رنه [كذا] René . ب — « قصة جل بلاس Histoire de Gil Blas .

(حرف الميم)

٣٤٦ — ص ١٦٣١ « المأمون . . . . ولم ينتقل المأمون من مرو إلى بغداد قبل ست سنوات » . العبارة غير مستقيمة قد يكون أفضل منها : لم ينتقل المأمون من مرو إلى بغداد إلا بعد مضي ست سنوات على بدء خلافته . . .

٣٤٧ — ص ١٦٤١ « متحف الآثار المصرية . . . » .

كان المناسب في موسوعة عربية أن تعرف — إلى جوار تعريف متحف الآثار المصرية — بمتاحف الآثار الأخرى ، كالعراقية والسورية . . . الخ .

٣٤٨ — ص ١٦٧٠ « مدحت باشا . . . » .

ليس من المعقول أن تتحدث موسوعة عربية عن مدحت باشا دون الإشارة إلى تاريخه في العراق .

٣٤٩ — ص ١٦٧١ « مدرسة : ليس أدل على حب المصريين للعلم من أنهم أطلقوا على دور العلم والمعرفة : بيوت الحياة . وبيت الحياة علم عند الفراعنة على كل دار لها صلة بالكتابة والقراءة والثقافة . . . وكلها تابعة للمعبد . . .

. . . ولا نظن أن المدرسة في مصر القديمة اختلفت كثيراً عن مثيلتها أيام العصور الوسطى . فقد كانت كذلك في معابد اليهود ، ثم في كنائس النصارى ، وأخيراً في المساجد عند المسلمين » .

أ — الفروض في كلام على مادة « مدرسة » أن يبدأ — أو أن يتضمن

في الأول ـ تعريفاً لها وتحديداً لنشوء اللفظة تاريخياً عند العرب ـ ولكن شيئاً من هذا لم يقع . ب ــ بل إن الموسوعة لم تتعرض ــ كما يجب ــ إلى المدرسة عند العرب والمسلمين ، ويكفي أنها لم تقترب من اسم « النظامية » و « المستنصرية » . . . جــ ــ وليس المهم الاقتصار على الزمن الفرعوني وإهمال العهد العربي الإسلامي . . . د ــ مسألة « بيوت الحياة » فيها نظر . . .

٣٥٠ ــ ص ١٦٨٠ « مرجليوث . . . مستشرق انجليزي . . . حقق ونشر « ديوان الحماسة » . . .

كلام به حاجة إلى التحديد .

٣٥١ ــ ص ١٦٨٨ « مرميه ، برسبر ... تعزى شهرته إلى القصص القصيرة التي كتبها ، ومنها كولومبا . . . وكارمن . . . »

أ ــ مرميه ، برسبر : مَرمِـ [٩] (أو مريـ [٩] ، بروسبر Mérimée , Prosper .

ب ــ كولومبا وكارمن منقولتان إلى اللغة العربية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣٥٢ ــ ص ١٧٣٠ « المقتدر بالله . . . وأسس الفواطم دولتهم » : الفاطميون .

٣٥٣ ــ ص ١٧٥٥ « منصور فهمي ، فيلسوف وباحث عربي ... » . ليس منصور فهمي فيلسوفا وإن درّس الفلسفة والأخلاق بالجامعة المصرية .

٣٥٤ ــ ص ١٧٨٠ « موسوعة ... وكان تطور التأليف الموسوعي الذي يعتمد على الترتيب الأبجدي بطيئاً ... أبجدياً ... أبجدياً ... ثم ظهرت بين عامي ١٩١٣ ــ ١٩٣١ دائرة المعارف الإسلامية ... وبدأت سنة ١٩٥٤ لجنة من المستشرقين المحدثين بإشراف كرامرز وجيب وبرنارد لويس في إخراج طبعة جديدة ... أبجدياً ... »

أ ــ كل « أبجدي » : هجائي ب ــ درست الموسوعة الميسرة ما نشر بعنوان « دائرة معارف » تحت حرف الميم (موسوعة) كأن الأصل هي

لفظة موسوعة وكأنها اللفظة التي لاتوجد سواها ، وهذا غير صحيح ، لأن لفظة « دائرة معارف أشهر وأقدم » ولذا حسن — في أقل تقدير — أن نكتب تحت حرف الدال : دائرة معارف تنظر موسوعة . ج — كرامرز : Kramers .

٣٥٥ ص ١٧٨٥ « الموطأ » : « كتاب لابن مالك . . . انظر ابن مالك ، أنس ص ٢٦ ... »

ابن مالك ، أنس : ابن أنس ، مالك (لأنه مالك بن أنس) .

٣٥٦ — ص ١٧٩٠ « مونتسكيو ... مؤلفه « الرسائل الفارسية » ... وروح القوانين ... »

أ — الرسائل الفارسية : رسائل فارسية Lettres Persannes مترجم إلى العربية ب - روح القوانين — ت

٣٥٧ — ص ١٨٠٠ « مئذنة ... وكانت تسمى منارة ... » : منارة (كانت ومازالت ...)

٣٥٨ — ص ١٨١١ « النابغة الجعدي ... هاجى ... أوس بن مغراء » : مغراء .

٣٥٩ — ص ١٨١٤ « ناجي ، إبراهيم ... أصدر ديوانين « وراء الغمام » ١٩٣٤ ، و « ليالي القاهرة » ١٩٤٤ ... »

نشر ابراهيم ناجي في حياته ديوانين من شعره ، هما : « وراء الغمام » .. وليالي القاهرة ... ونشرت له دار المعارف بعد وفاته ديواناً ثالثاً هو « الطائر الجريح » ، ثم تألفت لجنة لجمع شعره في « ديوان ناجي » فصدر عن دار المعارف سنة ١٩٦١ ولكن لهذا الديوان مشكلة فقد ضمنه الجامعون شعراً لغير ناجي ... »

٣٦٠ — ص ١٨١٦ « الناصر لدين الله : لقب عدة أمراء زيديين في اليمن ... »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أهملت الموسوعة « ناصراً » ، مهماً جداً هو الخليفة العباسي أبو العباس أحمد بن المستضيء المتوفى سنة ٦٢٢ من الخلفاء العظام – ولا يمكن أن يهمل .

(حرف النون)

٣٦١ — ص ١٨٢٩ « نرفال ، جيراردي كاتب فرنسي ترجم عن الألمانية كثيراً من المقطوعات الأدبية ، منهـا مسرحية « فاوست » ١٨٢٨ وبعض الأقاصيص مثل « بنات النار » ١٨٥٤ و « رحلة إلى الشرق » ١٨٥١ ، وأخيراً « أورليا ١٨٥٤ » .

أ — المقطوعات الأدبية ، منها مسرحية فاوست ... : الآثار الأدبية ، ولعلها في الأصل : المسرحيات . ب — يفهم من نص الموسوعة أن كل هذه الآثار المذكورة ترجمات وهذا غير صحيح لأن بنات النار ... الخ من تأليف نرفال . ج — إذا كان تاريخ كتابة « رحلة إلى الشرق » سنة ١٨٥١ – وهو صحيح فلم تؤخره عن « بنات النار » ١٨٥٤ !

٣٦٢ — ص ١٨٣٨ النظامية ... وقام نظام الملك بالتعليم بالمدرسة ... وأساتذتها جميعاً من أهل السنة ... » .

أ — لم يكن نظام الملك معلمًا ... ب - السنة : الشافعية .

٣٦٣ — ص ١٨٥٦ « نوح باني سفينة نوح ... » .

لم تشر الموسوعة إلى أنه « نبي » .

٣٦٤ — ص ١٨٦٨ « نيكلسون ... مستشرق انجليزي ... ألّف « التاريخ الأدبي للعرب » : تاريخ الأدب العربي A literary his. of The Arabes .

(حرف الهاء)

٣٦٥ — ص ١٨٩٦ « هرون الرشيد .. ثار عليه الخوارج بقيادة الوليد ابن طريف الشاربي » : الشاري .

٣٦٦ — ص ١٩٠١ « همدان : مدينة ... بغربي إيران : همذان .

٣٦٧ — ص ١٩١٤ « هورثون ناثنيل .. روائي وكاتب قصصي أمريكي » هوثورن Hawthorne .

٣٦٨ — ص ١٦١٤ « هوجو . فكتور ... من أشهر مسرحياته هرناني ، الترجمة الإنجليزية ١٨٣٠ ... ومن أعظم رواياته : البؤساء ١٨٦٢ ، عربها الشاعر حافظ إبراهيم » .. دفن في الباتثيون .. »

أ — Hernani مهمة في تاريخ المسرحية الفرنسية (الرومنطيقية) ، وعام ١٨٣٠ تاريخها بالفرنسية وهو أولى أن يذكر من تاريخ الترجمة ...

ب — حافظ إبراهيم لا يعرف اللغة الفرنسية ولم يعرب البؤساء وإنما ظهر باسمه تعريب لجزء يسير من هذه الرواية الضخمة . إن الذي عربها هو منير بعلبكي وجاءت مترجمة في خمسة مجلدات (بيروت . دار العلم للملايين

ج — البانثيون : الپانثيون Panthéon .

٣٦٩ — ص ١٩٣٩ « هيكل ، محمد حسين ... ولد في قرية هيكل بمركز السنبلاوين بمصر ... »

جاء في كتاب « الدكتور محمد حسين هيكل » الذي أشرف عليه أحمد لطفي السيد (القاهرة ، مطبعة مصر ١٩٥٨ وكتب فيه حياة محمد حسين هيكل الدكتور حسين فوزي النجار : « ولد .. لأبوين من صميم الريف المصري بقرية كفر غنام إحدى قرى مديرية الدقهلية . وكان أبوه حسين أفندي سالم هيكل سيد قومه وعشيرته ... »

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(حرف الياء)

٣٧٠ — ص ١٩٩٧ يونس بن حبيب النحوي ولد ببلدة (جبل) بالعراق ... »

جبل : جَبُّل ، قال ياقوت : جَبُّل (بفتح الجيم وتشديد الباء وضمها ولام) بليدة بين النعمانية وواسط في الجانب الشرقي ... » — وينظر نور القبس المختصر من المقتبس ص ٤٨ : « قيل إنه من أهل جَبُّل » ؛ أنساب السمعاني (الجَبُّلي) ، ابن خلكان (يونس) ٦ : ٢٤٥ .

الدكتور علي جواد الطاهر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتاب «الجوهرتين»

Al Hamdani: Kitab al Gauhratain Al ʿAtiqatain Al - Maʿiatain von Christopher Toll, Uppsala 1968 P. 389.

الهمداني أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب لسان اليمن ، كما اختار أن يلقب نفسه ، طود من أطواد الثقافة العربية ، ومع شهرته لدى المستشرقين فانه يكاد يكون مغموراً بين بني قومه من العرب ، إلا منذ عهد قريب حيث تصدى لنشر بعض مؤلفاته أحد أبناء اليمن وعلمائها : الأستاذ المحقق محمد ابن علي الأكوع الحَوالي الحميري ، فنشر الجزأين الأولين من « الإكليل » وقام بتحقيق « صفة جزيرة العرب » ، فأعدَّهُ للنشر ، ومن قَبْلُ طُبع هذا الكتاب طبعتين ، وطبع الجزآن : الثامن والعاشر من كتاب الإكليل.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والهمداني كما قلنا في كلمة سابقة ، واسع جوانب المعرفة ، وهو مع ما قاساه في حياته من ضيق وحبس وتعذيب ، لم يترك مجالا من مجالات العلم المعروفة في عهده إلاّ ألّفَ فيه ، فقد ألف في الفلسفة « سرائر الحكمة » ، وصل إلينا منه الباب العاشر في التنجيم ، ويصف صاعد الأندلسي وابن القفطي الهمدانيّ بأنه فيلسوف ، ويقول صاعد في « طبقات الأمم » ما معناه : إنه لم ينبغ في الفلسفة من العرب سوى اثنين : أبو اسحاق الكندي ، وأبو محمد الهمداني ، وقد عرفه علماء الأندلس قبل أن يعرفه المشارقة ، فوصلت إليهم كتبه ، واستفادوا منها ـ كما هو الحال مع أبي علي الهجري ـ قبل أن تصل إلى المشارقة .

ومن مؤلفات الهمداني غير « الإكليل » كتاب « الحرث والحيلة » وكتاب « الإبل » وكتاب « القسي والنبال » وكتاب « القوى » وكنت ظننت أن هذه الكلمة محرفة عن القوس ، غير أنني رأيته يذكر هذا الكتاب في مؤلفاته .

ومن أهم كتبه : كتاب « الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفـــراء والبيضاء » ، ولعل هذا الاسم المسجوع الطويل مما نفر الباحثين عن العناية به ، وقد سبق أن تحدثت عنه في هذه المجلة (١) ، وتحدثت عنه في مجلات أخرى ، وقت بنسخه ، وهيأته للنشر ، غير أن ذلك لم يتهيأ لي ، بل تهيأ لأستاذ غربي جليل هو (كريستوفر تول) .

وقد قام بترجمة الكتاب إلى الألمانية ونشر الترجمة مع النص العربي ، في منشورات (جامعة ابسالة سنة ١٩٦٨) بعد أن وضع للكتاب مقدمة باللغة الألمانية ، تحوي موجزاً عن تحصيل الناشر ثم ترجمة موجزة للهمداني فوصفاً للمخطوطات الثلاث المعروفة من الكتاب ، مخطوطة جامعة ابسالة ومخطوطة مكتبة المستشرق الألماني (جلازر) في مكتبة ميونخ ومخطوطة مكتبة امبروزيانا في ميلانو في إيطاليا والأولى أوفى النسخ ، ثم دراسة مفصلة عن موضوع الكتاب.

وقد بذل المحقق الناشر جهداً كبيراً في إبراز الكتاب بأوضح صورة استطاعها .

ولا يدرك ذلك الجهد إلا من اطلع على النسخ المخطوطة ، فرأى رداءتها ، وكثرة التحريف فيها وإيراد كثير من الكلمات غير معجمة ، ومنهـا كلمات لأسماء آلات في التعدين ، لا تحوي كتب اللغة التي وصلت إلينا وصفها ، وأخرى كلمات أعجمية كان الهمداني يتلقاها مشافهة من المعدِّنين في اليمن ، وكانوا من الفرس ، وكلمات عربية فصيحة يوردها الهمداني ، ولكنهـا مما تضمن معجمات اللغة بإيضاحه ، والهمداني لغوي كبير مترجم في كتب اللغويين ، وشاعر تصدى العالم النحوي ابن خالويه ، لجمع ديوانه في ثلاثة أجزاء وشرحه .

(١) المجلد السادس والعشرون ص ٥٣٥ ـ وما بعدها ـ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولقد بلغ من حرص الناشر الكريم أنه عمد إلى الكتاب ، فنسخه بخط يده ، ثم صور ما نسخ ، لكي يسلم من هفوات الطبع ، وأشار في ذيل الصفحات إلى اختلاف النسخ ، وخَرَّج بعض الأشعار ، ورجع إلى مصادر كثيرة عربية وعجمية ، فاستحق بعمله التقدير ، كلَّ التقدير ، من كل ذي غيرة على التراث العربي . ولعل من مظاهر التقدير لعمل هذا الأستاذ الكريم أن نشير إلى بعض ملاحظات قد تفيده أو يستفيد بها من يقتني مطبوعته ، مؤازرة في إخراج هذا الكتاب بأقرب صورة إلى الأصل ، وندع الحديث عن موضوعه ، فقد أوضحناه في كلتنا المنشورة قديماً في هذه المجلة .

آ — لقد استعصى على الناشر الفاضل فهم كلمات كثيرة من هذا المخطوط فاكتفى بأن وَضَع في أمكنتها نقطاً ، وأشار إلى صورها في الهوامش ، وكنا نرى إبقاء الصورة بموضعها من الكتاب ليكون أسهل للقارىء ، خاصة وان الناشر الكريم صور ما كتب تصويرا ، ولهذا لا يستعصي عليه أن يصور الكلمة الغامضة نفسها .

ب — ظهر لي عند مطالعة الكتاب أن الناشر الفاضل أورد كلمات على غير وجهها الصحيح ، فرأيت ذِكرَ بعضها مما أميلُ إلى صحته ، أما الكلمات التي أخالف الناشر الفاضل في كيفية نطقها ، مما عول فيه على إحدى النسخ ، فإنني أترك ذكرها لوقت آخر . وسأشير إلى صفحات النص العربي حسب ترقيم الناشر الكريم .

١ — ص ١ : (فلم يغل) : (فلم يعل) . بالعين المهملة .

٢ — ص ١ : (يأكلون التراث . . . يحبون المال) : (وتأكلون التراث . . . وتحبون المال) آية قرآنية معروفة .

٣ - ص ٢ : (فصحاء مسكين العرب) : (فصحاء مساكين العرب) .

٤ — ص ٢ : (يقول العرب بينهم) : (تقول العرب بينهم) .

٥ — ص ٢ : (آتينه) : (أتَيْتُهُ) .

٦ — ص ٢ : (يرضىّ عوَضاً) : (يُرْضَى عِوَضاً) .

٧ — ص ٢ : (وكانَ أساورة ... الفرَسِ) : (وكأنّ أساورة ... الفُرْسِ) .

٨ — ص ٢ : (وجعله من أعظم ما في هذه الدنيا دينار) : أرى حذف كلة (دينار) إذ لا محل لها .

٩ — ص ٣ : (وان كل لمــا) : (وإنْ كُلّ ذلكَ لمَّا) . وهي آية قرآنية .

١٠ — ص ٣ : (ويقول العرب) : (وتقول العرب) ، والهمداني يكرر هذا التعبير كثيراً .

١١ — ص ٣ : (ولا أن بكلمة التقوى) : (ولا أنّ لنا بكلمة التقوى) كما في نسخة الرسالة وبها يستقيم المعنى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٢ — ص ٣ : (إن الذين يكنزون) : (والذين يكنزون) كما في القرآن الكريم .

١٣ — ص ٣ : (ثم ما يُشَدِّد الله ... ما يشدد) : (ثم ما تَشَدَّدَ الله .. ما تَشَدَّدَ) .

١٤ — ص ٣ : (وما اوتيتم .. لتربوا ... يربوا) : (وما آتيتم .. ليربو .. يَرْبُو ..) آية قرآنية .

١٥ — ص ٤ : (عدى بن زيد) : (عدى بن بَدَّا) . وانظر ضبط هذا الاسم في كتاب « الإكمال » لابن ماكولا ١ : ١٢٣ .

١٦ — ص ٤ : (من بركة ابن مارية) : (من تركة ابن مارية) . والقصة معروفة .

١٧ – ص ٤ : (ابن الرقيات) : (ابن قيس الرقيات) . الشاعر المعروف .

١٨ – ص ٤ : (وشروه وباعوه) : الصواب حذف الواو : (باعوه) .

١٩ – ص ٤ : (يَكنُفُ المُنتقِدُ) : (يكفُّ المُنْتقِدُ) .

٢٠ – ص ٥ : (كانت بَشَارَةً وَنَهَارَةً) : (كانت نَشَارَهْ وَنَهَارَهْ) .

والحديث معروف ، وانظره في « تاج العروس » ٣ : ٢٩٥ و ٥٣٨ و ٦١٩ .

٢١ – ص ٥ : (فزوجتها حَوْرانيا) : (فزوَّجها حُورانيا) .

٢٢ – ص ٥ : (من زالها) : (من بزالها) . انظر « التاج » ٧/٢٢٦ .

٢٣ – ص ٥ : (تَشْنِيقُ) : (تَنَشْنَقْ) .

٢٤ – ص ٦ : (كل أَبَّانِ) : (كل إِبَّانِ) .

٢٥ – ص ٦ : (يراجع ماء القر) : (تَرَاجَعُ ماء الدَّرِّ) .

٢٦ – ص ٦ : (لا يعرف) : (لا يشرب) .

٢٧ – ص ٦ : (يَرفَهُ وَجَنبِه) : (يَفْتَم وَجْنُه) .

٢٨ – ص ٦ : (وما قرب منها) : (وما غرز منها) .

٢٩ – ص ٦ : (والجبيل والعراق) : (والجَبَلُ والعراق) .

٣٠ – ص ٧ : (ما كان أعلاه) : (ما كان أغلاه) .

٣١ – ص ٧ : (مجذوف) : (محذوف) أي مقصوص الذنب .

٣٢ – ص ٧ : (في مولد) : (في مولود) .

٣٣ – ص ٨ : (وقيل : إبل المسجد) : (وقيل : بَلِ العَسْجَدُ) .

٣٤ – ص ٨ : (وثاني عسجد) : (وثَانِيْ عسجد) . من أرجوزة الرداعي التي وصف بها طريق الحج .

٣٥ – ص ٨ : (فيا له بيتاً) : (فيا له بيت) .

٣٦ – ص ٨ : (وجه العروس) : (وَجْنَةُ العَرُوس) .

٣٧ – ص ٨ : (وهي المذاهب) : (وهي المذاهيب والمذاهب) .

٣٨ – ص ٨ : (تَضُمُّ اللام) : (يضمّ اللام) .

٣٩ – ص ١٠ : (الأحلول مدرها وهي النزاعة) : (الأُمْلول مِدْرَعاً ، وهي البراعة) .

٤٠ – ص ١٠ : (وسمي الرجال) : (وسمي الرجل) .

٤١ – ص ١٠ : (ومثل قول (...) وغيره : ما نبأ مصمئل) : (ومثل قول التأبط : خَبَرٌ ما نَابَنا مُصْمَئِلٌ) وهذا شطر بيت من قصيدة تأبط شراً ، التي أولها :

إنَّ بالشِّعْبِ الذي دُون سَلْعٍ لقتيلاً دمه ما يُطَلُّ

والهمداني يعبر عن تأبط شراً ، بقوله التأبط كما في شرحه لقصيدته الدامغة ، الورقة ٤٠ النسخة الخطية .

٤٢ – ص ١٠ : (أو دقت علينا) : (أو دَقَّتْ عِلَّتُهَا) . وقد فسر الهمداني العلة في الكتاب .

٤٣ – ص ١١ : (واني شاري البعير) : (وأيْنَ شاري البعير ؟) .

٤٤ – ص ١١ : (فحسنه ما قلتُ) : (فَحَسَنَةٌ ما قلتُ) .

٤٥ – ص ١١ : (في ما) : (في من) .

٤٦ – ص ١١ : (اسماء من اسماء) : أسماً من أسماء) .

٤٧ – ص ١٢ : (القلال) : (القلال) .

٤٨ – ص ١٣ : (وكل ناقٍ من الجواهر) : (وكل ناهي من الجواهر) وكلمة ناهي يستعملها الهمداني .

٤٩ – ص ١٤ : (دائمة مستديمة) : (دائمة مستحيلة مستديمة) .

٥٠ – ص ١٤ : (جلجلت الأرض) : (خلخلت الأرض) .

٥١ – ص ١٥ : (وناسبه اتصالاً طبيعيا) : (ومَاسَّهُ اتِّصالاً طبيعياً) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٥٢ – ص ١٦ : (من اوجه بين) : (مزاوجة بين) .

٥٣ – ص ١٦ : (تسمة درجات) : (تسع درجات) .

٥٤ – ص ١٦ : (فكذلك) : (فذلك) .

٥٥ – ص ١٦ : (فصارت رأس الحمل) : (فصارت من رأس الحمل) .

٥٦ – ص ١٦ : (الحلاوة فيه) : (الحرارة فيه) .

٥٧ – ص ١٧ : (حرّان) : (حارّان) .

٥٨ – ص ١٨ : (يبس اجزاء الحجر) : (يشدّ أجزاء الحَجَر) .

٥٩ – ص ١٨ : (القهر من هذه الحجارة) : (الفِهْر من هذه الحجارة) .

٦٠ – ص ١٨ : (قبول صدقه) : (قبول صُدْفَة) .

٦١ – ص ١٨ : (كالحجر التي) : (كالحجرة التي) .

٦٢ – ص ٢٠ : (على الذات والدوام) : (على الدأب والدوام) .

٦٣ – ص ٢٠ : (ما لا انقض له) : (ما لا انقضاء له) .

٦٤ – ص ٢٠ : (وفسادها) : (وفساده) .

٦٥ – ص ٢٠ : (النيازك والذوائب) : (النيازك والذوانب) .

٦٦ – ص ٢٢ : (بقي الحرارة) : (نفي الحرارة) .

٦٧ – ص ٢٢ : (حرارة الاج) : (حرارة الأجسام) .

٦٨ – ص ٢٢ : (البخارات المتجدد) : (البخارات المتجددة) .

٦٩ – ص ٢٣ : (في اجزاء نفسه) : (في أجزاء اليبس) ،

٧٠ – ص ٢٣ : (يملان مكة) : (بِمِمْلاةِ مكة) .

٧١ – ص ٢٤ : (الاعْوج) : (الأعْرَج) .

٧٢ – ص ٢٤ : (افيقمة) : (أُفَيْعِيَة) وهو منهل معروف . ويسمى (أفاعية) أيضاً .

٧٣ – ص ٢٤ : (وابناء شمام) : (وابنا شمام) وهما اثنان .

٧٤ ـ ص ٢٥ : (يعلمونه) : (يعملونه) .

٧٥ ـ ص ٢٥ : (بخار) : (بخارى) .

٧٦ ـ ص ٢٦ : (مدحج) : (مذحج) .

٧٧ ـ ص ٢٧ : (حجرنه) : (حجزنه) .

٧٨ ـ ص ٢٧ : (ممروفا) : (ممروقا) ـ بالقاف ـ .

٧٩ ـ ص ٢٧ : (وتمصد) : (وتفصد) .

٨٠ ـ ص ٢٨ : (لا تتفرق) : (لا تتعرق) .

٨١ ـ ص ٢٨ : (خلة التيسر) : (حلة التبر) .

٨٢ ـ ص ٢٨ : (على العرقين) : (على العراقين) .

٨٣ ـ ص ٢٩ : (وتبرأ منه الذهب) : (وتتبين منه أسنة الذهب التشزر) .

٨٤ ـ ص ٢٩ : (أوْ أنَّ) : (أوَانٌ) .

٨٥ ـ ص ٣١ : (فقمع اللهب) : (فيقمع اللهب) .

٨٦ ـ ص ٣١ : (يحذو اللسان) : (يحوف اللسان) .

٨٧ ـ ص ٣١ : (حتى ينفياها) : (حتى ينقياها) .

٨٨ ـ ص ٣٢ : (النار اذا انسفرت) : (النار إذا استعرت) .

٨٩ ـ ص ٣٢ : (يسبك) : (مسبك) .

٩٠ ـ ص ٣٢ : (ثم (...) : (ثمَّ أحيرَ الماء والهواء) :

٩١ ـ ص ٣٢ : (ولم ... الماء والهواء) : (ولم ينقص احرارا شديدا يطير الماء والهواء) .

٩٢ ـ ص ٣٢ : (نصفي بيضة كينمتين) : (نصفا بيضة كثيفتين) .

٩٣ ـ ص ٣٢ : (المتضمدة ... يضمد) : (المتصمدة ... يصمد) .

٩٤ ـ ص ٣٢ : (فاذا عم الصف الدواء) : (فاذا تمّمَ ألصقَ الدواء) .

٩٥ ـ ص ٣٣ : (تضايع لقوم) : (بضائع لقوم)

ARCHIVE

٩٦ — ص ٣٣ : (الاذهاب والتنور) : (الأَذْهَابُ والتِّبْوُرُ) .

٩٧ — ص ٣٣ : (حتى يصل البرودة ويرتقي) : (حتى تصل البرودة وترتقي) .

٩٨ — ص ٣٣ : (خلة الزاج ودقته) : (جلة الزاج ودقته) .

٩٩ — ص ٣٣ : (بمائيه ذلك) : (بمائِيهِ ذَلك) .

١٠٠ — ص ٣٤ : (حدة الزاج على قدر حدته) : (حدة الزاج على قدر جِدَّتِه) .

١٠١ — ص ٣٤ : (كيلا تَزَل ... شيء) : (كيلا يَزِلَّ ... شيء) .

١٠٢ — ص ٣٤ : (وان استحسن أحدها) : (وإن استخشن أحدها) .

١٠٣ — ص ٣٥ : (الجرس) : (الجَرْش) .

١٠٤ — ص ٣٥ : (ما ينقص (..) واحدة ما (..) : (ما ينقص في المعاد ، وأخذ ما يزيد) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٠٥ — ص ٣٥ : (ما صف ... المطرقة) : (ما صف الا بما رَمَى بأثر المطرقة) .

١٠٦ — ص ٣٥ : (من جهات فيها) : (من جهاتٍ : منها) .

١٠٧ — ص ٣٦ : (قدر مُرَازَة) : (قدر مُرادِهِ) .

١٠٨ — ص ٣٦ : (بما انفق) : (بما اتَّفَقَ) .

١٠٩ — ص ٣٦ : (الشعث والسكلام) : (الشغب والسكلام) .

١١٠ — ص ٣٧ : (حبة واكثر) : (حبة ، حبة ، واكثر) .

١١١ — ص ٣٧ : (لنا ان تطير) : (لما أن تطير) .

١١٢ — ص ٣٧ : (ذلك يستوي) : (ذلك لأن يستوي) وانظر ص ٣٨ .

١١٣ — ص ٣٧ : (وآمن السباك أن يسوط) : (ومن السباك من يسوط) .

١١٤ — ص ٣٨ : (اثنان مستعملان ورأيته) : (اثنان : مُسْتَعْمَلُ ، ورأيته) .

١١٥ — ص ٣٨ : (تبلغ قدرهن) : (يبلغ قدرهن) .

١١٦ — ص ٣٩ : (حذو القِدَّة بالقِدَّة) : (حذو القُذَّة بالقُذَّة) .

١١٧ — ص ٤٠ : (وايها حذاءها) : (وانها حَذَاهُمَا) .

١١٨ — ص ٤٠ : (كما يتهيأ) : (كما نَبَّهْنَا) .

١١٩ — ص ٤٠ : (وايها جذرها) . (وأنها جذرها) .

١٢٠ — ص ٤٠ : (الارادة) : (الإدارة) .

١٢١ — ص ٤٣ : (جادت النار) : (جارت النار) .

١٢٢ — ص ٤٣ : (فقد فيه) : (فقد أصبح فيه) .

١٢٣ — ص ٤٣ : (سوى فذلك) : (سواء ، فذلك) .

١٢٤ — ص ٤٤ : (خمسة في نسق سوى محمد بن ابراهيم بن محمد ابن عبد الرحمن، من محمد إلى محمد) . : (خمسة ، في نسق ، سوى محمد بن ابراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد ، من محمد إلى محمد) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٢٥ — ص ٤٤ : (وان ما ذهبوا له) : (وان ما ذهبوا إليه) .

١٢٥ — ص ٤٤ : (لا يسقط عن خطّائين): (لا يسقط عن خَطَأٍ بَيِّنٍ).

١٢٦ — ص ٤٤ : (ولا يبين ضعفه) : (ولا يميز ضعفه) .

١٢٧ — ص ٤٥ : (فاذا استوت على انها) : (فاذا استوت ، علم أنها) .

١٢٨ — ص ٤٥ : (من الكفةالأخرى) : (في الكفة الأخرى) .

١٢٩ — ص ٤٦ : (كل ما يفرغ من هذه) : (وكل ما تفرع من هذه) .

١٣٠ — ص ٤٧ : (أو رجحانات) : (أو رجحان) .

١٣١ — ص ٤٨ : (أو حزن كثيرة الوعث) : (أو طرق كثيرة الوعث) .

١٣٢ — ص ٤٨ : (ينادى الى هذا) : (يَتَأَدَّى إلى هذا) .

١٣٣ — ص ٤٨ : (من المياه إلى الريق) : (من المياه إلى الرتق) .

١٣٤ — ص ٤٨ : (ما يستوى بين الناس) : (ما يسوي بين الناس) .

١٣٥ = ص ٤٨ : (اجر الساق البتراء وقدر بما) : (أخَّر الساق والسر ، وقدر له بما) .

١٣٦ — ص ٤٨ : (على ما (...) اليه) : (على ما يغلب إليه) .

١٣٧ — ص ٥٠ : (ثمَّ : باب حكومة) : (تَمَّ باب حكومة) .

١٣٨ — ص ٥٠ : (فينتي أن يعرف ذلك ، فأما) : (فينبغي أن يعرف ذلك تماماً ، فأما) .

١٣٩ — ص ٥٠ : (فإن تصور) : (بِأَنْ تَصَوَّر) .

١٤٠ — ص ٥١ : (فحينئذ تجتنى) : (فحينئذ يَجيء) .

١٤١ — ص ٥١ : (تقايض من جنوبها) : (تفايض من جنوبها) . من فاضَ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٤٢ — ص ٥١ : (بصرف بئس) : (بصرف نفيس) .

١٤٣ — ص ٥١ : (فاذا استوت هندمة) : (فاذا استوت هَندَمتْ) .

١٤٤ — ص ٥١ : (ولا تغدو به الجفنة) : (ولا يعدونه الجفنة) .

١٤٥ — ص ٥١ : (فتشع ما كان) : (فتتبع ما كان) .

١٤٦ — ص ٥١ : (حَيْ به) : (حَيِيَ به) .

١٤٧ — ص ٥١ : (يخل من القلة) : (تَحَلَ من القلة) .

١٤٨ — ص ٥١ : (ثخينا ، لأن) : (ثخيناً ، ليّناً) .

١٤٩ — ص ٥٣ : (لما في أول) : (كما في أول) .

١٥٠ — ص ٥٣ : (ثم يعتمد) : (ثم يَعْمَدُ) .

١٥١ — ص ٥٣ : (ثم عره عليه وعمد) ، (ثم عره عليه عَرْعَرَةً غَليظةً ، وعمد) .

١٧٣ — ص ٦٢ : (على حَدّه) : (على حِدَّة) .

١٧٤ — ص ٦٢ : (بلا ماءٍ) : (تلاءَمَا) . من الملاءمة .

١٧٥ — ص ٦٣ : (وبه نفس ، وأما الذي لا نفيس فيه) : (وبه نقش ، وأما الذي لا نقش فيه) .

١٧٦ — ص ٦٣ : (تعمد الطبخ) : (بعد الطبخ) .

١٧٧ — ص ٦٣ : (النطائق) : (التطابق) .

١٧٨ — ص ٦٤ : (الخوذ والالوز) : (الجوز واللوز) .

١٧٩ — ص ٦٤ : (مداق بمرار البقر) : (مُدَيَّف بمرار البقر) .

١٨٠ — ص ٦٤ : (استفرع) : (استفرغ) .

١٨١ — ص ٦٤ : (كيثه الحديد) ، (كَيثةُ الحَديد) .

١٨٢ — ص ٦٤ : (ويسمر البائنة من الفلوق . . . فيصرف فلقهـا) : (وتسمر البالية الملوق . . . فيصرف علقها) .

١٨٣ — ص ٦٤ : (النقرى) : (النقرة) .

١٨٤ — ص ٦٤ : (متصعد من بخاره) : (فتصعد من بخاره) .

١٨٥ — ص ٦٥ : (عند الناس منه) : (عند اليأس منه) .

١٨٦ — ص ٦٦ : (فتطلى ما شئب) : (فتطلي ما شئت) .

١٨٧ — ص ٦٧ : (تجوذ . . وتنق) : (يجوَّدُ . . ويُنقَّى) .

١٨٨ — ص ٦٧ : (ولُوِّنَ فثاب) : (ولُوِّنَ ، فبان) .

١٨٩ — ص ٦٧ : (كانت أقل اخذها) : (كانت أقل لأخذها) .

١٩٠ — ص ٦٧ : (شيء ما كان) : (شيء مما كان) .

١٩١ — ص ٦٧ : (سحائب زَبَد) : (سحائب رُبُدٌ) .

١٩٢ — ص ٦٨ : (قد فني عنه) : (قد فثأ عنه) .

١٩٣ — ص ٦٨ : (لين اللوز) : (لِأَنَّ اللوز) .

١٩٤ — ص ٦٨ : (تكسر من ٠٠ ميمانه) : (تكسر من جديه ميمانه) .

١٩٥ — ص ٧٠ : (تخسر وترفع) : (تَخَسَّنُ وتَرْفع) .

١٩٦ — ص ٧٠ : (تبين عتق الذهب) : (يبين عتق الذهب) .

١٩٧ — ص ٧٠ : (وكما هو أخف) : (وكل ما هو أخف) .

١٩٨ — ص ٧١ : (اول الكواكب ضررا) : (أقل الكواكب ضررا) .

١٩٩ — ص ٧١ : (قصب المُصَّان) : (قصب المُضَّار) . وقد ذكره في « صفة الجزيرة » ص ١٩٣ .

٢٠٠ — ص ٧١ : (قوم يمصونه) : (قوم يُمَضِّرونه) .

٢٠١ — ص ٧٢ : (اللواتي تحجبن) : (اللواتي يحجبن) .

٢٠٢ — ص ٧٢ : (وجعلوا ما في ارجل) : (رجعو الى ما في أرجل) .

٢٠٣ — ص ٧٢ : (بحال اليبس) : (لحال اليبس) .

٢٠٤ — ص ٧٣ : (الحدة ٠٠ خلق) : (الحدة ٠٠ خلق) .

٢٠٥ — ص ٧٣ : (في البقاء) : (في النقاء) .

٢٠٦ — ص ٧٤ : (اعظم يدينون به) ، (أعظم ما يدينون به) .

٢٠٧ — ص ٧٥ : (صدى المطرقة) : (صدأ المطرقة) .

٢٠٨ — ص ٧٤ : (من بعديومئذ) : (من بعد ، ويومئذ) آية قرآنية .

٢٠٩ — ص ٧٦ : (واما علة لأنّ) : (واما علة لين) .

٢١٠ — ص ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩ : (التفييت) : (التفتيت) .

٢١١ — ص ٧٧ : (ليثبت الدينار) : (ليثبت الدينار) .

٢١٢ — ص ٧٧ : (فإنَّ فيه الميل) : (بانَ فيه الميلُ) .

٢١٣ — ص ٧٧ : (وان جل طوقه) : (وان كان جل طوقه) .

٢١٤ — ص ١٧ : (وسيرُ الوضمات) : (ونشرُ الوضمات) .

٢١٥ — ص ٧٨ : (فمن صدر السكة وحفظها) : (فمن حدر السكة وخفضها) .

٢١٦ — ص ٧٨ : (ومن يضرب السكة ورفعها) : (ومن نصب السكة ورفعها) .

٢١٧ — ص ٧٨ : (يلقاها الراحة) : (تلقاها الراحة) .

٢١٨ — ص ٧٨ : (وما كان هشاقي ..) : (وما كان هشاً من وجه) .

٢١٩ — ص ٧٨ : (وجدة الاكرع مع بناتها) : (وحِدَّةُ الاكرع مع ثباتها) .

٢٢٠ — ص ٧٨ : (تحينا) : (ثخينا) .

٢٢١ — ص ٧٨ : (يصلدم ما تحته) : (يصادم ما تحته) .

٢٢٢ — ص ٧٨ : (فيخرج الأسفل على...) : (فيخرج الأسفل على الثبات) .

٢٢٣ — ص ٧٩ : (فقد يصدأ ولكنه) : (فقد يُضيء ولكنه) .

٢٢٤ — ص ٧٩ : (بتقوش) : (يتقوَّس) .

٢٢٥ — ص ٧٩ : (وقد يعرف الحديد) : (وقد يعرق الحديد) .

٢٢٦ — ص ٧٩ : (لأن البقار) : (لأن النمال) .

٢٢٧ — ص ٧٩ : (ثم ريزج وصقل) : (ثم رُنْدِجَ وصُقِلَ) .

٢٢٨ — ص ٨١ : (النحلي) : (التخلي) اسم موضع في صفة جزيرة العرب ص ٢٤٠/١٩٠ .

حمد الجاسر

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وصف الطبيعة في شعر الصنوبري

— ٢ — (١)

ويمكننا أن نعتبر الحقل الرابع من شعر الصنوبري والذي سنقف عنده وصف المياه وما يجري هذا المجرى . ويستوقفنا هنا وصف الثلج ووصف البرك ووصف نهر حلب المسمّى بقويق .

على سبيل العموم ، نلاحظ قلّة احتفال الصنوبري بوصف المياه من خلال المقطّعات التي في الذيل . ولعل نهر قويق استنزف منه قريحته في هذا الموضوع فما خرج إلينا في سواه بغير العادي . والمياه توصف عنده عادة بالصفاء والرقة ، وتشبّه بالفضّة والبلّور ، وسطوحُ مجاميعها تتغضّن إذ ما لمستها يدُ الريح كأنها الدروع الزرديّة .

ونحفل بوصف الثلج لقلّة ورود هذا المعنى في الشعر العربي ، ولا حرج . فقلة الثلج في العالم العربي أدّت إلى ذلك ولا غرو . في مقطوعة يردُ بها ذكر الثلج لم يأتِ الصنوبري على شيء سوى ذكر الثلج وتسميته وتشبيهه بالورد الأبيض :

ورد الربيع مورّد والورد في تشرين أبيض

وله قصيدة أخرى في وصف سقوط الثلج ، يتّصلُ الوضع الطبيعيّ فيها بالوضع الإنساني . فتَنَدُّفُ الثلج يحدو الصنوبري لأن يهيبَ بصحبه إلى اللهو والقصف . على أن ما يستوقف الناظر حال النهار الضاحك المتقنّع بغلالة من فضة . وهو ولا شك معنىً مطروق من كلا شقّيه ليس لشاعرنا فضل سوى الجمع تحت عنوان جديد . وخلاف هاتين القطعتين « الثلجيتين » لا نعثر له على شيء في الموضوع .

---

(١) نشر أول المقال في الصفحة ٨١٠ من المجلد (٤٣) .

أمّا احتفالنا بوصف البركة فلورود معنىً رائع فيه . وقد جاء خلال وصف الشاعر لرياض حلب الشهباء حيث يذكر أن وسط ساحات هـــذه الرياض بركاً ماؤها زجاج مُذاب ، ولُجَين مسبوك ، ولصفاء ماء هذه البرك تندو :

هي الجوّ من رقّة غير أنّ ... مكان الطيور بطير السمكْ

لقد حاول البحتري أن يقول قبل الصنوبري مثل هذا المعنى في قصيدته بوصف بركة المتوكّل :

يَعمْنَ فيها بأوساط مجنّحة ... كالطير تنفضُ في جوّ خوافيها

ولكنّه قصّر عن معنى شاعرنا .

وأما الصنوبري ونهر حلب فبينها غرام وعشق . فهو لا يرى من هذا النهر إلاّ المحاسن والفضائل . رياض قويق النضرة مزهرة عبِقَة ، تحرّض على حثّ الكؤوس ، وماؤه نقيّ كالبلّور لمّ كلَمْع اللؤلؤ ، وهو يأبى أن يحمل على ظهره السفائن ، وله من العلاجيم (١) ما يسبّح بحمد الله له . ولكنّ الذي أقضّ مضجع شاعرنا أن هذا النهر « إذا جدّ جِدّ الصيف ، غادر الماءُ جِسْمَهُ فبدا شحيحاً . فيحاول الصنوبري أن ينتحل له العِلَل ، فيقول أوّلاً بمرضه :

قويق على الصفراء ركّبَ جسْمُهُ ... رُباه بهـــذا شُهّدٌ وحدائقُهْ

إذا جَدّ جِدّ الصيف غادر جِسْمَهُ ... ضئيلاً ، ولكنّ الشتاء يوافِقُهْ

ولكنّ المرض من العيوب ، وأيُّ حُسْنٍ يكنُ في جسدٍ رُكِّب على الصفراء ! فيذهب يلتَمِسُ له العذر من العاطفة السامية ، الحب :

---

(١) العُلْجوم جمعها : علاجيم ، وهو الضفدع الذكر ، وله معان أخرى . (المجلة)

وقد عابه قومٌ وكلّهمو له   على ما تعاطوه من العيبِ، عشّاقُ
يهابُ قويقٌ أن يُمَلَّ فإنّما   يقيم زماناً ثم يمضي فنشتاقُ ...

كأنّ هذا النهر محبٌّ خفيفُ الظلّ يزور غبّاً كي يزداد حبّاً :

فلو دام في الحبِّ الوصالُ ولم يكُنْ   فراقٌ ولا هجرٌ لما اشتاق مشتاقُ ...

ولكنّ قويقاً قويٌّ في الشتاء ، فما بالُ حُسّادِه يعذلونه :

تذهبُ أمواجُه كخيــلٍ   شقرٍ لها وسطها ذهابُ

وهل موجه كالخيل وحسب ، إنّه إن شمّ ريح الشتاء تاه وتكبّر :

وناسبَ دجلة والنيل والــفرات بهاءً وحسناً وطيبا

ولكنّ ماءه شحيح في الصيف . ما باله هكذا ؟ إن هذا ليؤلم شاعرنا ويُحزنه . لا بُدّ وأن يعتذر لهنا . وما له من حيلة أو مخرج سوى الخفوتِ في الاعتذار . ويرثي له ويعتذر عنه ويثير الشفقة فيك علّك تصفح وتعفو :

وإن أقبلَ الصيف أبصرته   ذليلاً حقيراً حزيناً كئيبا
إذا ما الضفادع نادينــه   قويقُ، قويق، أبى أن يجيبا

وهنا تكمن الشاعرية .

اسم هذا النهر لا يوحي بالموسيقى اللفظية مطلقاً . ومن جهة أخرى يُعتبر نقيق الضفادع مزعجاً ممقوتاً . ولكن شاعرنا استمار الواحد للآخر ، ومزجها ، فأعطاك أبدع صورة وأدقّ تعبير تنق الضفادع له ... وهكذا تقول : قويق قويق ... ولكنه لا يجيب ! فهل هنالك من عاتب عليه بعد الآن ؟ ولا حاجة لنا بعد هذا كلّه أن نشير إلى بلاغة التجريد والتشخيص والوجدانية فيما مضى .

أما الحقل الخامس من شعر الصنوبري فهو وصف المدن والأماكن . وهو ضربٌ من الوصف لايهمنا كثيراً إلا بالقدر الذي تناول فيه وصف رياضِ هذه الأماكن والمدن . وقد ألمحنا لذلك في مكانه حيث تحدّثنا عن شعره في الرياض ، صناعيّةً وطبيعية .

والحقل الأخير الذي سنشير اليه هو ذلك النوع من القصائد التي تحدّث بها على سجيّتهِ فصوّر شعوره النفسيّ تجاه الطبيعة وأظهر ذلك واضحاً جليّاً . وهذا نهجٌ وجدانيٌ صرف .

الشعور العام الذي يرافق هذا الحقل في تلك القصائد واحدٌ في التسلسل ، واضحٌ لا لبس فيه ولا غموض . ولنتمثّل على ذلك ببعض المقاطع لنخلُصَ إلى حكم عام بشأن هذا الحقل الأخير . يقول الصنوبري في إحدى قصائده بعد مطلع غزلي :

لا تلمني بالرقّتين ودعني   إنّ قلبي بالرقتين رهينُ
يا نديمي ألا تحنّ إلى القصف   فهذا أوانُ يبدو الحنينُ

إلى أن يقول :

كم غدا نحو دير زكّى[1] من قلبٍ   صحيحٍ فَراحَ وهو حزينُ

ويُشيعُه بستّة أبيات في الغزل .

ومن قصيدة أخرى يفتتحها بالوصف حتى يقول :

أيا متنزّهي في دير زكّى   ألم تكُ نزهتي بك نزهتينِ

إلى أنْ يصل بقوله :

(١) ضبط المؤرخون كلمة : (زكّى) بالزاي المفتوحة مع الكاف المفتوحة المشددة ، ثم ألف مقصورة أو ألف ممدودة وكلاهما صحيح (الديارات الشابشتي ص ١٣٩ كوركيس عوّاد) . والبيت مضطرب الوزن (المجلة)

تَرانا واصليك كما عهدنا ... وِصالاً لا ننغّصه بِبَيْن
ألا يا صاحبيَّ خُذا عِناني ... هواي ، سَلِمتُما من صاحبين
لقد غصبتنيَ الخمسونَ فتكي ... وقامت بين لذّاتي وبيني
وكان اللهو عندي كابنِ أُمّي ... فصرنا بعد ذاك كعلّتين

وبين الحينِ والحين يطلع علينا بيتٌ كهذا :

حُثَّ الكؤوس فإنّ هذا وقتُها ... وَصِل الرياضَ فإنّ ذا إبّانُها

أو كهذا :

ذَهِّبْ كؤوسك يا غلامُ فإنّ ذا يومٌ مُفضَّضْ

أو كهذا :

فاشرب على ذا الشقيق كأساً ... تشرب عقيقاً على عقيقِ ...

الملاحَظ أنه لو حصرنا كلّ شعره الذي في هذا الموضوع فإنا نرى قصائده الوجدانية المتصلة بالرياض ، تبدأ بالحنين إلى الطبيعة ثم إلى وَصْلها من أجل اللهو والقصف . فالأمر إذاً أمرُ لذّاتٍ وشهوات ، وما الطبيعة عنده الا مُنتَجَعٌ للشربِ وحثّ الكؤوس . فهل نغلُو إذا قلنا إن نزعتــه نواسيّة الجذور . ولكنه يشدّد على الروض بدل التشديد على الخمر ومفعولها كما هي الحال عند زعيم هذه المدرسة ؟ هذا غلوٌّ ولا شكّ ، ولكن لا بدّ أن يكون تحته شيء من الصحّة والصواب .

* * *

(١) في الديارات ص ١٤٠ : لعلتين ، وربما كان الصحيح : فصرنا بعد ذاك علتين. (المجلة)

ونختتم هذا البحث بعد أن تدرَّج بنا إلى هذا الحد . وقد كان بالإمكان أن يطول ويتشعَّب . نختتمه بكلمـــة موجزة قصيرة حول أسلوب الصنوبري الشعريّ .

أوّل ما يلفت الانتباه سرعة العطاء الشعري ، وازدحام الصور الوصفيّة في مخيّلة الشاعر حتّى تطغى عليه ، فإذا به يذكر الأشياء ذكراً دون وصفها . والسرعة تورثه أحياناً التدفق في العطاء ، وهذا غير ما سبق ، لأنه يتأنّى على الصورة ويتفنّن في إخراجها والتعبير عنها فهو إن قال :

أقحوان وسوسنٌ وشقيق وبهارٌ مُجْتَنَى وآذريونُ

نلمس السرعة في العطاء الشعريّ حيث ازدحام الصور . وهو إن قال :

وكأنْ محمرّ الشقيق إذا تصوّبَ أو تصعّـدْ
أعلام ياقوتٍ نشرن على رماحٍ من زبرجَـدْ

نلمس تدفّق التعبير لصورةٍ واحدة .

وممّا يسترعي الانتباه أيضاً الجزالة وشدّة الأسر في شعره مما يُنتج فكرة سرعة العطاء لديه وتدفّق التعبير .

أمّا ألفاظه "فسليسة" على العموم ، وقلّما تقع له على اللفظة النافرة أو الحوشيّة المتخرّج . فكأنّما الكلمات لسلاستها « يأخذ بعضُها برقاب بعض » . انظر مثلاً هذا البيت :

وبدا النرجس البديـعُ كأمـــثال عيون ترنو إليها عيونُ

حتّى إن الوقفة القصيرة ما بين صدر البيت وعجزه قد اختفت في العديد من أبياته فيغدو البيتان أو الثلاثة أو الخمسة أحياناً لا يفصل بينها من ناحية تدافع الألفاظ إلاّ هذه القافية الرنّانة . وإذا أنت أمام مقطوعة تسلبُ

النفس وتأسر الأعصاب . وأما تناسق اللفظ والمعنى من جهة وتوافق اللفظ والمعنى والموسيقى الشعرية من ناحية أخرى فقد رأينا مثالاً رائعاً على ذلك في نداء الضفادع لقوبق .

وهنالك ظاهرة بارزة بجلاء وهي إغراقه في استعارة ألوان الجواهر والأحجار الكريمة ، وتشبيه ألوان الزهر والنبت بها . وهذا ضرب من التشبيه الخيالي . فلو أخذنا وصفه للنرجس حين يقول :

أقداح ياقوت تعاطيكمـا أنامل من لؤلؤ رطبِ

نرى أنه جمع ما بين الأقداح والياقوت والأنامل واللؤلؤ الرطب . والأربعة تدرك بالحس العادي منفصلة ، ولكن متى جمعت تعذر ذلك وأصبح يقع ضمن إطار الخيال . وأغلب خيالاته من هذا النوع ، قريبة المنال بعيدة عن الغموض والتكلف . وقلما يقع شاعرنا في الغلو .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما الصفة الثالثة على شعر الصنوبري من حيث منطقية الوصف فنحن لا نرى ذلك عنده كما نرى عند البحتري مثلاً من حيث أخذ الأخير المعنى العام الموصوف ثم الدنو شيئاً فشيئاً إلى الجزئيات الدقيقة ، ولم يكن الصنوبري ممن يأخذ المعنى ويشتط في تقليبه على وجوه ، كما كان يفعل أبو تمام ، وإنما نرى معاني الصنوبري وصوره تستقل الواحدة عن الأخرى وتتقدم أو تتأخر دون إخلال بالاطار العام . على أن همه الأول كان دائماً نقل الصورة مستطرفة إذا أراد التصوير الموضوعي ، وإذا أراد بث شعور التعاطف مع الطبيعة أغرق في الوصف الوجداني .

* * *

قبل أن ننتقل إلى القصائد المختارة في الذيل أودّ أن أسطّر بعض الحقائق عن حياة الصنوبري .

هو أبو بكر أحمد بن محمد الضبّي (وليس الصيني) الصنوبري . كان في بلاط سيف الدولة الحمداني بالموصل متسلّماً خزانة كتب الأمير . وقد مدح كبار عصره ووجهاء دولته بالعديد من المطوّلات ، ناهيك عن مدائح آل البيت الشريف . ثم لمّا استولى سيف الدولة على حلب انتقل الصنوبري معه ، ومات فيها سنة ٣٣٤ للهجرة .

يُقال ، والله أعلم ، إن المتنبي كان من بعض تلامذته أو الناشئة الذين طلبوا رأي الصنوبري بشعرهم واستقوا آراءه في ذلك . ويقال كذلك إن سيف الدولة كان يزوره في جنّة كبيرة ابتناها وحشد فيها صنوفاً من الطير والزهر والمياه مما يفوق الوصف .

على أنّ حياة هذا الشاعر مجهولة القيمة ، وهو كابن الرومي ، ينتظر من يبعثه من رقاد الأجيال وينفض عنه غبار السنين .

فواز أحمد طوقان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محكمة المياه في بلنسية

قال المقري* نقلا عن الجغرافي البكري وتشابه اسبانيا بلاد الشام بسحر مناخها وصفاء هوائها ، واليمن بمناخها المعتدل صيفاً وشتاء ، والهند بعطورها الزكية الرائحة ، وبلاد فارس بأهمية مكوسها وعدن بمنتوجات سواحلها » .

وعلى ذكر منتوجات سواحلها أقول بأن العرب في أقطارهم لايعرفون أسبانيا معرفة تامة ، فقد رحلت إلى هذا الفردوس المفقود وشاهدت بأم عيني أرض الأندلس وسواحلها ، وكورها ومزارعها ، ومدنها وقصباتها ، وأهلها في حواضرهم وأريافهم ، وعاشت سحنهم وأشكالهم وعاداتهم وأخلاقهم . وقد تبين لي : بعد أن زرت هذا القطر بأن اسبانيا في حاضرها مدينة للعرب بتراثها الحضاري وطابعها الأحيائي (البايولوجي) المتجسم في خلقة أبنائها ، وبوفرة إنتاجها الزراعي وجودته ، وكمثال على أثر الحضارة العربية على أسبانيا أذكر أعمال الري في منطقة بلنسية فإنها شاهد صـــدق على ما أقول .

لقد حول العرب بلنسية إلى بستان حقيقي رغم أن تربتها ليست فائقة الجودة ، كما أن ميزات مناخها ليست أفضل الميزات الزراعية إذ أن نسبة هطول الأمطار منخفضة جداً (٤٨٠ مليمتراً في السنة) . ولكن عرف العرب طرق الاستفادة من مياه نهرها الغزير (نهر توريا) منذ الف سنة أو أكثر فانشأوا السواقي المديدة تروي الأراضي القاحلة بمياه النهر فأحالتها إلى جنات تجري من تحتها الأنهار .

إن السواقي التي أوجدها العرب مازالت باقية حتى أيامنا هذه ، وهي تشكل عملاً هندسياً رائعاً بشهادة أبرز الشخصيات الفنية الحديثة ، فلا عجب ان أصبحت منطقة بلنسية اليوم عبارة عن بستان كبير كثير الخصب وافر المتوجات ، تلك المتوجات الزراعية التي حازت اليوم تقدير المستهلك وإعجابه داخل اسبانيا وخارجها .

إن هذه الجنة التي يرجع عهدها الى أكثر من ألف سنة ، تجري فيها سبع سواق تشير أسماؤها إلى مصدرها العربي وهي : ساقية قوارت ، وابن عشار ، ومسلطة ، وفبارة على الضفة اليمنى وساقية الترمس ، ومستليسا وراسكانيا على الضفة اليسرى للنهر ، ويتفرع منهـا قنوات وافرة تنقسم بدورها إلى فروع عديدة تشمل مساحة واسعة من أراضي الري .

هذا وقد أشاد الدكتور (روزيه) رئيس جامعـة لوزان في سويسرا بهندسة الري العربية في بلنسية إذ قال (لقد طوفت بلاد الأندلس ورأيت آثارها الباقية من عهد العرب فأعجبت بها كل الإعجاب ومما شهدته السدود القائمة الى اليوم في ولاية بلنسية فان أهل هذه الولاية من الأسبان اليوم يعيشون بفضل هندسة مهندسي العرب لهذه السدود ، ولم يتيسر لمدنيـة القرن العشرين ان تقيم أرقى مما أنشأ أبناء جنسكم (ويعني العرب) في القرون الوسطى ، ولحسن الحظ لم يقو التعصب الديني الذي دك كثيراً من المعـالم في أرض الأندلس ، على نسف هذه السكور على وادي الأحمر وغيرها وإلا لهلكت ولا من يبكيها فقبح من قضوا عليها (راجع مجلة المجمع العلمي العربي ، الجزء السابع من المجلد الثاني تموز سنة ١٩٢٢) .

مها يكن من أمر فان العرب لم يقتصروا على القيام ببناء القنوات على هذه الطريقة العجيبة بل نظموا أيضاً توزيعها بين المزارعين بشكل قانوني ليستفيدوا جميعهم منها فأنشأوا هيئة تحكيمية تسمى « محكمة المياه » ، قام بخلقها

الخليفة الأموي الحكم الثاني خليفة قرطبة ، وكان قاضيه في بلنسية آنذاك عبد الرحمن بن حبال ، وقد تأسست هذه المحكمة في أواخر عام (٩٦٠م) وما زالت تقوم بدورها في الوقت الحاضر . وعنـــدما فتح الملك خيمي الأول بلنسية احترم هذه الهيئة الشرعية وحافظ عليها كما احترمهـــا جميع الحكام الذين استلموا زمام الأمور في اسبانيا حتى يومنا هذا . واعترف التشريع الاسباني بشرعية وقوانين المحكمة المذكورة اعترافاً صريحاً .

لقد كان عام (١٩٦٠م) عام الذكرى الألفية لتأسيس « محكمة الميـــاه » ، وحضر الاحتفالات بهذه الذكرى وزير العـــدل الاسباني وبصحبته وزراء الزراعة والأشغال العامة ، وقد أشاد الخطباء في تلك الاحتفالات الباهرة بالحضارة العربية وبمآثر العرب الرائدة في الأندلس ، ومما يلاحظ بأن تكفير الاسبان عن خطاياهم التي ارتكبوها ضد العرب قد جاء متأخراً جداً .

أما محكمة المياه هذه الطريفة التليدة فتقام في العراء كل خميس في مدينة بلنسية منذ تأسيسها من قبل العرب حتى اليوم ، وانتخب يوم الخميس من بين أيام الأسبوع لتجري فيه محاكمات المياه ، لأنه اليوم السابق للعطلة الإسلامية (الجمعة) ويتم اجتماع المحكمة عند مدخل كاتدرائية بلنسية التي كانت المسجد الجامع للمسلمين زمن العرب .

تتألف المحكمة من سبع قضاة ينتخبهم الشعب من بين المزارعين المنتجين ، قاض عن كل ساقية . واختصاص هذه المحكمـــة هو الفصل في الدعاوى الناتجة عن توزيع المياه . ويقوم عادة الحارس الأكبر لكل ساقية بتقديم الدعوى بناء على طلب المدعي الذي يعتبر نفسه مغبوناً ، فيقـدم الاستدعاء ويحضر المدعي والمدعى عليه أمام المحكمة ، ويدافع المدعى عليه عن نفسه ، ويجوز إحضار الشهود والكشف عن الحوادث في المكان عينه ، ولكن يكتفي غالباً بسرد الواقع لتعرف المحكمة تفاصيل القضية ، وبعد تداول يجري بصوت منخفض بين أعضاء المحكمة يعلن الرئيس الحكم وهو غير قابل للاستئناف .

لمحكمة المياه ميزات نادرة ، تجري المحاكمة في العراء كما قلنا ، ويتكلم الجميع اللغة البلنسية ، وعلى القضاة أن يرتدوا اللباس الرسمي — وهو عبارة عن قميص أسود — (وهذا الزي تقليد عربي) وذلك قبل الجلوس على مقاعدهم ، وتفرض العقوبة المالية بالنقد المتداول ، ولكنه يجب الإشارة الى قيمتها بالليرات القديمة . ويتقاضى الرئيس عادة نصف ليرة من الحلوى عن كل جلسة ، وهذه الحلوى تصنع في معمل خاص مشهور ببلنسية يكلف بإعدادها .

ومما تجدر الإشارة إليه أن القوانين التي تطبقها المحكمة مقتبسة بأكثرها عن قوانين الري التي كانت سارية بعلك في القرن الثامن الميلادي ، وبعضها مقتبس من مجموعة قوانين (حمورابي) التي ترجع إلى ما قبل أربعة آلاف سنة ، وهذا يعني أن أقدم الشرائع في العالم تطبق في القرن العشرين كل يوم خميس عند مدخل كاتدرائية — مسجد — بلنسية .

إن قوانين بعلك وشرائع حمورابي دخلت إلى أسبانيا عن طريق الجيش العربي الذي جاء لنصرة طارق بن زياد ، وشارك في فتح بلنسية التي استوطن فيها .

ARCHIVE
http://ArchiveBeta.Sakhrit.com

في خلال الحرب العالمية الثانية كان أحد سفراء الدول العظمى بمدريد ذا ثقافة عالية وميل شديد إلى الدرس والتنقيب في البحوث التاريخية ، حضر محكمة المياه ودرس تاريخ نشأتها وبعد أن اطلع على تاريخها الطويل المستفيض قال : يظهر أن هذه المحكمة خالدة إلى الأبد ، ويظهر أن العرب لم يتركوا الأندلس نهائياً بعد .

اقول أجل ان هذه المحكمة خالدة خلود التراث العربي في الأندلس وباقية بقاء السمرة العربية الظاهرة على ملامح الأسبان في الفردوس المفقود .

الدكتور فيصل دبدوب

مجتمع الهمذاني

من خلال مقاماته

بحث يحلل المقامات ويستشف من

ورائها صورة المجتمع الذي أنشئت فيه

— ٤ — (١)

٣ — في الدُّور والأسواق

(الدور — المساجد — البيمارستانات — الحمامات — المطاعم — الحوانيت — الخانات — الأسواق ..)

الدور في التاريخ : لسنا في حاجة إلى ذكر ما كان القوم عليه من عناية بالعمران وتفنن في هندسة الأبنية وزخرفتها ، فهذا أمر معروف عن حضارة القرن الرابع ، والحق أن كتب الحضارة وصفت لنا كثيراً من الأبنية والقصور ، وإن كانت قد اقتصرت على قصور الخلفاء والمساجد حيث كثر الإنفاق أو ظهرت آثار الفن وروعته ، وأما دور الشعب ومساكن الطبقة العامة فقد لا نعرف عنها الكثير من خلال تلك الكتب . ولعل أكثر ما نعرفه عنها مقتبس من بعض الكتب الأدبية التي تعرّضت في مناسبات مختلفة ، لوصفها ككتاب « الأغاني » و « المقامات » .

الدور في المقامات : لسنا نكتم أن الهمذاني لم يوفّ الدور حقها من الوصف ، وأن حديثه عنها كان موجزاً وسريعاً ؛ إنه يذكر ما كلّفت من

(١) نشر أول البحث في الصفحات ١٢٤ و ٦٠٥ و ٨٢٦ من المجلد (٤٣) .

أموال ، وقد كانوا يتفاخرون بكثرة الإنفاق ، ويذكر أحياناً ما يتصل بدقة الصنعة وجمال الشكل .. وهو إذا فصّل ففي وصف باب أو حلقة ، وليس في وصف البيت وتخطيطه ، ومن الحق أن نشير إلى أن حديث الهمذاني عن الدور ووصفها لايقارب ما نقله « آدم متز » مثلاً في الموضوع نفسه (١) قال الهمذاني على لسان أبي الفتح : « وانتهينا إلى باب داره ، فقال : هـذه داري ، كم تقدر يا مولاي أنفقت على هـذه الطـاقة ؟ أنفقت عليها والله فوق الطاقة ، ووراء الفاقة . كيف ترى صنعتها وشكلها ؟ أرأيت بالله مثلها ؟ انظر إلى دقائق الصنعة فيها وتأمل حسن تعريجها فكأنما خطّ بالبركار ، وانظر الى حذق النجار في صنعة هذا الباب ، اتخذه من كم ؟ قل : ومن أين أعلم ؟ هو ساج من قطعة واحدة لامأروض ولا عفن » (٢) .

وواضح من هذا أنهم يصنعون أبواب بيوتهم من الخشب ويتخذون على الباب حلقة تدور بلولب يُطرق بها الباب ، وبالجملة كان الخشب يستعمل كثيراً وكان أحب أصنافه عند الناس خشب الساج الهندي (٣) .

ويتابع الهمذاني حديثه عن الدار فيقول « وهذه الحلقة تراهـا ؟ ... فيها من الشَّبَه ستة أرطال ، وهي تدور بلولب في البـاب ... ثم قرع الباب ودخلت الدهليز فقال : عمـرك الله يا دار ، ولا خربك يا جدار ، فما أمتن حيطانك ، وأوثق بنيانك ، وأقوى أساسك ، تأمل بالله معارجها ، وتبيّن دواخلها وخوارجها .. (٤) » وقال : « فقمت ، فقـال : أين تريد ؟ فقلت : حاجة أقضيها . فقال : يامولاي تريد كنيفاً يُزري بربيعي الأمير

(١) الحضارة الإسلامية ٢ : ١٥١ وما بعدها .
(٢) المقامة المضيرية : ١١٣ .
(٣) الحضارة الإسلامية ٢ : ١٦٠ .
(٤) المقامة المضيرية : ١١٤ .

وخريق الوزير ؛ قد جصّص أعلاه وصُهرج أسفله ، وسطح سقفــه ، وفرشت بالمرمر أرضه ، يزلّ عن حائطه الذرّ فلا يعلق ، ويمشي على أرضه الذباب فيزلق ، عليه باب غير أنه من خليطي ساج وعاج ، مزدوجين أحسن ازدواج » (١) .

وقد كانت الدور موضعاً للاجتماع والسمر ؛ ففيها يجتمعون للسمر والطرب ، قال « وجعلت للدار حاشيتي النهار (٢) » وقال « بت ذات ليلة في كتيبة فضل من رفقائي فنذاكرنا الفصاحة ، وما ودعنا الحديث حتى طرق علينا الباب (٣) . . »

المساجد في التاريخ : غير خاف أن المساجد من الموضوعات التي عنيت بها كتب الحضارة الإسلامية ؛ فوصفت بناءها وفنّها وزخرفتها ، وذكرت عدد العاملين في بنائها ومدى ما أنفق عليها . . . وزاد بعض المؤرخين فتناول أحوال القوم فيها ؛ قال المقريزي . . « إنهم كانوا يجتمعون في المساجد ، وقد يولون فيها وينامون . . . وروى لنا قصة حدث بها الأمير عليّ تاج الملك جوهر المعروف بالشمس الجيوشي ذكر أنهم اجتمعوا ليلة في مسجد فعملوا أسماطاً وأكلوا ثم تحدثوا وناموا . . وكانت ليلة باردة فناموا عند المنبر . » (٤) وكذلك نقل آدم متز كثيراً من أخبار المساجد واجتماع القوم فيها ليلاً ونهاراً (٥) .

المساجد في المقامات : لا يقف الهمذاني بنا خارج المسجد ليصفه لنا وإنما يأخذ بأيدينا الى داخله ليطلعنا على ما يحدث فيه ويسمعنا الأحاديث

(١) المقامة المضيرية : ١٢٢ .
(٢) المقامة القريضية : ٩ .
(٣) المقامة الناجية : ١٩٩ .
(٤) الخطط والآثار ٢ : ٣١٩ .
(٥) الحضارة الإسلامية ٢ : ٨٥ وما بعدها .

التي تدور في حلقات القوم ؛ فقد كانوا يجتمعون في أفنية المساجد وتدور بينهم الأحاديث المختلفة ويمرّ بهم المكدّون ...

لقد حدثنا الهمذاني عن إقبال القوم على الصلاة في المساجد وإجابتهم داعيها ، وعن عادة بعض الأئمة في إطالة الصلاة ، وعما يحدث بعد انقضائها من مفاجآت المكدّين ، وقد حدث مرة أن « نودي للصلاة نداء سمعته وتعيّن فرض الإجابة ، فانسلت من بين الصحابة أغتنم الجماعة أدركها ،[1] وكانت صلاتهم طويلة « تقدّم الإمام إلى المحراب فقرأ فاتحة الكتاب ، بقراءة حمزة مدّة وهمزة ... وأتبع الفاتحة الواقعة ،[2] وانتهت الركعة الأولى « .. وقام الإمام إلى الركعة الثانية فقرأ الفاتحة والقارعة ، قراءة استوفى بها عمر الساعة ، واستنزف أرواح الجماعة ، فلما فرغ من ركعتيه ، وأقبل على التشهد بلحييه ، ومال إلى التحية بأخدعيه ، وقلت : قد سهّل الله المخرج وقرّب الفرج ، قام رجل وقال : من كان منكم يحبّ الصحابة والجماعة ، فليعرني سمعه ساعة . قال عيسى بن هشام : فلزمت أرضي صيانة لعرضي . فقال : حقيق عليّ ألاّ أقول غير الحق ولا أشهد إلا بالصدق ... »[3] ويتابع حديثه حتى يصل إلى مطلوبه فيذكر حاجته إلى المال ..!

وكذلك يذكر الهمذاني تلبية الدعوة إلى الصلاة في المقامة الحمْرية حين « ثوّب منادي الصبح ... فبادرنا إلى الدعوة وقمنا وراء الإمام قيـــام البررة الكرام .[4]

(١ و ٢) المقامة الأصفهانية ٥٦ و ٥٧ .

(٣) المقامة الأصفهانية : ٥٨ .

(٤) المقامة الحمْرية : ٢٤٥ .

وأما دخول المكدّين إلى المساجد فقد مرّ ذكره في المقامة النجارية حيث يقول « حدثنا عيسى بن هشام قال أحلّتني جامع بخاري معهم وقد انتظمت مع رفقة في سلك الثريا وحين احتفل الجامع بأهله طلع إلينا ذو طمرين قد أرسل صوانا واستتلى طفلاً عُريانا . . . » (١)

ويشير الهمذاني إلى أنهم كثيراً ما كانوا يعرّجون على المساجد تخفيفاً لمشقة أو فراراً من حرّ فيقول في المقامة الرصافية : « خرجت من الرصافة أريد دار الخلافة ، وحمّارة القيظ تغلي بصدر الغيظ ، فلما نصفت الطريق اشتدّ الحرّ وأعوزني الصبر ، فملت إلى مسجد قد أخذ من كل حسن بحظّه . » (٢)

البيمارستانات : إن اتخاذ الناس للبيمارستانات أمر قديم ، وقد ذكروا أن هذه الأماكن كانت منتشرة في القرن الرابع (٣) ، بل هي معروفة قبل ذلك التاريخ إذ قيل إن أول من بنى المارستان هو أحمد بن طولون بناه في مصر سنة ٢٥٩ هـ . وكانت أمور المارستانات بيد ذوي المناصب الرفيعة ، حكى ابن الأثير أنه توفي سنة ٣٩٦ عبد الرحيم المرزباني الأصبهاني قاضي خراسان وقال « وإليه كان أمر البيمارستانات » (٤)

وأما الهمذاني فيأخذ بأيدينا إلى مارستان البصرة ويسمعنا كلام بعض المجانين من نزلائه ، وقد سمعناه في بحث الردّ على المتزلة (٥) ، وذلك حين

(١) المقامة النجارية : ٨٧ .
(٢) المقامة الرصافية : ١٦٥ .
(٣) الحضارة الإسلامية ٢ : ١٤٧ وما بعدها .
(٤) الكامل ٩ : ٦٦ .
(٥) انظر ما سبق في ص : ٨٤٦ من المجلد ٤٣ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

دخل المارستان مع أبي داود المتكلم(١) ، ورأينا أن الخطرين منهم كانوا يقيّدون خوف أذاهم إذ أن أحدهم ما هو « إلا شيطان في أشطان »(٢)

الحمامات : كانت الحمامات معروفة منذ القديم ، ولكن عناية الناس بها زادت بعد الإسلام ، وذكر الطبري أنه لم يكن للفرس عهد بالحمامات قبل الإسلام . أما عند المسلمين فقــد شاعت وانتشرت وتنافست البلاد في كثرتها ، على أن ذوي الورع لم يمدحوها ، ونقل عن عليّ أنــه قال : « بئس البيت الحمّام ، تكشف فيه العورات وترفع فيه الأصوات ، ولا تقرأ فيه آية من كتاب الله » . وقد بلغ عدد الحمامات في النصف الأول من القرن الرابع في جانبي بغداد عشرة آلاف حمام »(٣) ولم يغفل الهمذاني ذكر الحمامات في مقاماته وإنما تحدث عنها وذكر عناية القائمين عليها بزائريها من المستحمّين . لقد طلب ابن هشام أن يرشدوه إلى حمـــام « واسع الرقعة نظيف البقعة ، طيب الهواء معتدل الماء »(٤) وأشار إلى ما كان الناس يتوخونه في الحمام ، ثم دخل ابن هشام الحمام وقال « وأتبناه فلم نر قوامه ، لكني دخلته ودخل على أثري رجل وعمد إلى قطعة طين فلطخ بها جبيني ووضعها على رأسي . . »(٥) ثم يتابع حديثه عما جرى له وكيف تشاجر عليه اثنان من المستخدمين كلّ يدّعي أنه له « وما لبث أن دخل الأول فحيّا أخدع الثاني بمضمومة قفقت أنيابه ، وقال : بالكم مالك ولهــذا

---

(١) المقامة المارستانية : ١٢٧ .
(٢) المقامة المارستانية : ١٣٢ .
(٣) الحضارة الإسلامية ٢ : ١٦٢ .
(٤) المقامة الحلوانية : ١٨٠ .
(٥) المقامة الحلوانية : ١٨١ .

الراس وهو لي ، وعطف الثاني على الأول بمجموعة هتكت حجابه ، وقال : بل هذا الراس حقتي ، وملكي في يدي ، ثم تلاكما حتى عييا . . »[1]

وكان الهمذاني قد أدخلنا حماماً وأطلعنا على ما يحدث فيه ، وكيف نستقبل لو ذهبنا إليه ، وأشار إلى أخلاق أصحاب هذه الحرفة . . . ولسنا ندري سبب الخصام بين المستخدمين في الحمام ولكن لعله أراد أن يشير إلى أن كلاً من المستخدمين كان يشتغل لحسابه الخاص ، أو أن صاحب الحمام كان يحاسبهم على « الراس » !

المطاعم والحوانيت والمآكل : تحدث كتاب « الوزراء » عن بعض ولائم القوم وعاداتهم فيها ، ووصف لنا مثلاً وليمة دعا إليها الوزير ابن الفرات جماعة من أصحابه ، وجاء في الحديث ذكر لبعض أنواع الطعام والعادات ، إلا أنه وغيره من أخبار التاريخ غير كاف لعرض صورة عن أسواق القوم ومطاعمهم الشعبية وما فيها من المآكل ؛ ثم نحن نجد فيها أخبار ولائم العظماء ونسمع أسماء أطعمة عربية وغير عربية ولكننا لا نستطيع تصوّر تلك الأطعمة لأنها سردت لنا أسماؤها دون أن توصف لنا .

وأما بديع الزمان فقد استطاع بوصفه للجزئيات أن يضع أمامنا صورة للسوق وما فيها من حوانيت ومناظر ، والمطاعم وما فيها من مآكل . . . ولنترك للهمذاني أن يأخذنا إلى تلك الأماكن كما أخذنا إلى الحمام ، وأن يمرّ بنا عبر الطرقات ويقدّم لنا بعض المآكل :

يصل الغريب الى البلدة فيشعر — كما شعر السوادي في بغداد — بالجوع يستولي عليه ، فيتقدّمه الهمذاني أو ابن هشام إلى مطعم شعبي

(١) المقامة الحلوانية : ١٨١ .

(٢) الوزراء : ٢٤٠ .

انتشرت منه روائح الشواء ... وفي هذا المطعم نجد اللحم والخبز والحلوى وكأننا في مطعم من مطاعم احيائنا الشعبية في حي السيدة زينب بالقاهرة أو باب الجابية أو الدرويشية بدمشق.

ويصف الهمذاني لنا مافي هذا المطعم الشعبي من أطعمة فيفصّل ويجيد إجادة تجعلنا أمام ذلك الطعام أو تجعله أمامنا، بل يقدّمه لنا حتى نكاد نذوقه ونعرف أنه يذوب كالصمغ قبل المضغ.. يقول الهمذاني «ثم أتبعنا شوّاء يتقاطر شواؤه عرقاً وتتسايل جوذاباته مرقاً. فقلت: افرز لأبي زيد من هذا الشواء ثم زن له من تلك الحلواء. واختر له من تلك الأطباق وانضد عليها أوراق الرقاق ورشّ عليها شيئاً من ماء السمّاق...، فانحى الشوّاء بساطوره على زبدة تنوّره فجعلها كالكحل سحقاً وكالطحن دقاً ... وقلت لصاحب الحلوى: زن من اللوزينج رطلين، فهو أجرى في الحلوق وأمضى في العروق [1]»، وإن كنا لاندري ماللوزينج فالهمـــذاني لايتركنا كما يتركنا كتاب التاريخ أمام اسم مبهم الدلالة ولكنه يصفه ويوضحه فيقول «وليكن ليليّ العمر يومي النشر، رقيق القشر، كثيف الحشو، لؤلؤي الدهن، كوكبي اللون، يذوب كالصمغ قبل المضغ ... [2]».

ويذكر الهمذاني الماء المثلّج فيقول: ... «ماأحوجنا إلى ماء يشعشع بالثلج ليقمع هذه الصارّة ويفثأ هذه اللقم الحارّة ... [3]»، والماء المشعشع بالثلج ألذّ ما يتناوله الناس في الصيف، ويحكى أنه يوم تولى ابن الفرات الوزارة، وكان يوماً شديد الحر، سقي في داره أربعون ألف رطل من الثلج في يوم وليلة [4].

---

(١) المقامة البغدادية: ٦٥

(٢ و ٣) المقامة البغدادية: ٦٦.

(٤) الحضارة الإسلامية ٢: ١٨٤.

ويذكر الهمذاني في مقامات أخرى كثيراً من أنواع الأطعمة ؛ ففي المقامة الساسانية مثلاً يقول زعيم المكدين :

أريد منك رغيفا   يعلو خوانا نظيفا
أريد ملحاً جريشا   أريد بقلاً قطيفا
أريد لحماً غريضا   أريد خلاً ثقيفا
أريد جدياً رضيعا   أريد سخلاً خروفا
أريد ماءً بثلج   يغشى إناءً طريفا
أريد دنّ مدامٍ   أقوم عنه نزيفا [1]

وفي المقامة المضيرية يحدثنا عن المضيرة ويعدد المواد التي طبخت بها [2] ويذكر أن الخبز عندهم كانت أرغفته رقيقة واسعة ينضجونها في التنور فهي « أوراق الرقاق » [3] أو هي « صلائق كأنها القباطي المنشر أو القوهي المصَّر » [4] تطلع من « تنور مسجور » [5] ويذكر من مآكلهم البقل والسمك والباذنجان والتفاح والأنقال ... يقول في المقامة المجاعية « فما قولك في رغيف وبقل قطيف الى خل ثقيف وخردل حرّيف وشواء صفيف ، وأوساط محشوّة وأكواب مملوءة وأنقال معددة ... ولحم طريّ وسمك نهري وباذنجان مقليّ وراح قطربلي وتفاح جنيّ ... » [6] كما يذكر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) المقامة الساسانية : ٩٧ .
(٢) المقامة المضيرية : ١٢٢ .
(٣) المقامة البغدادية : ٦٥ .
(٤) المقامة النهدية : ١٨٩ .
(٥) المقامة البغدادية :   والأرمنية : ١٩٦ .
(٦) المقامة المجاعية : ١٣٣ .

التمر مع الزبدة التي هي « نهيدة ، فرق كهامة الأصلع ، »(١) وربما شربوا معها الحليب في « أقعب قد احتلبن من الجلاد الهرمية ....»(٢) . ومنها نوع يصنع من الدقيق الذي يعجن بالحليب ويشوى ويصنع على أشكال مختلفة كالكعك ، ثم يصبّ عليه العسل ويشرب معه الحليب ، وهو يبيّن لنا طريقة صنعه ويصفها خطوة خطوة (٣) ، ومن ذبائحهم العتاق النجدية تقدّم مع الخبز وبعض مايقوّي الشهيّة كالخردل والأصباغ (٤) .

ومن طعام فقرائهم الخبز اليابس والتمر الردي، وهو ماقدّم لابن هشام إذ يقول « فأتتنا ابنته بطبق عليه جِلفة وحُثالة ولوبّة . (٥)

وأما الأغنياء وأهل اليسار فقد ذكر ابن هشام بعض ماناله عندهم من لذيذ المأكل والمشرب فقال « فلم نزل في صبوح وغبوق نتغذّى بالجدايا الرضّع ، والطباهجات الفارسية ، والدقيقات الابراهيمية ، والقلايا المحرّقة ، والكباب الرشيدي ، والحُملان ، وشرابنا نبيذ العسل ... ونقلنا اللوز المقشّر ، والسكر والطبرزد ... »(٦) « وكانت لنا طبّاخة حاذقة فاتخذت عشرين لوناً من قلايا محرّقات .. »(٧) .

وهكذا دخلنا مطاعم القوم وشهدنا بعض ولائمهم وعرفنا بعض مآكلهم ، وما زال الهمذاني يتقدّمنا في الأسواق حتى وقف بنا أمام بائع للفواكه حسن الذوق جيد الترتيب فهو قد « أخذ أصناف الفواكه وصفّها ، وجمع

(١ ـ ٤) المقامة النهدية ١٨٥ وما بعدها .
(٥) المقامة الزهدية : ١٨٩ . والجلفة : قطعة الخبز اليابسة . واللوبّة : ما نجأ .
(٦) المقامة الصيمرية : ٢١٦ .
(٧) « « : ٢٢١

أنواع الرطب وصفَّفها ... (١) ثم وقف أمام بائع الألبان الذي صفَّف الأواني النظيفة وفيها أنواع الألبان ... (٢) .

وأما صاحب الخبز فهو يُعنى بنظافة رغفانه ويرمي ما شك في نظافته حتى استعمل ذلك ابو الفتح على نحو ماجاء في المقامة الأرمنية حين قال « وسرنا في طلب أبي جابر فوجدناه يطلع من ذات بطن تُسجر بالغضا ، فعمد الاسكندري إلى رجل فاستماحه كفَّ ملح وقال للخباز : أعرني رأس التنور فإني مقرور ، ولما فرّع سنامه وجعل يحدث القوم بحاله ويخبرهم باختلاله وينثر الملح في التنور من تحت أذياله يوهمهم أن أذّى بثيابه . فقال الخباز : ما لك لا أبا لك ؟ اجمع أذيالك فقد أفسدت الخبز علينا . وقام إلى الرغفان فرماها وجمل الاسكندري يلقطها ويتأبطها .. » (٣) .

الخانات : وما نزال نسير مع الهمذاني حتى يقبل الليل وتبدأ الحانات بفتح أبوابها واستقبال زبائنهـا ، ولكل حانة باب وكلاب ومستخدمون يتكفّلون بدواب الزبائن ، وصبايا حسان ، ومطربون ... ففي المقامة الخمرية أنه « لما حسرج النهار أو كاد نظرنا فإذا برايات الحانات أمثال النجوم في الليل البهيم ، فتهادينا بها السرّاء وتناشرنا بليلة غراء ووصلنا إلى أفخمها بابا وأضخمها كلابا .... فدُفعنا إلى ذات شكل ودلّ ووشاح منحلّ ، إذا قتلت الحاظها أحيت ألفاظها ، فأحسنت تلقينا ... وأسرع من معها من العلوج إلى حطّ الرحال والسروج .... قلنا « هذه الضالة وأبيك

(١) المقامة الأزاذية : ١٤ .
(٢) المقامة الأرمنية : ١٩٧ .
(٣) « « : ١٩٦ .

ثمن الطرب في ناديك ؟ قال : إن لي شيخاً ظريف الطبع طريف المجون . . . »(١)

في الطرقات : ولا يكتفي الهمذاني بأن يربنا ما على جوانب الطريق من مطاعم وحوانيت وحمامات وحانات وحلاقين . . . وإنما يربنا أيضاً ما يعترض سبيل المارّة في عرض الطريق ، ثمن قوم تحلقوا حول قرّاد ، إلى صبية يستهزئون بالمارّة . . . ففي المقامة القردية يقول « بينا أنا في مدينة السلام أميس ميس الرجلة على شاطيء الدجلة . . . إذ انتهيت إلى حلقة رجال مزدحمين ، يلوي الطرب أعناقهم ، ويشق الضحك أشـداقهم ، فساقني الحرص إلى ما ساقهم حتى وقفت بمسمع صوت رجل دون رؤية وجهه لشدة الهجمة وفرط الزحمة فإذا هو قرّاد يُرقص قرده . »(٢) وفي المقامة المضيرية أن أبا الفتح حين فرّ من وليمة صاحبه وجعل يعدو أخذ صاحبه يعدو خلفه ويصيح « يا أبا الفتح المضيرة . . . فظن الصبيان أن المضيرة لقب لي فصاحوا صياحه »(٣) وأخيراً ينبغي لنا أن نذكر أن هناك جزئيات تافهة ومع ذلك لم يغفل الهمذاني عن ذكرها ، وتلك ميزة أدبية تساعد على التوضيح ، ولا يقوى عليها من الأدباء إلا من كان شديد الملاحظة حادّ الذكاء لا تفوته ملاحظة الأشياء الصغيرة كما لا يفوته الحديث عنها ؛ فالهمذاني مثلاً يذكر أن بعض الناس كان يحمل ما يشتريه من السوق في منديل واسع كما يفعل بعض الناس اليوم ، وأن بعضهم كان يضع ما يشتريه

(١) المقامة الخمرية : ٢٤٧ .
(٢) المقامة القردية : ١٠١ .
(٣) المقامة : ١٢٣ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

في طرف إزاره كما في المقامة الأزاذية حين قبض من كل شيء أحسنه وقرض من كل نوع أجوده، فجمع حواشي الإزار على تلك الأوزار ... »[١]

أدواتهم : مازالت الحضارة تقدم للإنسان اليوم الكثير من الأدوات والوسائل التي تملأ حياته راحة ورفاها، وتيسّر عليه العمل الشاق وتوفّر له الكثير من وقته ... وألف الإنسان ما يستعمل حتى نسي ما كان يتخذه سلفه الأول من أداة ومتاع ؛ لقد ألف الكهرباء حتى نسي شكل السراج، وألف السيارة حتى نسي شكل جدّه وهو على دابّته ... ولقد ذكّرنا بديع الزمان بالكثير من أدوات القوم وأثاثهم ؛ أما الأغنياء فإن عندهم « حدائق وأعنابا، وكواعب أترابا، وخيلاً مسوّمة، وقناطير مقنطرة، وعُدّة وعديدا ومراكب وعبيدا .. »[٢] وذكر أحدهم ما كان معه فقال « ومعي جراب دنانير ومن الخرق والآلة وغير ذلك ما لا أحتاج معه إلى أحد » وعند بعضهم « طنان ، كل صن بأربعة آذان . »[٣] وقصاع كبيرة يذل عنها الطرف ...[٤] ومن أدواتهم الخوان والإبريق والطست والمناديل المطرّزة، وقد ذكرت في المقامة المضيرية، وكانوا يستنيرون بضوء السراج وهو « حوت مصرور في بعض البحور مختطف الخصور يلدغ كالذنبور ويتمّ بالنور، أبوه حجر وأمه ذكر، ورأسه ذهب واسمه لهب وباقيه ذنب، له في الملبوس عمل السوس، وهو في البيت آلة الزيت

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

---

(١) المقامة الأزاذية : ١٤ .

(٢) المقامة القزوينية : ٩٤ .

(٣) المقامة الصيمرية : ٢١٥ ـ ٢٢٢ والصن وعاء كبير يشبه السلّة .

(٤) المقامة المضيرية : ١٠٩ .

شرّيب لا ينقع ، أكول لا يشبع ، بذول لا يمتنع . ينمي إلى الصمود ، ولا ينقص ماله من جود ، يسوءك ما يسرّه وينفعك ما يضرّه . . . » (١)

أما المطبخ فلك أن تتخيّل ما لم يذكره من أدواته حين تدخله مع أبي الفتح لترى المرأة فيه وهي تدور من التنور إلى القدور ، تنفث بفيها النار وتدق بيديها الأبزار . . . » (٢)

ومما كان معروفاً عندهم المغزل ، وقد عرفناه في بعض دورنا القديمة ، والأمشاط ، وقد ألغز فيها الهمذاني في المقامة المغزلية وأورد لكل من المغزل والمشط كثيراً من الأوصاف (٣)

وكذلك ذكر في المقامة الساسانية بعض أدواتهم في مثل قوله :

أريد مشطاً وموسى ومِطهرةً وسطلاً وليفــا (٤)

الشطرنج : وهو من وسائل التسلية عندهم ، وقد كان معروفاً من قبل ، وعدّ الصولي والخليفة المأمون من المهرة فيه (٥) . أما الهمذاني فقد ذكره حين أراد أن يصف يد أبي الفتح وجولانها بين الصحون فقال

---

(١) المقامة الابليسية : ١٩٣ .
(٢) المقامة المضيرية : ١١١ .
(٣) المقامة المغزلية ١٧٤ .
(٤) المقامة الساسانية : ٩٨ .
(٥) الحضارة الإسلامية ٢ : ١٨٧ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إنها « تسافر على الخوان وتسفر بين الألوان وتأخذ وجوه الرغفان وتفقأ عيون الجفان ، فهي « تجول في القصعة كالرخّ في الرقعة » (١) والرخّ من قطع الشطرنج ذو جولة وصولة وقوة ومنعة حتى سمّاه بعضهم بالقلعـــة .
وورد اسم الشطرنج أيضاً في وصية الاسكندري لابنه حين كان يلقنه أصول التجارة فقال له « كن مع الناس كلاعب الشطرنج ؛ خذ كل ما معهم واحفظ كل ما معك (٢) » .

(يتبع) الدكتور مازن المبارك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) المقامة الجاحظية : ٧٩ .
(٢) المقامة الوصيّة : ٢١٤ .

نافذة تطل على تاريخ اليزيدية

منذ أمد طويل وأنا أتتبع ما يكتب ويقال عن اليزيدية ، ولم تكن نفسي تطمئن إلى شيء من ذلك .

ومنذ أمد اطلعت على نص نفيس يكشف القناع عن هذه الفرقة ويوضح تاريخها الذي اختلفت فيه الآراء ، وكنت أحاول نشره في مجلة المجمع العلمي العربي حينما اطلعت على ما كتبه الأستاذ محمود الملاح في المجلد الثامن والثلاثين ص (٣٣٤) وكانت الموانع تحول دون ذلك ، والآن وقد كتب لي بعض الفراغ من الوقت فاني اكتب هذه اللمحة لتضاف إلى ما كتب عن هذه الطائفة الغامضة مقدماً عليها كلمة تمهيدية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سياسة بني أمية ومعاوية وابنه يزيد :

كانت سياسة بني أمية تقوم على تقديس رجالاتهم والطعن في خصومهم خصوصاً الطالبيين ، وهذا بديهي لا يحتاج إلى سرد نصوص تؤيد ذلك .

فمعاوية وابنه يزيد ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان والحجاج ابن يوسف الثقفي وأضرابهم كان لهم من القدسية والاحترام في العصر الأموي والى منتصف العصر العباسي مثل ما لآل البيت النبوي في عصرنا .

يذكر المقدسي[1] أنه دخل مدينة أصبهان فوصف له رجل معروف بالزهد والتعبد ، قال : فقصدته وتركت القافلة خلفي وبت عنده تلك الليلة ،

---

(١) أحسن التقاسيم ص (٣٩٩) والمقدسي هذا كان حياً سنة (٣٧٦ هـ) .

وجعلت أسائله إلى أن قلت : ماقولك في الصاحب (١) ؟ فجعل يلعنه ، ثم قال : أنه أتانا بمذهب لانعرفه .

قلت : وما هو :

قال يقول : معاوية لم يكن مرسلا .

قلت : وما تقول أنت ؟

قال : أقول كما قال الله تعالى (لا نُفَرِّقُ بينَ أحدٍ مِن رُسُلِهِ) (٢ : ٢٨٦) أبو بكر كان مرسلا ، وعمر كان مرسلا ، حتى ذكر الأربعة ثم قال : ومعاوية كان مرسلا قلت : لا تفعل ، أما الأربعة فكانوا خلفاء ، ومعاوية كان ملكا ، وقال النبي ﷺ : الخلافة بعدي إلى ثلاثين سنة ، ثم تكون ملكا ، فجعل يشنع علي وأصبح يقول للناس : هذا رجل رافضي ، فلو لم أتدارك القافلة لبطشوا بي ، ولهم [أي لأهل أصفهان] في هذا الباب حكايات كثيرة .

ويقول المقدسي أيضاً (٢) ، ويهدها غالية يفرطون في حب معاوية .

وهناك نص يفيد بأن أهل الكرخ كانوا من جماعة معاوية وأنصاره ، فقد سب إبراهيم بن رستم معاوية ، فقال له رجل : لم لاتقول هذا بالكرخ ؟

فقال [إبراهيم بن رستم] ولم لاتصلي أنت على محمد — صلى الله عليه وعلى آله — بالقسطنطينية (٣) .

ويقول المقدسي في أحسن التقاسيم (٤) : كنت يوماً بجامع واسط وإذا برجل قد اجتمع عليه الناس ، فدنوت منه فاذا هو يقول :

---

(١) أي الصاحب ابن عبّاد .
(٢) أحسن التقاسيم ص ١٢٦ .
(٣) البصائر لأبي حيان التوحيدي ج ٢ ص ٣٢٠ ، تحقيق الدكتور ابراهيم الكيلاني ،
(٤) ص ١٢٦ .

ARCHIVE

حدثنا فلان عن فلان عن النبي ﷺ: أن الله يدني معاوية يوم القيامة فيجلسه إلى جنبه ويغلفه بيده، ثم يجلوه على الخلق كالعروس، فقلت له: بماذا؟ بمحاربته عليا؟ رضي الله عن معاوية وكذبت أنت ياضال. فقال خذوا هذا الرافضي فأقبل الناس عليّ، فعرفني بعض الكتبة فكركروهم عني.

مثل هذا الاحترام والتقديس عند بعض الناس لماوية انتقل إلى ابنه يزيد فكان فيهم من يعتقد مثل هذا أو قريباً منه في يزيد، وتفيد فتوى الشيخ الإمام أحمد بن تيمية (١) التي نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي أن بعضاً من الناس في عصره يعتقد أنه كان صحابياً وبعضاً آخر يعتقد أنه كان نبياً وقد ردّ الشيخ ابن تيمية على هذين القولين وذكر اعتقاد أهل السنة في يزيد راجع (المجلد ٣٨ ص ٤٥٢) من هذه المجلة.

وبعد هذه المقدمة نعود إلى النص الذي أشرنا اليه في أول المقال وهو من طرائف النصوص النادرة.

التعريف بصاحب هذا النص:

هو أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق الفارقي، ولد بمدينة ميافارقين في شهر شوال وعاش ما بين سني (٥١٠ — ٥٩٠) رحل خلالها إلى مدن الجزيرة والعراق والشام والعجم قابل فيها الخلفاء وأبناء الخلفاء والملوك والسلاطين والعلماء وكبار رجال الحكم، وألف تاريخاً لمدينة ميافارقين نقل عنه ياقوت الرومي وابن خلكان وابن شداد في الأعلاق الخطيرة.

(١) سؤال في يزيد بن معاوية لشيخ الإسلام ابن تيمية نشره مع جوابه الدكتور صلاح الدين المنجد في المجلد المذكور.

طبع جزء من هذا التاريخ بالقاهرة سنة ١٣٧٩ هـ ١٩٥٩ م ، وقام بتحقيقه ووضع مقدمة له دوكتور بدوي عبد اللطيف عوض ، وهـذا النص مما أثبته الدكتور في هذه المقدمة ص ٤٢ لطرافته وهو :

في سنة ثمان وأربعين وخمس مئة هجرية كان مؤرخنا في تفليس وأقام بها مدة ، ....وهناك اتصل بملك الابخاز وصاحب تفليس الملك ديمتري ابن داود ، ثم التحق بخدمته وبقي عنده مدة ، وسار في ولايته ورأى بلاداً وأماكن كثيرة لم تتح لغيره من المؤرخين والكتاب .

ويسجل لنا ابن الأزرق في تاريخه بعض الحوادث الهامة التي وقعت له مع الملك فيقول ما ملخصه :

بينا كان يسير ذات يوم مع ملك الابخاز إذ وصلا إلى مرج واسع تحت جبل قلعة شاهقة ، فنزلا هناك ، وعرفه الملك بأن في هذه القلعة رجلاً غريباً أسيراً من ولاية حلب، ثم طلب منه أن يصعد إليه في باكورة الغد ممتزماً أن يرجو الملك في إطلاق سراحه ، وبينا هو يتأهب للقاء الرجل وقت السحر وصل الخبر إلى الملك أن بعض الولاة قد ثاروا وتمردوا عليه فذعر الملك وارتحل لوقته وارتحل معه ابن الأزرق ولم يقدر له الاجتماع بهذا الرجل .

كما يسجل لنا حكاية طريفة وقعت له مع الملك أيضاً في مدينة الدربند (١) :

في سنة تسع وأربعين وخمس مئة رحل ابن الأزرق إلى مدينة الدربند ، وفي ذات يوم خرج الملك ديمتري في عسكره وأخذوا يطوفون من جهة إلى

(١) ويسميها العرب أيضاً : الباب والأبواب ـ أو ـ باب الأبواب وهي بلدة على الشاطئ الغربي لبحر الخزر وهي الساحل الوحيد لبلاد الداغستان . انظر معجم ياقوت مادة : باب الأبواب ، دربند ، خنلبق ، وترجمة دائرة المعارف الاسلاميـة مادة : دربند داغستان .

أخرى ويتنقلون من موضع إلى آخر في الولاية ، ولما نزلوا في ولاية الدربند ، وهو الدربند خيزران الذي بناه كسرى ، ترك الملك العسكر في مرج[1] تحت الجبل وأتى اليه الأمير أبو المظفر ملك الدربند ، وكان صهره على ابنته ، واستقبله استقبالاً كريماً وحمل اليه من الخدم والضيافة والإقامة .

وبينما الملك وعسكره نازلين في هذا المرج ومعهم ابن الأزرق ، إذا بجماعة يأتون إليهم من ضياعهم ، فعبر أحدهم إلى ابن الأزرق وتحدث معه بالعربية فعجب لذلك ودار بينهما الحديث التالي .

من أين أنت يافتى ؟ ، إني ما رأيت بهذه الأرض مستعربا .

من تلك القرية وأشار إلى قرية على قمة في وسط الجبل .

ومن أين هذا الكلام العربي ؟

إن جميع من في القرية عرب ، ونحن جميعاً نتكلم العربية .

ومتى حللتم في هذا المكان ؟

منذ خمس مئة سنة .

ومن أي العرب أنتم .

نحن من بني أمية ومن كندة ومن قبائل أخرى

وما الذي جاء بكم إلى هذا المكان ؟

لا أعلمك .

ولماذا ؟ — إني أرى أنكم من قتلة الحسين الذين انهزموا من وجه المختار الثقفي وهربوا إلى هذه الجبال .

وكيف تعلم ذلك ؟

من المعلوم والثابت في الكتب أن جماعة من قتلة الحسين انهزموا أمام المختار إلى الدربند .

ثم انصرف الفتى .

(١) في الأصل : برج في الجميع ، وما أثبتناه هو ما رجحناه .

ولما مضت تلك الليلة وكان الغد حضر الفتى ومعه جماعة عند ابن الأزرق وتحدثوا ساعة ، وكان فيهم شيخ كبير يسمى محمد بن عمران أخذ ابن الأزرق يسأله عن مقامهم في تلك البلاد ، وكيف استقروا فيها ولم يعودوا إلى بلادهم الأولى ، وكيف احتفظوا بلغتهم العربية إلى هذا الوقت .

فقال هذا الشيخ : إن هذه البلاد أصبحت لنا وطناً ، ويوصي بعضنا بعضاً أن لا نترك العربية مطلقاً .

ونساؤنا لا تكلم الأطفال إلا بالعربية لكي ينشأوا على اللسان العربي الفصيح .

فقال ابن الأزرق : وكيف أحوالكم هنا ؟

فقال له : في خير ، ما بيننا وبين أحد معاملة ، ولنا هذه الأرض التي مساحتها خمسة فراسخ في مثلها نحرث ونزرع ما نحتاج إليه وما يعارضنا أحد ، وهذا الأمير صاحب الدربند يحسن إلينا ويوفر علينا مصالحنا وكل من ولي أمر هذه البلاد يحسن إلينا ونكون عنده في أحسن منزلة .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبعد تلك المحادثة الطريفة أخبر محمد بن عمران الفارقيَّ : أنهم حقاً انهزموا أمام المختار ، ولكنهم لا يعلمون أين صارت تلك الطائفة الأخرى وما هي أخبارهم الآن .

فقال له ابن الأزرق : إن العصبة الأخرى التي تقصدها انهزمت إلى الموصل ، وجبل الجزيرة (١) فأنفذ إليها إبراهيم بن الأشتر النخعي وحاربهم فانهزموا أمامه ، وهربوا إلى ولاية ميافارقين فأرسل إلى محاربتهم عبد الله ابن مساور ، فانهزموا أمامه إلى جبل السناسنة (٢) فوق ميافارقين ، وأقاموا

(١) الظاهر أنه يريد بهذا الجبل جبل سنجار .

(٢) السناسنة قبيلة من الأرمن لها حصون منيعة تجاور خلاط (تاريخ ميافارقين ص ٧٥) .

عند ملك سنحاريب ملك السناسنة وهم طائفة من الأمويين .

فقال محمد بن عمران : صدقت ، ثم قال له : وهل بقي إلى اليوم من نسلهم أحد ؟

فقال له ابن الأزرق : نعم .

وحينئذ انصرف هؤلاء الجماعة من العرب بعد أن قضوا مع ابن الأزرق يوماً كاملاً .

وبعد فان هذا النص لا يدع شكاً لمستريب في أصل اليزيدية ، ويجب أن يعاد النظر في تاريخ اليزيدية على ضوء هذا النص النادر الطريف .

دمشق : محمد أحمد دهمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التعريف والنقد

كتاب (الأثيقون)

أو فلسفة الآداب الخلقيـــة

تأليف : ابن العبري

ترجمه عن السريانية المطران مار غريغوريوس بولس بهنام

عدد الصفحات (٤٤٠) من القطع المتوسط

مطبعـــة الشباب ــ القامشلي (سورية)

ما زالت الكنيسة السريانية تبدي نشاطاً كبيراً في إرشاد أبناء الطائفة والمساهمة في الأعمال الوطنية والمحافظة على التراث السرياني .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن المعروف أن آثار العلامة (مارغريغوريوس أبي الفرج ابن العبري) [سنة ١٢٢٦ — ١٢٨٦ ميلادية] تؤلف جزءاً هاماً من هذا التراث الثقافي . فهو قد ألف ستة وثلاثين كتاباً في الديانة والفلسفة والطب واللغة والتاريخ أكثرها بالسريانية وبعضها بالعربية كما ترجم إلى اللغـــة السريانية كتاب الإشارات والتنبيهات في الفلسفة ، وقسماً من كتاب القانون في الطب للشيخ الرئيس ابن سينا . وقد سبق أن ذكرنا في مجلة مجمع اللغة العربيـــة (١) كيف أن المستشرق الانكليزي (بوكوك) نشر النص العربي لكتابه « تاريخ مختصر الدول » وترجمه إلى اللغـة اللاتينية وأشرنا

(١) راجع الجزء الثالث من المجلد (٤٣) صفحة (٥٧٣) .

إلى القول الشائع في أن تسميته بابن العبري يرجع سببها إلى أن أباه كان يهودياً اعتنق المسيحية .

على أن نيافة الملفان (بهنام) ، مطران بغداد والبصرة ، الذي ترجم كتاب (الأثيقون) أو (فلسفة الآداب الخلقيـــة) تأليف ابن العبري إلى العربية ينفي في مقدمة الكتاب هذه النسبة ويقول إن سبب التسمية هو أن أباه (أوجدّه) كان قد نزح من قرية (عبري) ، التي كانت قائمة يوماً على نهر الفرات بقرب مدينة (ملطيـة) . وفي الوقت نفسه تكرم قداسة بطريرك انطاكية وسائر الشرق فلفت نظرنا إلى هذا الأمر ، وأرشدنا إلى ما كتبه قداسته في العدد ١٦/ السنة الثانية من « المجلة البطريركية » ينقد الأخطاء التي ارتكبها الأب (بولس موزد) اليسوعي في ترجمة حياة العلامة ابن العبري في دائرة معارف (فؤاد افرام البستاني) وبالأخص على ترداده القول الشائع بين المستشرقين بأن ابن العبري من أصل يهودي . فرأينا من الضروري الإشارة إلى ذلك ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يبحث كتاب (الأثيقون) ، كما يدل عنوانه اليوناني ، في الأخلاق وآداب السلوك وقد قسمه المؤلف إلى أربع مقـالات كبرى تحوي كل منها أبواباً وفصولاً شتى . وموضوع المقالة الأولى هو ترويض الجسد وتنظيم حركات تمرينه فيستعرض المؤلف هنا الصلاة وفضيلها وآثارها ثم أعمـــال النسك والسهر وقوانين النوم وترتيل المزامير وتأثير الألحان وفوائد الصوم والعزلة والغربة وزيارة الأماكن المقدسة . وتبحث المقالة الثانية في أعمال الحيـاة الجسدية من طعام وشراب . وزواج شرعي وتربية أطفال وإعطاء الصدقات . وفي المقالة الثالثة يتكلم المؤلف على تنقيـــة النفس من الأهواء الشريرة فيشرح معنى النفس ويبين قواها وخصائصها ثم يتعرض إلى ترويض النفس وإصلاح العادات وعلاج الشراهة واجتناب عثرات اللسان ، والابتعاد عن

الحسد والحقد والغضب وعن الشهوات وحب المال والرياء والكبرياء والخيلاء .
وأخيراً فهو يكرس المقالة الرابعة لموضوع تجميل النفس بالفضائل من علم وإيمان وتوبة وصبر وشكر وتقوى وزهد وتوكل وصداقة وذكر الله ومحبته والتفكير في الموت ...

إن طريقة ابن العبري في بحث الموضوعات الأخلاقية تشبه طريقة الإمام الغزالي في كتاب إحياء علوم الدين . فهو يستشهد في كل موضوع بأقوال آباء الكنيسة والقديسين ثم يلجأ إلى التحليل النفسي والبراهين العقلية . كذلك نلاحظ التشابه مع الإمام الغزالي في تطوره الفكري الذي انتهى به إلى التصوف (1) فقد تحدث ابن العبري أيضاً في كتابه (الحمامة) عن اجتيازه مرحلة قاسية من الاضطراب النفسي والتشكيك الى أن أشرقت عليه أنوار الحقيقة وسار في طريق الصوفية وكيف أنه تأثر في ذلك بآراء ابن سينا وأمثلة المتصوفين اليونانيين والمسيحيين . وتتجلى نزعة ابن العبري الصوفية في كتاب (الحمامة) وفي عدد من القصائد ثم في آخر فصول كتاب (الأثيقون) وعلى الأخص عند البحث في معرفة الله ومحبته والشوق إليه ، وعند الكلام على مبادىء الزهد والنسك وأساليب الرياضة الروحية لتطهير القلب . . .

وفي الختام لابد من التنويه بالجهود الصادقة التي بذلها نيافة المطران (بهنام) في ترجمة كتاب (ابن العبري) النفيس بلغة عربية مشرقة ، واضحة وسلسة ، كما أنه لا يسعنا إلا ابداء الإعجاب بالمقدمة الشيقة التي صدر بها الكتاب وتكلم فيها بإسهاب على تصوف ابن العبري .

الدكتور كامل عياد

(1) كما وصف ذلك في كتابه « المنقذ من الضلال » .

المعلّم رفيق قيريش

حياته — آثاره

عنوان كتاب أهدت إلى مجمعنا نسخةً منه - مشكورةً - سفارة الجمهورية التركية بدمشق .

أعدّ الكتاب — بمناسبة مرور مائة عام على مولد المعلم المشار إليه — أحد أبناء قيريش (فؤاد آرون) أصغر أنجال المرحوم ، وطبع في آنقرة (١٩٦٨) طبعاً متقناً . والعنوان على الغلاف الأسود (بحروف سود بارزة) بالحروف التركية الجديدة على رقعة مستطيلة صفراء ذهبية اللون . عـــدد صفحاته ٢٤٤ . في أولى صفحاته صورة المربي القدير المرحوم حسين رفيق قيريش أخذت له في استانبول بعد إحالته على التقاعد ، وقد تجاوزت خدمته في التعليم أكثر من نصف قرن تخرّج على يديه إلى الوطن الألوف من النشء المتعلم بالإضافة إلى كثير من الأصدقاء .

كتب (المقدمة) السيد فؤاد نفسه ، براً بوالده وتخليداً لذكرى أبيه الذي قارب الثمانين من العمر يوم غادر هذا العالم الفاني الى دار البقاء ، تاركاً بعده — إلى الذكر الحسن — مؤلفاته ، وما ترجمه من آثار ، وما نشره وما لم ينشره في عالم المطبوعات ، من المقالات والأشعار أو ماكتبه كمذكرات متناثرة بين أوراقه .

ولا عجب في عمل هذا النجل النبيل وهو الذي أخذ عن أبيه المعلم الحافلة حياته بالتعليم والإرشاد والوعظ - بله حرصه على تعليم أولاده وتهذيبهم وإرشادهم - الرعايةَ لحقوق الوالدين براً بها ، وهو نوع من اتصال عمل المتوفى ،

في الدنيا الوارد ذكره في الحديث الشريف : (... وولدٌ صالح يدعو له . أو كما قال عليه السلام) .

فجمع ما تيسر له من المعلومات المتوفرة في المعاهد والمؤسسات العلمية والمكتبات الخاصة والعامة من الأصدقاء المخلصين والطلاب الأوفياء ، عدا عما لديه هو ، من الأوراق كما حصل على صور تذكارية للمرحوم كان أهدى في حال حياته إلى أصحابه وأصدقائه عدداً منها ؛ واخرج إلى عالم المطبوعات كتاباً عن حياة هذا المربي الجليل تبقى ذكرى بين أصدقائه ، ونموذجاً ينسج على منواله المأمون الشباب الجدد . وهو في خمسة فصول جميـــل الطبع حسن التبويب :

في الفصل الأول . — ترجمة حياة رفيق فيرشو وأسرته .

في الثاني . — ما أداه لوطنه من الخدمات الرسمية وغير الرسمية والفخرية .

في الثالث . — آثاره ، المطبوع منها وغير المطبوع من المؤلفات والمترجمات مع مقالات له في موضوع الدين والأخلاق (اتحاد المسلمين — فضائل الصوم — يوم الخضر . الخ) وجوابه على عشرة أسئلة وجهتها وزارة المعارف إلى العلماء والمفتين (بتاريخ ٢٠ شباط ١٩٢٢) وفيها ظهرت مقدرته ، إنشاءً وبياناً وقوةَ حجة ، وحسنَ جواب ، وكانت فصل الخطاب .

في الرابع . — أشعاره : في الولادات ، في الوفيات ؛ في حرب الاستقلال ، وذكريات شتى .

في الخامس — سنواته الأخيرة ، وفاته وما بعد ذلك .

ملحق وجيز — في تفسيره باللغة التركية للآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة ، والأدعية المأثورة .

ثبتٌ . — لبعض المصطلحات القديمة وما يقابلها بالتركية الحديثة .

الكتاب ، قصةُ حياةٍ واقعية ، مثيرة فيها عظة ؛ حقيق أن تكون مثالاً يحتذيه جيل صاعد راغب في سلك التعليم .

القصة : تسرد بصدقٍ وبساطة حياةَ معلم جليل القدر ، واسع الصدر ، تلقّى صدمات الدهر وعقباته بثبات ورضى ، واجتاز مراحلها بعزم وحزم ، وهو يتنقل في أرجاء الوطن من وظيفة إلى أخرى في التعليم . ولقد أفنى من عمره نصف قرنٍ في التعليم ، فإدارة معاهد علمية من الولايات العثمانية سابقاً منذ سنة (١٨٨٨) [في الشام ، في اللاذقية ، في بغداد ، في كربلاء] فالولايات التركية [سيواس ، وان ، قونية ، استانبول] . قام بوظيفته التعليمية أحسن قيام وخرج منها يوم أحيل على التقاعد ، ناصع الجبين مرتاح الضمير ، فخوراً بما قدّم للوطن من هذا العدد العديد من الشباب المتعلم ، إلى يوم لفظ أنفاسه الأخيرة مودّعاً هذه الدار الخلابة الظاهر ، بين لفيف من أفراد أسرته وأقاربه الأدنين .

وأروع ما في الكتاب وأدعى للتأثر والاعتبار : ما كتبه في آخر أيامه وهو في سرير المرض بعنوان (في فراش المرض) (ص ١٨٣) يخاطب نفسه ، شعراً ونثراً استلهمه عن إيمانه العميق ، وبخطه وتوقيعه (١٥ شباط ١٩٤٥) . وهي قطعة بليغة حقاً ، فيها تتجلى : التقوى والعقيدة المتينة ، والإيمان الصادق الراسخ في قلب مؤمن مخلص لله تعالى . وبها عظة وعبرة لابن آدم هذا المخلوق المعدّ للفناء ، المغرور المتكبر ، على عجزه ، من غير تعقل وتفكر ، الذي تصرعه ُحمَّةُ جرثومٍ تلقيه في دمه (بَرْغَشَةٌ) ضئيلة !

أثارت مطالعة الكتاب فيَّ الذكرى ـ والذكرى تشوق ـ إلى ربوع العاصمة التركية القديمة الجميلة ، المليئة بالأحداث التاريخية الهامّة التي لقّبها شاعرهم المبدع (توفيق فكرت) بـ (العجوز الفتّانة الأرملة البكر) في قصيدته العصماء الرائعة بما اشتملت عليه من حسن الوصف ، والتي رفعته

إلى لغة الشاعرية وعنوانها (الضباب (*)) في يوم غشّى الضبابُ الكثيف العاصمة ، أقول أثارت في نفسي الذكرى والحنين إلى العاصمة استانبول ، القديمة وأكثر ما ورد ذكره في الكتاب من أحيائها هو مما تفتحت عيناي منذ طفولتي ، على أرجائها وعشت فيها أعواماً طوالاً .

فمرّت أمام عيني مرور الصور على الشاشة السينمائية ، كما مرت المدارس التي تلقيتُ دروسي الأولى فيها ، والأسواق والطرق التي نجتازها إلى المدرسة (المكتب) ، والحدائق التي كنا ورفاق المدرسة نلعب فيها ، فرحين دون أن ندري ما يخبؤه المستقبل .

وشخصت أمام بصري أشباح المعلمين الأتراك الذين أخذتُ عنهم بلغتهم ، منذ الطفولة ، من (الابتدائي) و (الرشدي) و (السلطاني) وهم لا يزالون من نفسي في محل الإجلال والإكبار .

ومما يلفت النظر ـ زيادةً على كل ما ورد عن حياة المعلم المرحوم من جلائل الأعمال تعليماً وإدارةً ـ ما كان يتحلى به من التقـوى والصلاح والحرص على أداء الفرائض الدينية ، والنصح والإرشاد .

دخل المعلم رفيق ، سلك التعليم في الدولة العثمانية (سنة ١٨٨٨) بالشام (مركز ولاية سورية آنذاك) معلماً للإملاء ، في مدرسة (الرشدية العسكرية) بعد نجاحه في المسابقة التي أجريت لذلك ، وكان في الشام عمه (حسين أفندي) منفياً ، نفاه عبد الحميد الثاني ، الذي لم يَرُق له أن يبقى في استانبول أحدٌ ممن كانت لهم صلة بسراي السلطان مراد الخامس . ووالي ولاية الشام إذ ذاك هو أحمد مدحت باشا .

(*) (سيس) بالتركية : ألهمه إياها ضبابُ يوم ، كثيف ، غطّى العاصمة ، وهو مطلٌ من شرفة بيته العليا في (يك) ، الذي أسماه (آشيان) ومعناه (عش الطير) تشبيهاً منه ، نفسه ـ وهو الشاعر الصداح ـ بالطير المفرّد من عشه . ويعدّه الأدباء الأتراك مؤسس مدرسة الشعر الحديث في الأدب العثماني السابق .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعلى الرغم مما عُرض عليه من الوظائف الملكية الأخرى آثر البقاء في سلك التعليم ، فعلّم في الشام ثم في اللاذقية التابعة لولاية بيروت في ذلك العهد ، ثم في مدارس بغداد ، ثم في (سيواس ، وان ، قونية ، استانبول) . في بعض منها قام بالتعليم ومعاوناً للمدير ؛ وفي بعض منها كان مديراً . ثم عيِّن مديراً للمعارف ، فمديراً لشعبة الحقوق من دار الفنون .

ولطول إقامته في البلاد العربية معلّماً ، أتقن اللغة العربية تكلماً وكتابة . كما تعلم اللغتين الفرنسية والفارسية فبلغ فيها درجةً تمكّنــــه من التكلم والكتابة بها .

في الكتاب صور شتى خارج المتن ، عدا الصورة الأولى للمرحوم ، صور تذكارية في أعوام مختلفة . وخريطة لولاية سينوب فيها اسم القرية التي ولد فيها المرحوم (*) .

منها بين الصفحتين (١٦ — ١٧) صورة له حين كان بالشام معاون مدير للإعدادية الملكية سنة (١٨٩٢) ، وصورة أخرى له في المدرسة نفسها مع طلبته وهو يلقي عليهم درساً في الهندسة وتطبيقات المسح (١٨٩٣) .

وبين الصفحتين (٤٨ — ٤٩) صورة له وهو ملتح ، بعد أن عُين مديراً لإعدادية اللاذقية وعاد مأذوناً لدمشق (١٨٩٧) .

وبين الصفحتين (٦٤ — ٦٥) صورة له حينما كان مديراً للمعارف ببغداد ، وصورة أخرى بجانبها وهو بالزي البغدادي بالعباءة والعقال (١٩٠٦) .

وصور شتى له في مدارس الولايات التركية واستانبول أخيراً .

(*) ولد عام (١٨٦٨) في قرية (گوللي كوي) في ناحية (گرزة) في ولاية سينوب الواقعة على البحر الأسود . وتوفي باستانبول (حي بشكطاش) حزيران ١٩٤٠ ودفن في مقبرة (يحيى أفندي) ، في حظيرة الأسرة .

وفي الصفحتين (١٤٦ — ١٤٧) روسمٌ لدعاء خطبة الجمعة بالنص العربي وبخط رقمي مشكول ، جميل (بجيد المرحوم الخطين الرقمي والديواني) .

وفي الصفحتين (١٥٦ — ١٥٧) روسمٌ قصيدةٍ لمعروف الرصافي بعنوان (سعادة رفيق بك) يوم كان المرحوم مديراً للمعارف في بغداد وكان الرصافي معلماً للعربية (١٩٠٦) بخط رقمي جميل بالحروف العربية [بعد ذلك ترجمةُ القصيدة إلى التركية بالحروف التركية الجديدة] .

نُشكر نجله الفاضل (فؤاد آرون (*)) امهله المجيد هذا في تخليد ذكرى والده المربي المناضل تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنانه .

ونُشكر سفارة الجمهورية التركية بدمشق ، لهديتها لمجمعنا نسخةً من هذا الأثر التاريخي المتعلق بالعلم والتعليم ، لعله يكون مثالاً جميلاً عن حياةٍ طويلة تقضَّت بشرف وأمانة ، لمن يطالعه من الجيل الصاعد فيقتدي به إذا انخرط في سلك التعليم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكواكبي

ملاحظة . — لم يرد ذكر قصيدة الرصافي المتعلقة بالمرحوم في ديوان الرصافي المطبوع سنة ١٩٣١ فرأيت من المفيد إثبات نصها هنا خدمة للتاريخ والذكرى .

(ص ١٥٦ — ١٥٧)

(*) ولد السيد فؤاد آرون (سنة ١٩٠٩) في يوم تنصيب السلطان رشاد ملكاً على عرش السلطنة ، بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن عرشه (ص ٥) . وهو حالياً مقيم في (يكيشهر — أنقرة) أمدّ الله في عمره وأكثر من أمثاله من الأولاد النجباء البررة الأوفياء .

سعادة رفيق بك

معارفنا منك استنارت بدورها   على حينَ قد كانت سراراً شهورها
وقد أصبحت أفلاكها مستديرةً   بحسن انتظام حيث أنت مديرها
وكان بنوها يشتكون انحرافها   فما جئت إلاَّ واستقامت أمورها
سعيت إلى تقويمها سعي قادرٍ   بسَوْرة عزمٍ يستحيل فتورها
محباً لآبائه حوت حجراتها   رفيقاً بأبنائه نضم حجورها
فكنت لها كالغيث باكر روضةً   ذوت لانقطاع الغيث عنها زهورها
فأضحت بها الأزهار ريّا نديّةً   تغنّي على الأغصان فيها طيورها
تسنّى عسيرٌ من طريق رقيّها   ولولا رفيق ما تسنّى عسيرها
أشار إلى غاياتها بدلالةٍ   فيا حبذا الغايات وهو مشيرها
له ذلّ من أرض السياسة صعبها   فلو شاء لانت في يديه صخورها
تأمّل في أحكامها بفراسةٍ   فبانت له أعجازها وصدورها
فألقت إليه بالأمور وانه   جدير بأن تُلقى إليه أمورها
وصارت مقاليد الرياسة رُجّعاً   إليه ألا نعم المصير مصيرها
إذا ما طريق للنجاح توعّرت   وسار بها عادت سهولاً وعورها
وأقلامه في الطارس إن هي أعملت   يروع قلوب المنشئين صريرها
تلوح بها الأفكار بيضاً وجوهها   إذا انتظمت في الصُحْف سوداً سطورها
رأت سعةً في الفضل منك وفي النُّهى   أمانيّنا حتى استطال قصيرها
وماجت بنا في بُعْدِ فضلك مثلها   يموج بأبعاد الفضاء أثيرها
وكم لك آراء حكين كواكباً   يشق عمى الأبصار بالحق نورها
أعيذك بالصدق الذي أنت أهله   من القوم إن القوم يخدع زورها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فديتك إن القوم صالية الحشا · بنيران حقد لا يبوخ سعيرها
فكم سلكوا بي في مفاوز للقِلى · عليَّ تلظّى بالعداء هجيرها
فلله أشكو ثم لله معشراً · بُضام بتضييع الحقوق عشيرها
ولست بأحداث الليالي مبالياً · أهبت صباها رخوة أم دبورها
أدامك ربّ الناس للناس ناصراً · إذا عزَّ في دار الهوان نصيرها

بغداد في ٣ مارت سنة ٣٢٢ الداعي

معروف الرصافي

[٣ مارت سنة ٣٢٢ توافق سنة ١٩٠٦ م]

نظرة في معجم

(الطحانة والخبازة والفرانة)

أعـدّه المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي
بالتعاون مع مصلحة التعريب التابعة لمكتب التسويق والتصدير
بالدار البيضاء — المغرب

في علم الآليات والحركات (الميكانيك) مبدأ يقول (الحركة الدائمة في الطبيعة شيء مستحيل) . . . على أن ما يبدو في (المكتب الدائم لتنسيق التعريب) في العالم العربي ، في الرباط ـ المغرب ، يكاد يجعلني أقول (إن الحركة الدائمة) ليست بشيء مستحيل . وها هو ذا المكتب يحقق هذه الحركة المباركة المستمرة بما يقوم به من جليل الأعمال بنشاط نادر المثال ، واتصال دائم مع سائر الأقطار العربية العلمية ليُخرج للناس أحسن ما عمل من ثمرات جهود جبارة تذكر فتشكر . أليس كل هذا (حركة دائمة) دون انقطاع ؟ !

فديتك إن القوم صالية الحشا … بنيران حقد لا يبوخ سعيرهـا
فكم سلكوا بي في مفاوز للقِلى … عليَّ تلظّى بالعداء هجيرهـا
فلله أشكو ثم لله معشراً … يُضام بتضييع الحقوق عشيرها
ولست بأحداث الليالي مبالياً … أهبّت صباها رخوةً أم دبورها
أدامك ربُّ الناس للناس ناصراً … إذا عزّ في دار الهوان نصيرها

بغداد في ٣ مارت سنة ٣٢٢ الداعي

معروف الرصافي

[٣ مارت سنة ٣٢٢ توافق سنة ١٩٠٦ م]

نظرة في معجم

(الطحانة والخبازة والفرانة)

أعدّه المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي
بالتعاون مع مصلحة التعريب التابعة لمكتب التسويق والتصدير
بالدار البيضاء — المغرب

في علم الآليات والحركات (الميكانيك) مبدأ يقول (الحركة الدائمة في الطبيعة شيء مستحيل)... على أن ما يبدو في (المكتب الدائم لتنسيق التعريب) في العالم العربي، في الرباط ـ المغرب، يكاد يجعلني أقول (إن الحركة الدائمة) ليست بشيء مستحيل. وها هو ذا المكتب يحقق هذه الحركة المباركة المستمرة بما يقوم به من جليل الأعمال بنشاط نادر المثال، واتصال دائم مع سائر الأقطار العربية العلمية ليُخرج للناس أحسن ما عمل من ثمرات جهودٍ جبارة تذكر فتشكر. أليس كل هذا (حركة دائمة) دون انقطاع ؟!

إن ما أخذه على عاتقه هذا المكتب الفذ من عمل ضخم وشاق" وما بذله ويبذله في هذه السبيل من تضحيات مادة" ومعنى لجدير" بالإعجاب والإكبار .

لقد أخرج (المكتب) أخيراً (معجم الطحانة والخبازة والفرانة) وصلت إليّ منه نسخة مطبوعة على الطابعة ، إعداداً للطبعة النهائية بالمطبعة ، وهي حاوية من المصطلحات الجديدة الجديرة بكل تقدير لمن عمل على وضعها وانتقائها من بين ما وُضع لها ، ورتبها فأحسن ترتيبها ، ونسّقها فأجاد تنسيقها اللائم للغرض (وعددها ٤٨٩ كلمة) بعد المشاهدة رأي العين لأجزاء مختلف الآلات والأجهزة في أكبر مطحنة في المغرب وأرقاها وأكملها تجهيزات ، في زيارة دراسية لمطاحنها ، تحقيقاً وتدقيقاً وتفهماً للغرض الذي ابتكرت له ، لتأتي مصطلحات هذه المهنة متوافقة مع مدلولها ، وهي المهنة التي تتوقف عليها أسباب الحياة وأعني الأغذية وعلى رأسها الحنطة فالدقيق ، من طحن ونخل ونخب وعَجْن وخَبْز . وهذا حقاً عمل منطقي طريف منطبق على الواقع المشاهد عياناً ، تهنأ عليه اللجنة .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

هذا وقبلاً ، أخرج هذا المكتب (الديناميكي) معاجم في مختلف الشؤون والعلم والفن . فالشكر والتقدير لنشاط أركانه ولمن يتولون إدارته ويسهمون في أعماله بغيرة وحماس عجيبين .

وإذْ قد رغبت لجنة المكتب إلى المطالع إبداء رأيه وملاحظته حول ما ورد في المعجم من المصطلحات رأيتُ ـ تلبية" لهذه الرغبة ـ أن أذكر على صفحات مجلة المجمع العلمي العربي مما وجدت فيه ما يلاحظ عليه من المصطلحات ، خدمة" للمعجم نفسه ، فعسى أن تنظر إليها اللجنة بعين الرضى . وفقنا الله جميعاً لما فيه مصلحة لغتنا الحبيبة إلى قلوبنا ، من ناحيتي العلم والفن ، وهدانا للصواب .

وإليكم الآن الملاحظات :

الصفحة	الرقم	
٢	٧	Granulation يقابله : التَّحثير ، بالحاء .
٢	٨	يحسن أن تذكر كلمة (طحن) أسوةً بأخواتها السابقات فيقال (الطحن بالمحاز) بدلاً من (النحز) فقط . وفي التعريف يقال : النحز الدق بالمنحاز أي بالهاون .
٣	١٣	وُضع لكلمة Rendement : مَرْدُود . واختلف على هذه الكلمة . قلتُ : الأصلح (المَرْجُوع) الفصحى من (جاءني رُجعى رسالتي أي مرجوعها وهو جوابها) كما في القاموس ، وكأن الفرنسية ترجمة العربية .
٤	١٧	الجشب ، كالجرش : Concassage .
٤	٢١	الكركرة ، بحسب شرحها يقابلها : Remoudre .
٤	٢٣	الهرس : Broiement .
٥	٢٥	يكتفى بكلمة (الهاون) أشهرها .
٥	٢٦	〃 〃 (الدق) 〃 وما عدا الهاون ، والدق ، يترك لما يجدّ من آلات السحن .
٦	٣٣	Meuleuse أليست هي (المِطْحنة ، بكسر الميم) ؟
٧	٣٩	الناعورة بالمَهْز ..... à impulsion ، بإضافة (المهز) وهو الدفع .
٩	٥١	المنفة النبّاذة (على التفعيل) والفعل هو التَّبَذان .
٩	٥٢	〃 الجيّاذة (〃) 〃 〃 الجيذان . لما في الفعلين من معنى الحركة [فَعَلان : الاضطراب والحركة].
١٠	٥٤	Vanne . و (الحَيْس) Ecluse بمعنى .
١١	٥٥	Moulin à bras : لعلّها .

الصفحة	الرقم	
١٣	٧٥	الجعجعة : Bruit de Moulin كما وردت في معجم كلبرڤيل الفرنسي (انظر النسخة الفرنسية العربية) .
١٣	٧٦	المِدْوَك Pilon d'agate تخصيصاً .
١٥	٨٤	الفَصَّالة لا يقابل Séparateur أصلح .
١٩	١٠٥	المُفَرْجِنة Brosse à blé الآلة التي تعمل عمل الفرجون .
٢٣	١٢٢	الدَّمُوك ، صفةٌ . فالأصلح أن يقال (رحىً دموك) كما وردت في القاموس .
٢٤	١٣١	المِسْحَلَة أو المِسلخة ، بالحاء . فيجب تصحيح الخطأ الطبعي .
٢٥	١٣٢	المِخْلَطة (اتباعاً لوزن مِفْعَلة) التي جرت عليها مصلحة التعريب .
٢٥	١٣٣	أليس الأصلح : (مَبْلَغ الاستخلاص) فقد ورد في الرقم ١٤٩ : استخلاص مقابل Extraction .
٢٥	١٣٣ مكرر	و (الجاروشة Moulin à bras) .
٢٨	١٤٤	Bluterie : مَنْخَلَة وزان مَفْعَلة للمكان ، والمعاجم الفرنسية لم تذكر استعمال bluterie اسماً لما يُنخل به !
٢٩	١٥٢	مَبْلَغُ (السفسفة) مقابل taux مثلما ورد في الرقم ١٣٣ .
٣٢	١٦٢	Silo : هو الكُنْدُوج تخصيصاً . أما (الهُرْيُ) فهو (بيت يجمع فيه طعام السلطان) كما في القاموس .
٣٣	١٦٨	المِكْنَسَة (اتباعاً لوزن مِفْعَلة) ؛ أو (مُكَنِّسة ، على التفعيل ، كما ورد الفعل نفسه في الرقم ١٦٩ .
٣٤	١٧٤	Treuil هو المَنْجَنُون ، والمَنْجَنِين .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصفحة	الرقم	
٣٥	١٧٨	Etiquette : يَفْتَتِج (عرَّبتُها عن التركية بَافْتَه) كما (وردت في مصطلحاتي العلمية ـ طبعة ثامنة ١٩٥٩) والاشتقاق منها سهل . أليست هذه أصلح من (البطاقة) التي هي (الرُقعة الصغيرة المنوطة بالثوب التي فيها رقم ثمنه ، سميت كذلك لأنها تُشَدّ بِطاقةٍ من هُدْب الثوب ؟ ! ـ القاموس) .
٣٥	١٧٩	Etiquetage : يَفْتَتجة . [يَفْتَتج étiqueter ؛ مَيفْتَتج étiqueté الخ] .
٣٥	١٨٠	المِقْط (وهو الخيط الذي يُصطاد به الطيور) **أصلح** من المِقاط ، بكسر الميم ، فهو الحبل يُشدّ به .
٣٦	١٨٦	الباضعة الرِّدْف أو الرَّديفة (بدلاً من : المدبورة) . وفي الشرح : باضعة رَدَفها ، كنصر ، أو تُردفها من أردفَ). كل هذا من (الرِدْف كالرديف وهو الراكب خلف الراكب ، كما في القاموس) .
٣٧	١٨٧	الباضعة المردوفة أو المُرْدَفة تمييزاً لها من الرقم ١٨٦ .
٣٧	١٩٠	لعل الأصلح (المِدْرَعة ، وهي الثوب يُتمدرع أي يلبس) ، بدلاً من (المِبدعة كالمِبدَع ، المكان الذي يُصان فيه الثياب وهو الصِّوان Garde - robe) .
٣٩	٢٠١	فوق اكسيد الآزوت (بدلاً من بيروكسيد الآزوت) .
٤١	٢٠٦	Issues : نُفايات (ومثلها Déchets) كذلك .
٤٢	٢١١	ومثلها (الحُشالة ، بالشين) كذلك .
٤٦	٢٥٥	Moisissures هو : (المَعَفّن ، المعفنات) كما ورد في معجم كليرفيل (انظر النسخة الفرنسية العربية) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصفحة	الرقم	
٤٨	٢٣٦	Ergot هو (أرْغُوت ، تعريباً) [ومِهْماز الجَوْدار : ergot de Seigle كما وضعته لجنة المصطلحات الطبية ، انظر النسخة الفرنسية العربية ـ معجم كليرفيل] .
٥٠	٢٥٠	وكذا (ناشطة) بمعنى .
٥٠	٢٥١	وكذا (نشوط) بالمعنى نفسه وهو نبات الشيء من أرومته أول ما يبدو حين يصدع الأرض .
٦٨	٣٤٣	يكتفى بكلمة (المِرْقاق) . و (الشَوْبَق ، معرَّب مشهور) وتترك الباقيات لما يجدّ من آلات الترقيق .
٧٥	٣٧٥	المَخْمَر ، على اسم المكان ، من الثلاثي وهو ترك العجين حتى يجود .
٨١	٤١٢	القَضْمة [بدلاً من (اللاط) الذي له معان شتى] من القَضْم والتقاضم .
٨٢	٤١٤	(التحميم بحمام ماري) باضافة حمام ماري ، تخصيصاً باسم مبتكرة الطريقة والجهاز المسمّى باسمها .
٨٣	٤١٦	خُبْز فَطير هو بالفرنسية : Pain azyme .
٨٤	٤٢٨	المِرْتنة تقابل Tartine .
٨٤	٤٢٩	الخبز المُقَمَّر (والكلمة مشهورة) وأحسبها من (القُمْرة) وهي البياض فيه كُدْرة . فهي أصلح من (المشوي) . فالخبز لا يُشوى بل يجعل على النار لتعلوه كدرة ، وهو نوع من التحميص .
٨٥	٤٣٤	Biscottes هو البَقْسَماط أو الخُشْكَنان (من الفارسية) على ما أذكر .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصفحة	الرقم	
٩١	٤٧٢	الأصلح (صَمَغَ ، بائيم) بدلاً من (صَبَغَ ، بالباء) إذ ليس هنا صَبْغ بصباغٍ ما . إنما هو (تمييع) والصمغ لمّاع مائع .
٩٢	٤٧٧	مُهلْمَة Gelée ، من الهُلامة gel [وهذه من الهُلام . والاشتقاق منها وفير : gélification تهليم ، se gélifier تَهلَمَ] بدلاً من (مُجمَّدة) .
٩٢	٤٧٨	مُرائة ، بدلاً من (خبيصة : empoi) .

السكواكبي

***

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

مدينـــة دمشق

عند الجغرافيين والرحالين المسلمين

وضعه الدكتور صلاح الدين المنجد

استشهد المؤلف في تضاعيف كلامه بقول البحتري :

أما دمشق فقد أبدت محاسنها   وقد وفى مُطريها بما وعــدا
يمشي السَّحاب على أجبالها فِرقاً   ويصبح النبت في صحرائها بَدَدا
فلست تبصر إلاّ وادياً خضراً   أو يانعاً خضلاً أو طائراً غردا

نعم ! هذه دمشق الفناء ، وهذا كتاب ابنها البار الصلاح المنجد فيها ، نأى عنها غير مختار ، فما خفف البعاد شيئاً من تعلقه بها ، وصبوته إليها .

كان من بعض هذا الهيام بها ، والحنين إليها ، أن بلغ ما أخرجه من كتب تتعلق بها ، وتتصل بتاريخها وأحداثها ، ثلاثين كتاباً ، كان آخرهـا هذا الكتاب الذي نتحدث عنه : «مدينة دمشق» ضم بين دفتيه (طائفـة

كبيرة من النصوص التي وردت في تواريخ الجغرافيين الرحالين والعلماء الذين وردوا إلى دمشق وكانوا غرباء عنها : من القرن الثالث إلى القرن الثالث عشر الهجري) جمعها من عشرات الكتب من مطبوع ومخطوط .

بلغ من نقل عنهم أربعين شيخاً : من عالم ومؤرخ وأديب . يبدأ بخلاصة عن حياة كل منهم : مولده ، ونشأته ، وسائر ما يعرف عنه مما وصل من خبره إليه . ثم يعقّب على ذلك بما كتبه هذا الشيخ عن دمشق من نثر وشعر .

ومن يبدأ بهذا الكتاب لا يملك نفسه أن يتركه قبل أن ينتهي إلى آخر صفحة منه .

تقرأ في هذا الكتاب الممتع المفيد من طرائف ولطائف تبدي لك عن محاسن هذه المدينة ، وعمّا فيها من عادات وأعراف ، وعمّا لاقته في حياتها الطويلة — وهي من أقدم مدن العالم إن لم نقل أقدمهن على الإطلاق — من رفعة وعزة ، وضعة وذلة ، واستقلال واستعباد ، وما فيها من معاهد ومدارس ، ومن جوامع وكنائس ، ومن ضياع ورباع ، ومن متاجر ومصانع ، ومن أسواق وحمّامات ومن وقوفات ورباطات ، وما هم عليه أهلها من لطف ولين .

وهذه المحاسن والمحامد على شهرتها وشهرة أهلها بها ، لا تمنعه أن ينشر إلى جانب هذا المدح والثناء الحي ، ما قاله بعضهم في ذمها وتفضيل غيرها عليها .

فمن العادات المستحبة التي يذكرها ، عن فضائل أهل دمشق أنه لا يفطر أحد منهم في ليالي رمضان وحده البتة . فمن كان من الأمراء والقضاة والكبراء ، فانه يدعو أصحابه والفقراء يفطرون عنده . ومن كان من التجار وكبار السوقة فعل مثل ذلك ومن كان من الضعفاء والبادية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فانهم يجتمعون كل ليلة في دار أحدهم وفي مسجد ، ويأتي كل واحد بما عنده فيفطرون جميعاً »[١]

أدركنا ذلك في عهدنا يوم كان الرئيس محمد علي العابد رئيس الجمهورية السورية يدعو إلى مائدته في رمضان الوزارات على التعاقب : وزارة وزارة : وزيرها ورؤساءها وأركانها ثم المتقاعدين والمحامين والوجوه والأعيان ثم أرباب المتاجر والمصانع بحيث لا تخلو مائدته في ليالي رمضان من عشرين إلى ثلاثين مدعواً .

جرى في هذا على سنة دمشق وعلى طريقة وزراء الدولة في الآستانة ، ـ وكان منهم ـ ثم هو يودع أضيافه على باب داره بكل ما أوتيه من لطف وتواضع .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتتبين هذه الأخلاق الدمشقية في ناحية ثانيـة من نواحي الآداب الاجتماعية . فأنت قلّ أن تعرف صديقاً رفعته الأقدار إلى منصب لم يكن ليحلم به إلا شمخ بأنفه ، وتعالى عمّن كان يعرفهم ، ونجد الدمشقي وقد بلغ أسمى المراكز ـ رئاسة الجمهورية مثلاً ـ لا يزال على كثير من الوضع الذي كان عليه من قبل ، ويظل في كثير من مجالسه على ما كان عليه من ظرف ولطف ونكتة .

---

(١) وحافظت دمشق على عاداتها هذه فكان وجوهها وأعيانها يدعون في جملة من يدعونهم إلى إفطار رمضان كبار الحكومة . وما كنت أحب هذه الدعوة لرجال القضاء . وكان يزعجني أن أراهم جماعة جماعة في سوق الأروام تنتظر بعضهم بعضاً حتى إذا تكامل عددهم ذهبوا إلى حيث هم مدعوون . فطلبت إليهم أن يمتنعوا عن قبول هذه الدعوات فقد تجر إلى الخروج ، أو الاتهام بالخروج عما يتطلبه القضاء من تجرد وحياد . ففعلوا . فارتاحوا وأراحوا .... (ع)

هذه خطرات رأيت أن أشير اليها ونحن في الحديث عن مدينة كتب لي أن أعيش فيها قرابة أربعين سنة فلا عجب أن يولع بها أبناؤها والمقيمون فيها ، وأن يتلهم الأستاذ الصلاح في هذه الكتب الممتعة .

واذا كان كتاب « مدينة دمشق » قد جمع ما قيل في دمشق من قبل ، فلا بد أن يضاف إلى ذلك ما كان في هذه المدينة الجبارة من وطنية صادقة ، حمل السلطات الأجنبية في كثير من الأحيان أن تحنو أمامها رأسها . بدأت الحركة العربية في بيروت : أدباً وسياسةً وحديثاً . والأدب فيها غالب على السياسة والعمل . فانتقلت إلى دمشق سياسة وأدباً وعملاً . والسياسة والعمل غالبان فيها على الأدب . كان يقع لهذه المدينة أن تضرب عن الأعمال إضراباً عاماً شاملاً ، يبلغ في بعض الحالات أربعين أو اثنين وأربعين يوماً ، لا يخيفها تهديد ولا وعيد . وقضت في جهادها ربع قرن حتى جلا المستعمر عنها كما جلا عنها غيرهم من المستعمرين من قبل .

وبعد ، فان لدمشق أن تفخر بصلاح الدين المنجد كما له أن يفخر بها ، مقيماً بها أو نازحاً عنها ، أحسن الله إليه قدر ما أحسن في كتابه هذا إلى وطنه وإلى العلم والأدب .

و (مدينة دمشق) طبع طبعاً متقناً على ورق صقيل ، مبوب أحسن تبويب ، وله فهارس قيّمة تعين على الرجوع إلى بحوثه وموضوعاته .

وقد وقع بعض أخطاء مطبعيـــة كان الحق أن يستدركها المؤلف كما استدرك غيرها ، من ذلك ما جاء في الصفحة ٢٩٧ في بيتين لابن نباته :

دمشق في أرجائها مواضع يصبو إليها ناظر وسامـــع
ربوعها وقصرها والجامع فهي ثلاثـــة ما لهن رابع

والصواب : ثلاث ليستقيم الوزن .

ARCHIVE

وفي الصفحة ٣٠٨

باكر إلى قهوة مسكية فضحت ذكرى المدام وشنّف لي الفناجينا
ندعو إلى نحو ما فيه البقاء ولو دعت إلى نحو ما فيـــه الفنا جينا
ولو أن ألف امرىء طافوا بحاناتها قصد النجـــاة رأيت الألف ناجينا

وهـذه الواو في البيت الأخير من خطـــأ الطبع لا يستقيم الوزن إلا بحذفها .

السكري

الملكة زنوبيا

مسرحية شعرية للأستاذ عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يخرج الأستاذ عدنان ، مسرحيات شعرية توفّق في موضوعها وفي أسلوبها .

وآخر هذه المسرحيات « الملكة زنوبيا » جعلها أربعة فصول ، وأهداها إلى موطن البطولات ، ومهد الحضارات ، المدينة الخالدة : « دمشق » .

وقدم لها بتوطئة موجزة في تاريخ « زنوبيا » ، وذكر أن السبب الذي حمله على وضع هذه المسرحية ، زيارة سبقت له إلى تدمر برفقة والده العلامة الفقيد خليل مردم : رئيس المجمع العلمي الأسبق رحمه الله .

والمسرحيات الشعرية العربية قليلة . وقليل من وفق فيها ، حاشى شوقي . وقد يكون الشيخ خليل اليازجي أول من فتح هـذا الباب بروايته : « المروءة والوفاء » . ثم جرى على خطاه ابن اختـــه السيد نجيب الحداد في روايته : « صلاح الدين » .

والصعوبة في المسرحيات الشعرية : أن الشاعر في موضوعه وفي أسلوبه

مقيد غير طليق ، على حين أنّ الشاعر في غير المسرحية طليق غير مقيد ، يذهب في قوله كل مذهب .

وفي رواية زنوبيا من المواقف الشعرية الموفقة ما يسيل رقة وعذوبة : لفظ فصيح في معنى صحيح ، من ذلك قوله :

الغرب في كل عصر لاشرق مصدر شر
شرق وغرب لعمري الضدان في كل أمر

ولعله لو قال « ضدان في كل أمر » لكان القول أكثر انسجاماً .

ومن مستجاد قوله :

الناس في كل العصور هم الضواري الكاسرة (١)
خضبوا الأكف بما أسالوا من دماء طاهرة
ومضوا يسمون الفساد قياصراً وأكاسرة

ومن الأبيات السائغة :

إن بؤس النفس لو أنصفت من بؤس السريرة
والعمى في الناس أصناف وألوان كثيرة
وأشد الداء خطباً حينما تعمى البصيرة
خطأ أن تصف النور إلى عين ضريرة

وأمثال هذه الأبيات الموفقة كثيرة .

وفي الرواية بعض مآخذ لا بد للمؤلف أن يتداركها في طبعة جديدة إن شاء الله .

والشكر للأستاذ عدنان على هذه الروائع التي يخرجها لقومه ، وهم بحاجة اليها وإلى أمثالها أسلوباً وموضوعاً .

ع . ط .

(١) ولسنا نرى رأي من يخطئ نعت الضواري بالكاسرة . ويحصر « الكواسر » بجوارح الطيور .

كتاب الهفوات النادرة

تأليف

غرس النعمة أبي الحسن محمد بن هلال الصابئ المتوفى سنة ٤٨٠

حققه وعلق عليه وقدّم له

الدكتور صالح الأشتر

هذا سفر نادر من أسفار الثقافة العربية ، ذو موضوع طريف في الأدب والتاريخ . اضطلع بتحقيقه أخي الدكتور صالح الأشتر ، وطبعه في سلسلة مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٦٧ . وقد قدّم له بمقدمة طويلة جيدة ، عرّف فيها بالمؤلف ، ودرس الكتاب في موضوعه وأسلوبه وقيمته ، ووصف أصوله المخطوطة ، وشرح طريقته التي اتبعها في التحقيق .

خرج الكتاب من بين يدي الدكتور صالح مصححاً منقحاً ، يغري الناس بقراءته ، ويجتذب الباحثين إلى النظر فيه ، والإفادة منه في الأدب والتاريخ واللغة ، ولا سيما اللغة الحضارية واللغة الدارجة في بغداد إبان العصور العباسية إلى زمن المؤلف .

أضاف الدكتور صالح إلى الكتاب حواشي وتعليقات جيدة مفيدة في شرح الكتاب وضبطه ، وردّ نصوصه إلى أصولها ، والإشارة إلى وجودها في مصادر أخرى ، والتعريف بالأعلام والشعراء والرواة الذين وردت أسماؤهم في متن الكتاب . وكل هذا ينير الكتاب ، ويوضحه . على أن من هذه الحواشي ما لا فائدة كبيرة ترجى منه ، مثل الإشارة إلى بحور أبيات الشعر الواردة في الكتاب . وهي كثيرة نكاد نجدها في كل صفحة . وهذا مع أن المحقق الكريم قد ذكر بحور هذه الأبيات في فهرس القوافي . فكان له في ذلك معدى ومعدل عن ذكرها في حواشي الكتاب .

وألحق بالكتاب فهارس عديدة مفيدة أيضاً . والفهارس مفاتيح ذهبية يصوغها المحقق ، ويضعها في أيدي الباحثين والدارسين ، ليصلوا بها إلى المعلومات والأفكار المكنوزة في طيات الكتاب . على أن الدكتور صالح كلف نفسه فوق ما يلزم ، حين صنع (فهرس محتويات الكتاب) . فقد أجاز لنفسه أن يضع لكل خبر في الكتاب عنواناً يدل عليه ، وحشر هذه العنوانات في فهرس طويل شغل ما يقرب من ثلاثين صفحة . وهذا لا يفيد أحداً من القراء ، بله الباحثين والدارسين . وفي الفهرس الأخرى ، ولا سيما فهرس الأعلام ، غنى عنه .

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جوّد الدكتور صالح تحقيق الكتاب وضبْطه كما ذكرنا آنفاً . ولكن شاب عمله الجيد هنات معدودة ، و « لا تعدم الحسناء ذاماً » ، كما يقول المثل العربي القديم . وسوف نورد هاهنا أمثلة من هذه الهنات طمعاً بالزيادة في نقاء الكتاب وصحته .

قال الدكتور صالح في الصفحة ٥١ من مقدمته : « وقد ترجمنا لعدد كبير من الأعلام الواردة في الأخبار ، وعدد ضخم من الرواة الذين وردت أسماؤهم في أسانيد الأخبار . وأتبعنا كل ترجمة بذكر المصادر التي تترجم لصاحبها » . ولكنه في الواقع ترجم لبعض الأعلام ، وأهمل بعضهم . ولم نعرف خطته في ذلك ، ولم يذكر سبباً نعرفه .

ففي الصفحة ٩ من الكتاب ورد ذكر المدائني المؤرخ الراوية المشهور ، وعيسى بن موسى العباسي . فترجم المحقق للثاني منهما ، وأهمل الأول ، فلم يترجم له مع أنه أحال على كتاب الأعلام للزركلي في ترجمته لعلي بن عيسى . والمدائني مترجم له في الأعلام أيضاً (٥/١٤٠) .

وفي الصفحة ١٠ من الكتاب ورد ذكر إبراهيم بن المهدي وطاهر بن الحسين . فترجم المحقق للثاني منها ، وأحال على كتاب الأعلام . وترك الأول ولم يترجم له ، وهو مذكور في الأعلام كذلك (١/٥٥ — ٥٦) . ومثل هذا كثير جداً في الكتاب .

وقد أحال الدكتور صالح في معظم التراجم التي أوردها إلى كتاب الأعلام . وهو لعمري كتاب جيد في بابه . ولكنه ليس من المصادر الأولى ، لأنه كتاب حديث ، يأخذ عن المصادر القديمة في تراجم الأعلام القدامى . والأولى الرجوع إلى المصادر القديمة في الأول ، ثم الكتب الحديثة . فهذا أجدى وأقوم .

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إن معظم الهفوات في الكتاب واضحة ، بينة المعنى والنكتة . إلا أن عدداً منها لا يستبين معناه ، ولا يدرك موضع الهفوة والنكتة فيه إلا بالشرح والبيان ، بسبب اختلاف البيئة ، وتغير الظروف الاجتماعية والتاريخية ، وتطور مدلول الكلمات وغير ذلك من الأمور . ومن الأجدى شرح مثل هذه الهفوات ، وبيان مواضع النكتة فيها .

مثال ذلك الهفوة ٤٣ في الصفحة ٤٧ من الكتاب . فقد سأل أبو إسحق أبا سعد : « هذا الصبيُّ ولدُه ؟ » أي ولد الخادم . فأجاب أبو سعد : « يا سيدنا ، خادم لا يكون له ولد ! » . وهذا السؤال هو موضع الهفوة ، والجواب موضع النكتة . وينقضي الخبر من غير إيضاح من المؤلف ، أو شرح وتعليق من المحقق . ويتساءل القارىء العادي ، وربما خاصة القراء : ولماذا لا يكون للخادم ولد ؟ ولا يعرف السر في ذلك . والسر أن كلمة الخادم صارت تطلق في العصور العباسية ، ولا سيما في بغداد ، على

الخَصِيّ من الخدم دون غيرهم . بل خُصَّت بهذا المعنى ، وصارت مرادفة لكلمة الخصي . ولا نجد هذا في معجمات اللغة ، وإنما نعرفه من كتب الأدب والتاريخ بالاستقراء .

ومثل هذا ما جاء في الهفوة ٣١٠ ، في الصفحة ٣١٢ من الكتاب : « كان علي بن خلف النيرماني ينشد دائماً :

فعيناك عيناها ، وجيدك جيدها ولكن أخلاق الرجال تضيق » .

وقال المحقق الكريم في الحاشية (٢) تعليقاً على هذا : « شطران من الطويل » . وقوله هذا صحيح ، ولكنه لا يغني ، ولا يعني شيئاً .

والشطر الأول من هذين الشطرين صدر بيت معروف لمجنون بني عامر قيس بن معاذ العامري ، من شعر له ، وكان وقع في شراكه ظبية ، فأطلقها وقال :

أيا شِبْهَ ليلى ، لا تُراعي ، فإنني لكِ اليومَ من وحشيَّةٍ لصديقُ
ويا شِبْهَ ليلى ، لا تَزَلْ بروضة عليكِ سحابٌ دائمٌ وبروقُ
أقول ، وقد أطلقتها من وَثاقها : لأنتِ لليلى ، ما حَيِيت ، طليقُ
فعيناكِ عيناها وجيدُكِ جيدُها سوى أنّ عظم الساق منكِ دقيقُ

(انظر لسان العرب : روع) .

والشطر الثاني من الشطرين عجز بيت لعمرو بن الأهتم المنقري ، من قصيدة له مفضلية مشهورة (انظر المفضليات ١٢٥ — ١٢٧ ، طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٤) . وتمام البيت مع البيت الذي قبله :

وكل كريم يتقي الذم بالقرى وللخير بين الصالحين طريقُ
لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيقُ

* * *

في الصفحة ٥٨ السطر ١١ — ١٢ :

« ونقلني من الرئاسة والمهالة . وهي المنزلة الزرية والرتبة الدنيــــة » . ولا يستقيم معنى الكلام بهذه الصورة . لأن منزلة الرئاسة والمهالة ليست زرية ، ولا رتبتها برتبة دنية . إنما المنزلة الزرية ذات الرتبة الدنية هي منزلة اللعب بالشطرنج . فبين الجملتين سقط لم يشر إليه المحقق ، كما ترى . وفي بقية الخبر دليل على ذلك .

في الحاشية (٤) في الصفحة ٦٥ :

قال المحقق تعليقاً على جملة « و يزهزه ألفاظه » : « ولم نجد في المعاجم (زهزه ألفاظه) بمعنى أن يقول . زِهْ زِهْ ، استحساناً عند سماع كل لفظة ، لكن ذلك هو ما يتطلبه المعنى هنا » . ونقول : جاء في كتاب (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيـل) لشهاب الدين الخفاجي ص ١٠٠ : « زهزهة : بمعنى تحسين ، مولدة من قول الفرس : زهي زهي » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الصفحة ٧٤ السطر ٧ — ٨ :

« وقيل : خرج عبد الملك بن مروان يوماً قاراً ، وعليه جباب خز متظاهرة ، على عليّ بن عبد الله بن العباس » .

قوله « قاراً » ها هنا تصحيف . والصواب : « ماراً ... على علي بن عبد الله بن العباس » . وقد خيل إليّ في بادىء الأمر أن هذا من الغلط المطبعي . ثم نظرت فاذا المحقق الكريم يثبت « قاراً » عن اختيار . ويعتبر « ماراً » الواردة في نسختي (أ) و (ع) تصحيفاً ، كما في الحاشية (٤) .

في الصفحة ٩٤ السطر ٨ :

« واتفق لي ، وهي تحدثني بذاك ، أن موسى وراء الباب » . في هذا القول غلط لم يصححه المحقق . والصواب : واتفق لي وهو يحدثني بذاك ... » لأن الحديث كان بين جد القناني وبين داود بن الجراح في منزل موسى ابن عبد الملك . وفي أول الخبر وبقيته دليل على ذلك .

في الصفحة ١٣٢ السطر ١١ :

« وجملت اليمانية تعض على شفاههـا ، تظن أن قد هربت » . وفي الحاشية (٣) في ذيل الصفحة : « ب : هوبت » . وما في نسخة (ب) هو الصحيح . و (هربت) لا معنى لها هاهنا . و (هوبت) معناها : هلكت ، وهو المقصود هاهنا .

في الصفحة ١٧٧ السطر ١٣ :

« ويحقق الأمر عنده كون الرجل وحده ... » . وفي الحاشية (٥) في ذيل الصفحة ما يشعر أن (يحقق) زيادة من نسخة (ب) ، وأنه كان فيها : « وتحقق الأمرُ عنده لكون ... » . وما جاء في نسخة (ب) صحيح لا بأس به ، ولا نرى وجهاً لتغييره كما صنع المحقق .

في الصفحة ١٧٨ السطر ٨ — ٩ :

« قصم الله أجله وبتر عمره » . وفي الحاشية (٣) في ذيل الصفحة : « تبره : أهلكه . وفي ب : بتر » . و (بتر) الواردة في نسخة (ب) ، وهي بمعنى قطع ، أصح وأجود هاهنا من (تبر) التي اختارها المحقق ، وأكثر انسجاماً مع (قصم) .

في الصفحة ٢١٥ السطر ٥ :

« وحدث عن ابن الزنفيلجي ... » . وفي الحاشية (٥) : « ع : الزنفليجي » . وفيها تصحيف تصحيحه : الزنفليقي ، أو الزنفيلقي نسبة إلى الزَّنْفليقة أو الزنفيلقة ، وهي فارسية معربة أصلها « زَنْبيله » ، أي الزنبيل كما تقول العامة . (انظر نوادر أبي مسحل ٣٢٧ ، والمعرب ١٧٠) .

في الصفحة ٢٧٩ السطر ٢ :

« كان إسماعيل بن بلبل الوزير يفاوض المعتمد بالله في أمر ... » . الصواب : « المعتمد على الله » . وقد كانت في الأصل « المعتضد بالله » .

فصوب المحقق كلمة (المتضد) كما ذكر في الحاشية (٢) في ذيل الصفحة ، ونسي تصويب كلمة (بافه) .

في الصفحة ٢٨٧ السطر ١٤ — ١٥ :

« وإنما يبقى لرب الضيعة صبابة كصبابة الإناء ، ومجة كمجة العرقوب » . وقال المحقق في الحاشية (٦) في ذيل الصفحة تعليقاً على كلمة (كمجة) : « في الأصول : مخة ، ولعلها مجة ، ويقال : لم يبق في الإناء إلا مجة » . وما جاء في الأصول هو الصحيح . وأصل هذا القول مثل من أمثال العرب معروف . جاء في لسان العرب (عرقب) : « وفي المثل : الشر ألجأه إلى مخ العرقوب . وقالوا : شرٌّ ما أجاءك إلى مخة عرقوب . يضرب هذا عند طلبك إلى اللئيم ، أعطاك أم منعك » . وانظر أيضاً مجمع الأمثال ١/٣٥٨ ، وفيه : « والمعنى : ما ألجأك إليها إلا شر ، أي فقر وفاقة . وذلك أن العرقوب لامخ له ، وإنما يحوج إليه من لا يقدر على شيء » .

في الصفحة ٢٩١ السطر ١ — ٢ :

« ولا أزال على حالي حتى تأخذه بيعاً صحيحاً ، لا شرط فيه ولا خيار ولا مثنوية » . وقال المحقق في الحاشية (٢) في ذيل الصفحة تعليقاً على كلمة (مثنوية) : « كذا في الأصول » . وقوله هذا ينيء بشكه في صحة هذه الكلمة . ولا داعي إلى هذا الشك ، لأن سياق الكلام صحيح ، والمعنى مستقيم . ومعنى قوله « ولا مثنوية » : أي لا رد في هذا البيع (لسان العرب : ثنى) . ومنه بيت النابغة الذبياني في قصيدته البائية في مدح عمرو بن الحارث الغساني المعروف بالأعرج :

حلفتُ يميناً غيرَ ذي مثنوية ولا علمَ إلا حسنُ ظنٍّ بصاحبِ

* * *

هذا وهناك أشياء أخر في الكتاب أقل شأناً مما ذكرنا آنفاً ، أعرضنا عن الإشارة إليها ، لأنها هنات صغيرة تدرك بأقل نظر .

الدكتور عزة حسن

آراء وأنباء

تأبين المرحوم الأمير مصطفى الشهابي (١)

كانت الساعة السادسة من مساء يوم الثلاثاء ٧ من شعبان سنة ١٣٨٨ هـ الموافق ٢٩ من اكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٦٨ م موعداً لجلسة مجلس المجمع العلنية التي دعا اليها الدكتور طه حسين رئيس المجمع لتأبين المغفور له الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، وقد توفي في ١٤ من مايو (أيار) سنة ١٩٦٨ م.

وقبيل الموعد المحدد أقبل على دار الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع، وهي المكان الذي تقرر عقد الجلسة فيه، جملة من أساتذة الجامعات والعلماء والأدباء وأبناء الجمهورية السورية والبلاد العربية، وعدد من فضليات السيدات وبعض أفراد أسرة الفقيد.

وكان في طليعة الحاضرين الدكتور حسني سبح رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق والدكتور شكري فيصل عضو المجمع، وقد حضرا من دمشق إلى القاهرة خاصة للمشاركة في حفل التأبين.

ورأس الجلسة الأستاذ زكي المهندس نائب رئيس المجمع نيابة عن الدكتور طه حسين رئيس المجمع المتخلف من التخلف لحالته الصحية، وحضر الجلسة الدكتور ابراهيم مدكور الأمين العام ولفيف من الاعضاء.

(١) الكلمات التي ألقيت في الجلسة الخامسة للدورة الخامسة والثلاثين لمجمع اللغة العربية في القاهرة في تأبين المرحوم الأمير مصطفى الشهابي.

وفي الموعد المحدد أعلن الأستاذ زكي المهندس نائب رئيس المجمع افتتاح الجلسة وألقى كلمته في رثاء الفقيد ، ودعا بعدها الدكتور عبد الحليم منتصر عضو المجمع لالقاء كلمته ، ثم تلاه الدكتور حسني سبح رئيس مجمع دمشق فألقى كلمته ، ثم تلاه الأستاذ عزيز أباظة عضو المجمع فألقى قصيدة رثاء ، ثم أعقبته السيدة ثريا حافظ فالقت كلمة الأسرة .

ثم قرأ الأستاذ شوقي أمين رئيس التحرير بالمجمع البرقية المرسلة من كريمتي الفقيد بدمشق .

ثم أعلن الأستاذ زكي المهندس انتهاء الجلسة ، وكانت الساعة قد قاربت الثامنة مساء والكلمات والبرقية جميعها مرافقة لهذا المحضر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

★ ★ ★

كلمة الأستاذ زكي المهندس

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد كان السيد رئيس المجمع الدكتور طه حسين يود أن يشاركنا في تأبين الفقيد العظيم والعالم الجليل الأمير مصطفى الشهابي، ولكن حالته الصحية اضطرته إلى الاعتكاف والاعتذار، فباسمه وباسم المجمع أحييكم وأشكر لحضراتكم كريم مواساتكم لنا في تأبين هذا الرجل العظيم، وأخص بالتحية والشكر السيد رئيس مجمع دمشق ومن معه من الزملاء والأصدقاء الذين وفدوا إلينا لكي يمزجوا أحزانهم بأحزاننا ودموعهم بدموعنا في تأبين الزميل الراحل، على أن الفجيعة في الشهابي ليست فجيعة مجمع القاهرة وحده ولا مجمع دمشق وحده ولكنها فجيعة الأمة العربية بأسرها، وفجيعة العلم والعلماء في كل قطر عربي.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نحن إذ نبكيه الليلة لا نبكي فيه رئيساً لمجمع أو زميلاً سابقاً في مجمع القاهرة وحسب، وإنما نبكي فيه رجلاً عظيماً وعالماً جليلاً، وعربياً أصيلاً من رجال الرعيل الأول الذين يفخر الوطن العربي ويعتز بأسمائهم وتاريخهم.

حقاً أيها السادة لقد فقد العالم العربي في الشهابي ثروة علمية ضخمة ليس من السهل أن تعوض، أما خسارة المجمعين فيه فخسارة فادحة، فقد كان رحمه الله قوة علمية يوثق بها ويعتمد عليها، وكم من مسألة علمية أو لغوية عرض لها المجمع في مؤتمراته فكان للفقيد فيها جولة تنم عن غزارة علم وسعة اطلاع وإحاطة تامة بأصول اللغة، حتى في الشهور التي يغيب عنا فيها كان دائماً حاضراً معنا بمذكراته التي كان يرسلها الى المجمع حافلة بالتعليقات والمقترحات والتوجيهات النافعة المفيدة.

ولعل الشهابي يعد من طليعة هؤلاء العلماء القلائل الذين استطاعوا أن يواءموا بين القديم والجديد ، وأن يطوعوا اللغة للتعبير عن المصطلح العلمي الحديث ، وعهدنا بكثير من العلماء الطبيعيين أن يضعوا المصطلحات من غير أن يكلفوا أنفسهم مشقة البحث في اللغة ، أو العناية بدراسة تراثنا العلمي العربي القديم للاستفادة منه ، ولكن الشهابي كان على خلاف ذلك ، كان كثير البحث في اللغة العربية قواعدها وأصولها وطرق الاشتقاق فيها ، كما كان معنياً كل العناية بدراسة ما وضعه العلماء القدامى من أسماء ومصطلحات ، يفيد من هذا كله في وضع المصطلحات العلمية حتى كتب عنه (أمين المعلوف) فقال : لم يكتب في الزراعة منذ صدر الإسلام بلغة أنقى وأصلح من لغة الشهابي .

وكان الفقيد إلى جانب علمه وكفايته مثلاً للأخلاق العالية ، كانت له شخصية جذابة ساحرة ، تؤثر فيمن حوله وتحملهم على إجلالها واحترامها . كان هادىء الطبع كريم النفس عف اللسان ، عامراً قلبه بالعواطف الإنسانية الكريمة ، كان يدلي بآرائه في تواضع العلماء ، ويحترم آراء غيره وإن كانت مخالفة لآرائه .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد زاملناه في المجمع أكثر من خمسة عشر عاماً . ولم أذكر أني رأيته يوماً غاضباً من أحد ، أو ساخطاً على أحد ، بل كان محباً للجميع محبوباً من الجميع .

رحم الله الشهابي رحمة واسعة وجزاه عما قدم للعلم واللغة بخير مايجزي به عباده المخلصين العاملين .

أما الآن أيتها السيدات والسادة فسيتولى تأبين الفقيد نيابة عن المجمع الزميل الدكتور عبد الحليم منتصر عضو المجمع ، ويليه السيد رئيس مجمع دمشق الأستـــاذ الدكتـور حسني سبح ويليهما الزميل الشاعر الأستاذ محمد عزيز أباظة عضو المجمع فيلقي قصيدة في رثاء الزميل الراحل وبعد هذا كله تلقي السيدة ثريا الحافظ كلمة الأسرة ثم تتلى برقية كريمتي الفقيد إلى المجمع من دمشق .

كلمة الدكتور عبد الحليم منتصر

أم اللغات قضيت العمر أخدمها فهي الشفيعة في غفران زلاتي

أيها السادة الكرام أيها الزملاء الخالدون :

كأني بفقيدنا العظيم الخالد ، قد لخص حياته وجهاده في خدمة اللغة العربية في هذا البيت الرقيق من الشعر ، الذي نظمه ، وأوصى أن يكتب على قبره ، وحقاً لقد كانت حياته متميزة بطابع الجهد المضني ، الذي يبذله راضياً ، في خدمة اللغة العربية وتطويعها للعلوم العصرية ، تقدم صفوف حماة الفصحى ، الذابين عن حياضها ، المنافحين عن حوزتها ، الداعين إلى جعلها لغة العلم الحديث في مختلف فروعه وفنونه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عرفت الأمير مصطفى الشهابي ، في أروقة مجمعنا الموقر ، منذ نحو ربع قرن من الزمان ومنذ ذلك التاريخ ، وقد اتصلت بنا الأسباب ، وكانت آصرة الحماس للغة العربية ، والغيرة الشديدة عليها ، والحفاظ على سلامتها وبذل الجهد لجعلها لغة العلم ، بترجمة المصطلحات العلمية . أمضى آصرة وأقواها . ومنذئذ وقد اتخذت منه في هذا المجال معلماً وإماماً . ولعل الكثيرين منكم يذكرون ، ما كان يدور بيننا من نقاش حول هذا المصطلح أو ذاك ، وأشهد أني كثيراً ما كنت أسلم بنصاعة حجته ، وقوة عارضته ، وسعة اطلاعه فأنقاد للحق الذي يدافع عنه ويقتنع به ، ويكون أغلب الأمر في جانبه ، فلم يكن يرضيه أن نلتزم باصطلاح استعمله أصحاب الصنعة خمسين عاماً ما دام غير مطابق أو غير سليم ، فنأخذ بالتصحيح الذي يرضي اللغة ويرضيه ، ونترك ما شاع على ألسنة الدارسين ، وندعو إلى التزامهم به ، وكان في حرصه على ذلك يدعو إلى استعمال السلطان في نشر ما يقره

المجمعيون من مصطلحات وكنت أرجوه أحياناً أن نترك إلى سلطان الذوق والاستعمال والقدوة الحسنة ، وأنه لامجال في موضوع المصطلحات العلمية ، إلى تطبيق القول بأن « مايزع الله بالسلطان أشد مما يزع بالقرآن » .

وكان يقول ان توحيد هذه المصطلحات ، لايتم ، كما يفهم الكثيرون ، بعقد المؤتمرات والندوات أو صنع معجمات من لدن هيئة أو مؤتمر ، وإن أفاد ذلك جزئياً ، ولكن الرسالة أسمى من ذلك وأجل من أن يتطلع إليها فرد أو طائفة ، إذ يجب أن ينظر إلى هذا التوحيد على أنه عمل قومي كبير ، يهم البلاد العربية كلها ، ويستوعب الكثير من الجهد والوقت والمال وقد قدر لهذا العمل منذ ثلاث عشرة سنة ، مبلغ مائة ألف جنيه ، وحسب الزمن الذي يستغرقه بستين شهراً . غير أنه عاد أخيراً ، فضاعف المبلغ إلى مائتي ألف وأما الوقت فقد قال انه يستطيل بالحساب على الستين شهراً الذي سبق له تقديرها . ويرى في معنى توحيد المصطلحات أن يكون في كل الأقطار العربية « معجم فرنسي عربي » و « معجم انجليزي عربي على الأقل » لتلك المصطلحات ، تعرف فيه الألفاظ بالعربية تعريفاً علمياً مختصراً دقيقاً ، يناسب حجم المعجم ، على أن يشتمل المعجم على أصح الألفاظ العربية أو أرجحها ، على أن تأخذ الحكومات العربية نفسها باستعمال ألفاظه دون غيرها في وزاراتها ، ودوائرها وجامعاتها ومدارسها . وأن تصنيف المعجم يحتاج قبل كل شيء إلى أداة تميز المصطلحات بعضها من بعض ، وترجح بعضها على بعض وتستقر على الأصح والأصلح ، وتمضي على طريق واحدة ، ومن رأيه أن مجمعنا الموقر ، هو الأولى والأقدر على وضع هذا المعجم ومع ذلك فإنه لا يستطيع أن ينهض بهذا العبء دون تآزر ومساندة من جامعـــة الدول العربية والعلماء والأدباء العرب ، الذين عرفوا بوضع المصطلحات العربيـة وتحقيقها ، كل في دائرة اختصاصه وحدود ثقافته ، ورسم منهـاج العمل ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بأن تؤلف في مجمع اللغة العربية بالقاهرة لجنة تسمى لجنة معجم المصطلحات العلمية ، يكون لها شخصيتها الاعتبارية واستقلالها المالي والإداري ، وأن يخصص مجلس جامعة الدول العربية المال الذي يقدر لتصنيف المعجم ، ويأذن للجنة المذكورة أن تتصرف في انفاقه بمراقبة أمين الجامعة ورئيس المجمع ، وتتصل اللجنة بالمختصين بالمصطلحات في الأقطار العربيـــة ، وتتطلب منهم ، وضع قوائم مصطلحات أعجمية عربية ، ضمن اختصاصهم لقاء مكافآت مجزية ، وتضع اللجنة من هذه المصطلحات والقوائم « معجم المصطلحات العلميـة » وتعرضه على مجلس مجمع اللغة العربية ، فيقر ألفاظه ويناقشها في حضرة واضعيها من متخصصي الأقطار العربية ، لقاء مكافآت مجزية ، ثم يطبع مجمع القاهرة المعجم ، ويوزع نسخه على دول الأقطار العربية . وتبقى لجنة المعجم قائمة على عملها في مجمع القاهرة ، لإضافة ما يجد من المصطلحات ، وإعادة طبع المعجم وتوزيعه ... ثم يردد رحمات الله عليه قول الشاعر :

مُنىً إن تكن حقاً تكن أحسن المنى وإلا فقد عشنا بها زمناً رَغْدا

ثم يردد قول شاعر آخر :

إكذبِ النفسَ اذا حدّثتهـا إن صدق النفس يُزري بالأمل

وفي الواقع لقد كانت الخطوات العملية ، هي نفسها التي رسمها فقيدنا الراحل ، فيما عدا رصد المال اللازم ، عندما أخذت وزارة البحث العلمي على عاتقها وضع المعجم العلمي العربي الموحد مستفيدة من خبرات المختصين مما وضعته المجامع والهيئات والأفراد من قوائم ومعاجم إلا أنها لم تجد بـداً من تخفض فيه من نفقاتها إلا البند الخاص بهذا المعجم ، فأوقفت العمل فيه ، بعد سنتين من الجهد المتصل من الخبراء والمختصين لم تزد النفقات على بضعة آلاف ، ونيفت المصطلحات التي روجعت ونسقت ووضعت لها الجذاذات على الثلاثين ألفاً وقد كان رحمـه الله متفائلاً بهذه اللجان التي ضمت ثلاثة وثلاثين عالماً

ARCHIVE

نحو نصفهم من أعضاء المجمع وخبرائه المختصين . وكانت تعمل جاهدة لتنفيذ قرار المؤتمر العلمي العربي الخامس الذي عقد في بغداد سنة ست وستين وتسمائة وألف .

ولم تكن حماسة فقيدنا للغة العربية ، واستعمالها لغة للتدريس في الجامعات ، والنهوض بها لتكون لغة العلم الحديث في مختلف فروعه ، لم يكن حماسه الفائق المتقد لينسيه أهمية التعمق في دراسة اللغات الأجنبية ، لمتابعة المسائل العلمية بلغاتها الأصلية ووضع لذلك أربع وسائل لا بد من اتباعها ، للنهوض باللغة العربية ، وجعلها مسايرة لكل تقدم علمي ، وهذه الوسائل الأربع هي :

أولاً — إتقان تدريس لغة أجنبية جيدة كالفرنسية أو الانجليزية في المدارس الثانوية .

ثانياً — تدريس تلك اللغة في الكليات الجامعية .

ثالثاً — جلب أساتذة أجانب يلقون دروساً ومحاضرات باللغة الأجنبية .

رابعاً — ذكر الألفاظ العلمية في أثناء التدريس بالعربية ، لأن هذه الألفاظ مشتركة بين اللغات الحية .

ويقول انه يعتقد أن بهذه الوسائل الأربع أو هذه التكافلات — على حد تعبيره — يستطيع الطالب الذي يدرس بالعربية في كليات الجامعة ، أن يوسع بعدئذ معلوماته ويختص في معاهد الاختصاص في البلاد العربية ، ويتابع البحوث العلمية في المجالات الأجنبية المتخصصة .

ويقول اننا نحن العرب ، لانستطيع التخلي عن لغتنا ، ولا عن تراثنا العلمي والأدبي الكبير ، ونحن جادون اليوم لجعل لغتنا صالحة لاستيعاب العلوم الحديثة ، فنتمكن بذلك من التوفيق بين ثقافتنا العربية والثقافة الغربية وهو موقن بأننا سنبلغ بإذن الله مانريد .

لقد كان الأمير الشهابي محجة أولي العلم ، ينهلون من مورده العذب ، ويجدون لديه ماطاب من حديث في دقائق العلم ، ممزوجاً بالفكاهة الحلوة ، والسمر العذب ، وكان حفياً باللغة العربية حفيظاً عليها ، وكانت عصبيته للغة العربية ، عصبية كريمة قادرة ، لأنه ذو دراية واسعة بأسرار اللغة العربية ، ويقول أمين المعلوف عن لغة الشهابي في مؤلفاته الزراعية ، « ماكتبت الزراعة بأصلح منها منذ صدر الإسلام » .

ولا ينسى له المجمعيون عامة ، والمشتغلون بعلوم الحياة خاصة ، تلك القواعد التي وضعها الفقيد لترجمة أسماء الأجناس والأنواع والمواليد والأعيان والتي أقرها المجمع منذ سنين وشاعت وذاعت بين المشتغلين بالصناعة ، وغدوا يترسمونها في أعمالهم العلمية ومؤلفاتهم ودراساتهم المختلفة ، بالاضافة إلى ماوضعه من أسماء لحلقات التصنيف العليا والدنيا من نحو العالم والأمة والطائفة والرتبة والقبيلة والفصيلة والجنس والنوع والصنف أو الضرب والسلالة وما اتخذه من قاعدة لتصغير في الحلقات الوسطى ، بين كل حلقة وأخرى . ومن تعريب لاسم الجنس ، وترجمة لاسم النوع إن دل على صفة معينة ، أو تعريبه إن دل على اسم علم . ولا مراء في أن الأمير مصطفى الشهابي من أعاظم علماء الزراعة في العصر الحاضر ، ولا يختلف اثنان في أن الأمير هو علامة العربية الأوحد في المصطلحات الزراعية وأنه فيها نسيج وحده ، كان الباحث المدقق ، يتحرى أصلح الألفاظ في المعاجم العربية ، وفي كتب النبات والحيوان القديمة ، قام بهذا العمل المضني خير قيام ، وحقق فيه عدداً كبيراً من المصطلحات العربية وضعها أمام المصطلحات الأجنبية ووضع لأسماء النباتات الأجنبية أسماء عربية أو معربة بطريقته الخاصة . وهي الرجوع إلى أصول الأسماء العلمية الدالة على هذه النباتات . وترجمة تلك الأسماء بمعانيها الأصلية أو تعريبها إذا كانت تدل على أعلام . وغدا الشهابي معروفاً في البلاد العربية

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

كافة بأنه أحد العلماء الذين أغنوا العربية بالمصطلحات العلمية ، وأنه من أوسعهم اطلاعاً على طرائق وضع المصطلحات ، واعترف له كثير من أعضاء المجامع العلمية واللغوية وأساتذة الجامعات بأن كتابه المصطلحات العلمية في اللغة العربية ، هو أنصع دليل وأوفى مرجع يرشد العلماء العرب إلى أصلح السبل التي تتبع في وضع المصطلحات العلمية بلغتنا العربية .

نسبه ونشأته وما تولى من وظائف وتقلد من أعمال :

وهو الأمير مصطفى بن الأمير محمد سعيد ، بن الأمير جهجاه بن الأمير حسين الشهابي ، من أمراء بني شهاب القرشيين المخزوميين الذين دخلوا الشام في الفتح الإسلامي بقيادة أبي عبيدة ابن الجراح ، وحكموا في حوران سنة ٥٦٨ هـ ، أيام الملك العادل نور الدين محمود زنكي ، ثم حكموا وادي التيم بلبنان حتى سنة ١٨٧٠ م وقد ولد في أول نوفمبر سنة ١٨٩٣ في حاصبيا مقر بني شهاب في وادي التيم ، ودرس في المدارس السورية ثم في الآستانة ، ثم في فرنسا حيث تخرج سنة ١٩١٤ حاصلاً على درجة عالية في العلوم الزراعيـة ، وكان يتقن العربية والفرنسية والتركية ويلم بالانجليزية ويعده عارفوه من أكثر الناس جلداً على المطالعة والتأليف والمحاضرة .

وقد تقلد عدة مناصب عالية في الدولة ، كما تقلد الوزارة أربع مرات على النحو الآتي :

١ — مدير الزراعة والخراج سنة ١٩١٨ — سنة ١٩٢٣ .

٢ — مدير الأملاك ١٩٢٣ — ١٩٣٤ .

٣ — مدير الاقتصاد الوطني ١٩٣٥ .

٤ — وزير المعارف ١٩٣٦ .

٥ — محافظ حلب ١٩٣٧ — ١٩٣٩ .

٦ – وزير المالية ووزير دولة ١٩٤٢ .

٧ – محافظ اللاذقية ١٩٤٣ – ١٩٤٥ .

٨ – أمين رئاسة الوزراء ١٩٤٥ .

٩ – محافظ حلب مرة أخرى ١٩٤٦ – ١٩٤٧ .

١٠– محافظ اللاذقية ١٩٤٨ – ١٩٤٩ .

١١– وزير العدل ١٩٤٩ .

١٢– وزير مفوض ثم سفير سورية في مصر ١٩٥١ – ١٩٥٤ .

وله في مناصب الدولة أعمال عمرانية كثيرة ، منها توزيع أملاك الدولة على الفلاحين لا يجاد ملكيات صغيرة ، وتشييد دار الكتب الوطنية في حلب ، ودار الكتب الوطنية في اللاذقية ، وهو من الرعيل الأول من العاملين في القضية العربية ، وكان عضواً في جمعية العربية الفتاة وجمعية العهد ، وكان أحد أعضاء وفد المعاهدة بين سورية وفرنسا سنة ١٩٣٦ ، وكان عندئذ وزيراً للمعارف .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد انتخب سنة ١٩٢٦ عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق ، وفي سنة ١٩٤٨ انتخب عضواً مراسلاً لمجمع اللغة العربية في مصر ، ثم انتخب سنة ١٩٥٤ عضواً عاملاً فيه ، وفي سنة ١٩٦١ انتخبـه المجمع العلمي العراقي عضواً مراسلاً ، وانتخب عدة مرات عضواً في مجلس المعارف الأعلى في سورية ، وفي مجلس إدارة المتاحف والآثار ، وفي جمعيات علمية وأدبية مختلفــة ، وعين عضواً في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في القاهرة وفي دمشق ، ومثل جامعة الدول العربية ثلاث مرات في حلقة الدراسات الاجتماعية .

وفي سنة ١٩٥٣ انتخبه مجلس جامعة الدول العربية رئيساً للجنــة المواصلات الدائمة وفي سنة ١٩٥٦ انتخبـه المجمع العلمي العربي بدمشق بالإجماع نائباً لرئيس المجمع لمدة أربع سنوات ، وفي سنة ١٩٥٩ انتخب

بالإجماع رئيساً للمجمع العلمي العربي بدمشق خلفاً للمرحوم خليل مردم بك ، فكان الرئيس الثالث لذلك المجمع وجدد انتخابه لرئاسة مجمع دمشق سنة ١٩٦٣ ، ومنح جائزة الدولة التقديرية لعام ١٩٦٥ وهي أول جائزة تقديرية تمنحها الدولة السورية .

وفي سنة ١٩٦٤ انتخبته اللجنة التنفيذية لدائرة المعارف الإسلامية بلندن عضواً مشاركاً لمجلس هذه الدائرة .

وقد منحته الدولة السورية وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى ، كما منحته الحكومة المصرية الوشاح الأكبر من وسام النيل ، عندما كان سفير الحكومة السورية في مصر .

وقد عكف الأمير الشهابي على دراسة قواعد اللغة العربية ، وكتب اللغة وآدابها وأخذ يكتب في أهم الجرائد والمجلات العربية مقالات وبحوثاً ، يعدها العارفون من خالص الأدب الرفيع ، على أن الناحية العلمية واللغوية طغت فيه على الناحية الأدبية ، ولذلك فإنه يعد بحق في عداد العلماء وكبار المفكرين وقد أمضى سنين عديدة في دراسة نباتات سورية وحشراتها واقتصادياتها واستطاع أن يطبق العلوم الزراعية الحديثة في أعماله الحكومية أو في مؤلفاته الزراعية ، وقد اشتهر بتحريه لأصلح الألفاظ في المعاجم العربية ونشر كثيراً من إنتاجه في مجلة المجمع العلمي العربي ، ومجلة المجمع اللغوي بالقاهرة وفي مجلات المقتطف والهلال وغيرها .

مؤلفاته :

ليس من اليسير التعريف بما كتب الأمير الشهابي من مؤلفات ومقالات ووسائل ، فذلك في الواقع يحتاج إلى دراسة خاصة ، وكم أود بهذه المناسبة أن أعرض على المجمعيين أن يعملوا على دراسة أعمال الأعضاء والتعريف

بها . وإني لأشير هنا إلى أهم تآليف فقيدنا ، تاركاً الدراسة المتخصصة إلى فرصة أوسع ووقت أرحب .

كتاب الزراعة العلمية الحديثة ويبحث في الأتربة والأعمال الزراعية والري والصرف والأسمدة والدورة الزراعية وزراعة الحبوب والقطاني وبعض البقول ونباتات الكلأ والنباتات الليفية والدهنيه والصبغية .

وكتاب الأشجار والأنجم المثمرة ، يتناول دراسة ثلاثين نوعاً من أشجار الفواكه وجنباتها وأنجمها كالزيتون والكرم والبرتقال .

وكتاب البقول ، ويبحث زراعة أهم الخضروات وعددها خمسون .

وله كتاب في الدواجن وكتاب الدفاتر الزراعية .

ويعتبر معجم الألفاظ الزراعية ، وهو معجم فرنسي عربي لألفاظ العلوم الزراعية الحديثة كالزراعة العامة وزراعة البساتين وعلم الحراج وتربية الخيل والماشية والنحل والسمك والطير الأهلية وما له صلة بالزراعة من نبات وحيوان وحشرات وآلات وصناعات واقتصاديات . ويعتبر هذا المعجم من أعظم مؤلفاته يضم نحو عشرة آلاف مصطلح ، وضع المؤلف أمام المصطلح الأجنبي أصلح الكلم العربية وعرف كثيراً منها تعريفاً علمياً موجزاً ، ثم كتاب المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث ومعجم المصطلحات الحراجية بالانجليزية والفرنسية والعربية وكتاب أخطاء شائعة في ألفاظ العلوم الزراعية يشتمل على تصويب نحو مائتي خطأ من الأخطاء الشائعة ، في هذا المجال ، وكتاب الشذرات ويشتمل على جانب مختار من بحوثه ومحاضراته ومقالاته العلمية والأدبية والفلسفية والقومية .

كما شارك الأمير الشهابي في وضع وتحقيق ألفاظ المعجم العسكري الذي أصدره الجيش بدمشق وكان رئيس اللجنة التي نقلت ألفاظ المعجم إلى العربية

كما أشرف على ترجمة كتاب تطور الزراعة في الشرق الأوسط لمؤلفه الدكتور « كين » إلى اللغة العربية .

أما بحوثه ودراساته ومقالاته فهي أكثر من أن يشار إليها ؛ منها نظرة في كتاب البلاغة الأندلسية لابن العوام ، وأسماء نباتات مشجرة ومصطلحات جيولوجية وأسماء الفصائل النباتية ، وجملة المصطلحات النباتية ومدى التعريب في ألفاظ تصنيف المواليد ، وتأثير العرب والعربية في الفلاحة الأوربية . وقد نشر الكثير من هذه البحوث في مجلة المقتطف ، وأعمال المجمع العلمي العربي بدمشق ، والهلال والرسالة والثقافة وغيرها .

حياته وآراؤه العامة :

وقد عاش الأمير الشهابي حياته عيشة هادئة منتظمة ، وكانت أعماله الحكومية مرهقة أغلب الأمر ومع ذلك فقد كان يجد متسعاً من الوقت للمطالعة والتأليف وإلقاء المحاضرات ومتابعة الحركة القومية والاستقلالية في سورية والبلاد العربية ، وكان يقول إنه إذا عاش المرء عيشة منتظمة ، استطاع أن يطالع أو يؤلف بمعدل ساعة أو ساعتين في كل يوم على الأقل ، وذلك مهما تكن مهنته الماشية شاقة : وكذلك استطاع الأمير الشهابي أن يشارك مشاركة فعالة في أعمال المجمع العلمي العربي بدمشق وأن ينشر في مجلته بحوثاً علمية وأدبية ، وأن يضيف إلى لغة الضاد مئات من المصطلحات العلمية ، وأن يؤلف كتباً زراعية فيها دراسات خاصة كثيرة ، ومعجماً فرنسياً عربياً هو نسيج وحده في مصطلحات العلوم الزراعية والاحيائية والمواليد الثلاثة واستطاع كذلك أن يشارك مشاركة فعالة خصبة في أعمال مجمع اللغة العربية في القاهرة . وقد جاء إلى القاهرة عدة مرات ، وفي كل سفرة تكون محاضراته في النوادي ومقالاته في المجلات والجرائد زينة لهذه

وتلك وكان في مقالاته العامة متابعاً الحركات العلمية والأدبية وداعية إلى القومية العربية وتضامن الدول العربية واتحادها وقد نال بذلك شهرة في مصر تعدل شهرته في سورية . كذلك رحل إلى بغداد عدة مرات بدعوة من وزارة المعارف العراقية حيث ألقى عدداً من المحاضرات العامة فيا هو بسبيله من نشر للمعرفة في أرفع صورها ثم عرفته أبهاء القاهرة مرة أخرى منذ انتخب عضواً مراسلاً ثم عضواً عاملاً في مجمعنا . وإذا بصوته الجهوري يجلجل في ردهاته ومجالسه مدافعاً لا يلين عن قضية يرى فيها الحق أو الصواب فلا يجانبه أبداً ويعتبر الأمير الشهابي من أقدم الدعاة إلى إنشاء جامعة الدول العربية . وأن تسير الدول العربية تدريجياً نحو الاتحاد فالوحدة وقد كتب في ذلك قبل إنشاء الجامعة العربية ببضع عشرة سنة .

وكان يقول ان نهضتنا الحديثة يجب أن تؤسس على القومية العربية ، وان تشمل العرب والمستعربين ، وأن العربي في رأيه من تكلم العربية وأراد أن يكون عربياً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان من رأيه أن الحكم البرلماني مظهر من مظاهر الاستقلال وعنوان لسيادة الأمة ومن الخير أن نقبل الحكم الديمقراطي والحياة النيابية ، بشرط أن نضمن انتخاب شيوخ ونواب مثقفين عارفين بواجباتهم يقدمون المصلحة العامة على المصلحة الفردية . وكان عدواً للاستعمار والمستعمرين ، ويرى أن معظم الحروب الحديثة من جناياتهم ، وألف كتاب الاستعمار ، لدحض نظرياتهم ، وبيان أضرارهم في المجتمع البشري .

وكذلك كان الأمير الشهابي من الداعين إلى القومية الوثيقة ، ووجوب حصر جهودنا في نطاقنا العربي خدمة للانسانية كلها ، وليس من رأيه تفكيك عرى القومية عندنا بفكرة الدعوة إلى الإنسانية الشاملة مادام الغربيون الأقوياء يربون أبناءهم ويسيرون في معاملتهم للشعوب النامية على مبادىء

القومية المتطرفة ، بل والعنصرية أحياناً ، وعلى قواعد الاثرة والاستعمار وعلى ذلك فمن رأيه أن مثالية النظرة الإنسانية لا تناسب شعوبنا التي قصاراها الدفاع عن كيانها واستقلالها . وقد لخص رأيه في كتابة القومية العربية بقوله « ليست القومية العربية فلسفة قومية ضيقة ، ولا مذهباً محدوداً ، قوامه الأثرة والتعصب أو البغضاء ، بل هي فلسفة اجتماعية مثالية بناءة تقدمية ، تدعو كل عربي إلى محبة أمته العربية ووطنه العربي ، وإلى الاعتزاز بماضي هذه الأمة ، وإلى العمل التقدمي لحاضرها ومستقبلها كما تدعو إلى محبة الإنسانية وخير البشرية ، وحق كل شعب في تقرير مصيره .

وقد دعا الأمير الشهابي وعمل جاهداً على نشر التعليم العام والتعليم الفني خاصة ، وتعليم المرأة ، ورفع الحجاب ، مع الاحتفاظ بعاداتنا العربية والتعصب للغتنا وعاداتنا وثقافتنا ، واقتباس العلوم والمخترعات الحديثة والسير في جميع أعمالنا على الأسلوب العلمي القويم ، وكان يسفه في مقالاته ومحاضراته الذين لا يأخذون من المدنية الأوربية إلا قشورها دون ألبابها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا مراء في أن الأمير الشهابي من أعاظم المثقفين العرب في هذا العصر ، ومن أغزرهم اطلاعاً على العلوم قديمها وحديثها ومن أكثر رجالات العصر الحاضر تجارب في الحكم والوزارة والسياسة وتدل كتاباته على أنه مطبوع على الأدب ، قرأ أمهات الكتب الأدبية قراءة دراسة وتدبر ، كما قرأ في إمعان كتب أكبر الأدباء الفرنسيين ، ولذلك فانه يعد مثال المثقف بالثقافتين العربية والاوربية وقد اتسمت كتاباته بالأدب الرفيع ، وعد من الكتاب المبرزين كما اشتهر بأنه من أفصح الكتاب وأقدرهم على معالجة الموضوعات العلمية بالأسلوب العلمي السهل الواضح فهو بلا شك أحد علمائنا الأدباء أو أدبائنا العلماء فقد جمع بين العلم والأدب ، ولذلك سماه شاعر القطرين العالم الأديب ، وقالت عنه الآنسة « مي » ، إنها ما استمعت مرة إلى بحوثه

ودراساته العلمية والأدبية والفلسفية إلا وتمثلت لها ، وحدة الوجود ، ولا شك أن الذي يطلع على كتابه الشذرات يعجب لبراعته في تناول موضوعات فلسفية علمية دقيقة وقال فيه خليل مطران بمناسبة إصدار الأمير معجمه :

يا أميراً أهدى إلى لغة الضاد كنوزاً من علمه وبيانه
ذلك المعجم الزراعي قد كان رجاء حققته في أوانه
عمل لا يكاد يقضيه إلا مجمع بالكثير من أعوانه
دمت ذخراً له مآثره في نفع هذا الحمى وفي رفع شأنه

ويقول عنه شكيب ارسلان ، انه لأمير العلماء حقاً ، وعالم الأمراء فعلاً ، واني مع شيخوختي هذه لراض أن انضوي تحت لوائه ، كما انضوى شيوخ الصحابة تحت لواء أسامة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما جلسات مجمعنا ومؤتمراته ، فانها حافلة بعبارات التقدير والثناء والشكر للأمير الشهابي على ما يقدمه من بحوث ودراسات ، وفي ذلك يقول السيد رئيس المجمع في إحدى الجلسات ، إني لأعترف بأن كل ما قدمه الأمير للمجمع وشارك فيه كان خصباً دائماً ونافعاً دائماً ، واني لأكرر له الشكر مع أني أعلم ان السيد الأمير لا يحب الشكر والثناء .

وأجمل القول إن فقيدنا العظيم عالم زراعي ألف في العلوم الزراعية كتباً ثمينة قيمة تعد من أصلح الكتب من نوعها وباحث أضاف إلى لغة الضاد عدداً كبيراً من المصطلحات العلمية وكاتب مفكر له أثره العظيم في النهضة العلمية والأدبية ، ورجل دولة ، خدم سورية ، خدمات عظيمة في الوزارات والمناصب الكبرى التي وليها ، ووطني عظيم في القضية العربية ، ونشر فكرة القومية العربية ومن الرواد الذين عملوا للاستقلال والوحدة ، ومن

الذين أثروا اللغة العربية بالمصطلحات العلمية ، وعملوا على نموها والحفاظ على سلامتها وجعلها لغة العلم . ظل يعمل في هذا المجال زهاء نصف قرن من الزمان ، يزيد في إثرائها لتواكب ركب الحضارة ، حتى قضى وهو يحمل لواء العلم في الرابع عشر من مايو ١٩٦٨ بعد أيام من كتابة مقال لمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، وآخر لمجلة مجمعنا عن رأيه في النسبة للكيمياء ، ومن رياسة آخر جلسة المجمع العلمي العربي بدمشق ، فقدنا فيه عالماً غزير المعرفة ، مترفعاً عن الدنايا ، وسفساف الأمور ، فيه تواضع العظماء ، وعظمة العلماء ومع وداعتـــه قوي الشكيمة لايعرف هوادة إزاء من يزيف الحق أو يجافي الاستقامة .

أيها السادة الكرام ـ أيها الزملاء الخالدون :

لست في حاجة إلى أن أحدثكم عن خلود العلماء في أعمالهم ، وفقيدنا العظيم مثال فريد في الخالدين ، الذين عبروا جسر الحياة في ثقة وإخلاص ، في جد وأدب ، وصبر ومصابرة ، مما يعد مثالاً يحتذى وكأنما أراد لشدة إيمانه ، بحقيقة الموت ، أن يضيء طريق الخلود لخلفائه حتى لايضلوا من بعده أبداً . فكانت هذه الحياة الجادة الخصبة النافعة ، وكذلك هم العلماء يشترون خلودهم ، بما يقدمون من أعمال ، وما يتركون من نتاج قرائحهم وثمرات أفكارهم ... وهم أشد الناس إيماناً بأن الموت غاية كل حي ، وان كل نفس ذائقـــة الموت ، وانه « فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون » .

ولكأني بفقيدنا العظيم ، يعيد سيرة نفر كريم من العلماء العرب القدامى من أمثال ابن الهيثم والبيروني والبغدادي الذين كانوا يستغلون بعلمهم ، ويزهدون

في الترف والسلطان ، ويعزفون عن الدنايا والصغائر ... فقال ابن الهيثم قولته المشهورة عندما رد لأحد الأمراء ما كان قد دفعه أجراً لتعليمه ، قائلاً : « خذ أموالك بأسرها فلا حاجة بي إليها ، ولعلك أحوج إليها مني عندما تعود إلى ملكك ومسقط رأسك ، يكفيني قوت يوم » ورد البيروني للسلطان ما أرسله من جمال تنوء بأحمالها من نقود الفضة قائلاً : إنه إنما يخدم العلم للعلم ، كذلك فعل البغدادي أيام صلاح الدين الأيوبي حين قال إن العالم الحق يُسعى إليه وإذا اشتهر المرء بعلمه وخلقه سُعي إليه ، وأتته الدنيا صاغرة وعرضه ودينه مصون .

ذلك هو فقيدنا العظيم واحد من هذه العصبة الكريمة الخالدة من العلماء أعترف بعجزي عن إيفائه حقه من التأبين الكريم ، وإن هذه الدراسة العجلى قاصرة عن الإحاطة بأعماله والتعريف بإنتاجه الفكري والعلمي والأدبي وإني لأستشعر ضآلة ما قدمت بالنسبة لما كان مقرراً أن يقدمه أستاذنا الزميل الكبير المرحوم الأستاذ الزيات ، الذي كان قد اختاره المجمع لإلقاء كلمة التأبين ، ولكن يد القدر كانت أسرع إليه ففقد مجمعنا عالمين من أعلامه في أقل من شهر من الزمان . فواهاً للمجمعيين مما يرزأهم به القدر حيناً بعد آخر ، وإذا كانت قلوب الأصدقاء قبوراً حية لأصدقائهم الذين يختارهم الله فوالهفي على قلوب المجمعيين من احتمال فقد هذه العصبة الكريمة من أولي العزم من الأصدقاء العلماء الخالدين .

نسأل الله أن يلهمنا جميعاً الصبر ، وأن يعوض أمة العرب خيراً .

والسلام عليكم ورحمة الله

الدكتور عبد الحليم منتصر

فقيد المجمعين : الأمير مصطفى الشهابي

كلمة الدكتور حسني سبح رئيس مجمع اللغة العربية

إني باسم مجمع اللغة العربية بدمشق أتقدم بالشكر الجزيل إلى مجمع اللغة العربية في القاهرة لإقامة هذا الحفل التأبيني ، إحياء لذكرى فقيد العروبة ولغة الضاد المرحوم الأمير مصطفى الشهابي تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته وأحسن عزاءنا به جميعاً .

وبعد ، فانه لما يحز في النفس ويدعـو إلى بالغ الأسى ، أن يقف المرء هذا الموقف الحزين ليرثي صديقاً وفياً له وزميلاً كريماً عليه ، أبلى أحسن البلاء في إعلاء شأن أمته وتوطيد دعائم وحدتها . وبذل أقصى الجهد في خدمة لغة القرآن الكريم وإغنائها ، وأنفق العمر كله يعمل على إمدادها بالكثير من المصطلحات العلمية حتى تكون هذه اللغة مواكبة للعصر الحضاري الذي نعيش فيه ، غير مقصرة عنه ومتهيأة لتواكب العصور الحضارية التي يستقبلها العالم .

لقد ربطتني بهـذا الصديق الوفي والزميل الكريم أوثق الروابط منذ عهد بعيد ، فكان لزاماً عليّ أن أقوم هذا المقام في أداء الواجب نحوه وإيفاء ذكراه حقها من التمجيد والتقدير فأتحدث إليكم عن أطراف من معرفتي به طيلة هذه السنين المتصلات التي زاملته فيها وآخيته بحكم ماكان من عملي في الجـامعة والمجمع وما كان من عمله في الوزارات التي وليهـا والمجمع الذي آلت رياسته إليه .

ويعذرني الزملاء المجمعيون والاخوان المستمعون شهود هـذا الحفل إذا أنا تجاوزت المآثر الكثيرة لفقيد المجمعين ، فقد كفاني هذه المؤونة زميلي

الدكتور عدنان الخطيب بالكتاب الذي أصدره باسم مجمع اللغة العربية في دمشق إحياء لذكرى رئيسه المرحوم . فقد ترجم له ترجمة حافلة معدداً ماقام به من جلائل الأعمال وما تركه من خالد الآثار ، وما دبجه من بارع المقالات والمؤلفات وما ألقاه من محاضرات وما أوسد إليه من مناصب رفيعـــة في الدولة ، فأوفى بذلك الرئيس الراحل حقه ولم يترك زيادة لمستزيد .

لقد كانت أولى معرفتي بفقيدنا الراحل عن طريق ماكان يكتبه من مقالات علمية ولغوية وأدبية في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق وفي مجلة المقتطف في القاهرة ، وكانت كلها تشهد له بالمكان الرفيع الذي ارتقى إليه علماً ولغة وأدباً ، ولم يتح لي أن ألتقي به وجهاً لوجه إلا سنة ١٩٣٦ عندما كان وزيراً لمعارف الدولة السورية ، فقــد استدعاني إلى مكتبه في قصر الحكومة مستفسراً عن بعض أمور الجامعة وكلية الطب خاصة ، فأكبرت فيه حسن اطلاعه مع حداثة عهده بالكثير من الأمور الفنية الجامعية وسير التدريس فيها ، ثم كان لقائي الثاني سنة ١٩٤٣ عندما كان وزيراً للمالية وكنت رئيساً للجامعة السورية (جامعة دمشق الآن) وذلك للبحث في موازنة الجامعة ، فسرني أن رأيت فيه طرازاً جديداً من القيمين على بيت المال غير الذين وصفهم المرحوم فارس الخوري في كتابه (علم المالية) نقلاً عن أحد علماء الغرب بقوله : على رب المال أن يكون فظاً غليظ القلب صدِئاً . إذ أبدى تفهماً عميقاً لحاجات الجامعة وما ينبغي أن تزود به من مال كي تؤدي رسالتها على أحسن وجه . وتمدد اللقاء بعدئذ وتوثقت الصلات إلى أن كان أحد المزكين لترشيحي وانتخابي عضواً في المجمـــع العلمي بدمشق سنة ١٩٤٦ وسرعان ما أتبع ذلك باقتراح انتخابي في مجمعكم الموقر عضواً مراسلاً سنة ١٩٦٥ .

ورافقته مرة في السفر من دمشق إلى بيروت لشهود أحد المهرجانات الأدبية فيها فلم أشعر بطول الطريق بما أمتعني به من عذب الحديث كان يتنقل فيه في فنون الأدب والشعر والعلم . . وحين أطل علينا جبل حرمون الذي يعرف بجبل الشيخ راودته ذكريات صباه لأن بلدة حاصبيا ، وهي مسقط رأسه ، تقع في السفح الغربي من الجبل المذكور فانطلق يردد كثيراً من الشعر الفصيح والعامي الذي يصف هذه المنطقة وما حباها الله من جمال وما جبل عليه أهلها من كرم ومزايا .

وعندما أحيل إلى المعاش استقر به المقام في دمشق بعد أن تكاثرت أسفاره في الأعمال المختلفة التي وكلت إليه محافظاً في اللاذقية وسفيراً في القاهرة ، وتسلم نيابة رئيس المجمع ثم رئاسة المجمع في دمشق ، كثر ترددي عليه في منزله فكانت زياراتي له أسبوعية تقريباً لأشرف على صحته التالية وأواسيه فيما أصابه وأخفف عنه بعض مايعانيه . وما كان لطبيب عصرنا هذا أن يقتصر في طبه على تشخيص المرض ومضاعفاته بالاستناد إلى خبرته وإلى ما أتحفه به العلم من وسائل تتكامل وتتطور يوماً بعد يوم ، ولا في علاجه على العقّارات من قديمة وحديثة تكاد تتجدد شهراً بعد شهر ، بل عليه أن يستقصي نفس عليله ويسبر غورها وينفذ إلى أعماقها حتى يكون طبه ناجعاً ، إذ لابد من دعم الطب المادي بطب نفساني لا مندحة له من الركون اليه .

ولا أذيع سراً مهنياً إذا قلت ان ما أصاب رئيسنا الراحل من داء حلو مر ، حلو اسماً ومر قولاً وفعلاً ، قد تغلغل في صميم بدنه لم يوفر عضواً من أعضائه ولا نسيجاً من نسجه ، اللهم إلا تلك النفس الكبيرة والشيمة التي لم يجد المرض إليها سبيلاً فنجت من وبلاته وظلت سليمة مصانة كأن البدن الذي يحويها ما يزال في ريعان الشباب . فلم يمنعه وقد اشتدت وطأة الداء

عليـــه في الأشهر الأخيرة ، من ممارسة عمله اليومي في المطالعـــة والمراجعة والكتابة والتأليف ، إلى جانب اهتمامه البالغ بواقع البلاد العربية وتألمه أشد الألم لما آلت إليه حالة الوطن الكبير من انفصام عرى الوحدة ، ثم من نكبة العدوان . وكان لا يفتأ يفكر ويتحدث عن السبيل إلى كشف الغمة ، والطريق إلى جمع كلمة الأمة ، هذا إلى سوانح لغوية كان يقيدها وشوارد يسجلها وملاحظات على حركة المصطلحات العلمية يناقش فيها .

ولم يكن ذلك كله يفت في عضده ، وإنما كنت أسمعه في زياراتي المتواصلة يردد القـــول الفرنسي : Il faut prendre la vie telle qu'elle est علينا أن نتقبل الحياة على علاتها ، وكأنه غير متزعزع ولا متذمر ولا متململ من كل ما ألم به .

وما زرته مرة إلا وألفيته منكباً على مكتبه وأكداس الكتب عن يمينه وشماله ، وإذا ما ألح عليه طارىء جديد وألزمه الفراش رأيت بعض كتبه ملازمة له فلا تفوته سانحة دون أن يركن فيها إلى المطالعة التي كانت سلواه المفضلة .

قلت ان نفسه العظيمة لم تطاوع بدنه في التنواء تحت وطأة الداء بل تمردت عليه وتمنعت فسلمت مما أصابــــه ونجت من ويلات الداء فلم يتطرق اليها الخور ولا الإعياء ، لذا لم يتوقف عن إنتاجه الفكري بل ظل مستمراً ، مستمداً من ذلك المعين الذي لا ينضب من المعرفة ، حتى التنفّس الأخير ، ووالى الإشراف على شؤون المجمع العلمية والادارية ، وكان اذا ما تعـذر عليه ترؤس الاجتماعات الأسبوعية للجنة الادارية في المجمع دعاها إلى الانعقاد في داره فلا يترك شاردة ولا واردة دون أن يناقشها .

ذلك هو الانسان الكامل وذلك هو العالم العامل ، وذاك ما عرفته فيه ورأيته منه . رحم الله فقيد المجمعين زميلنا الراحل وأسكنه فسيح جناته وعوض العربية من ينهض بها مثل نهوضه . وألهمنا وآله جميل الصبر والعزاء .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصيدة للأستاذ عزيز أباظة

نبا عنا العزاء أبا «لبيبٍ» ... غداةَ نعتْك للشرق النواعي
ومثلُك ـ أين مثلُك ـ يوم يودي ... يحسُّ الخلقُ بالكنز المُضاع
وبات الفاقدون كأن ليلا ... تردّوا في دجاه بلا شعاع
وصحبُك ـ بالصحيبِ ـ روّعتهم ... نواك. وكلُّ وصلٍ لانقطاع
هو الموتُ الذي لا تتّقيه ... سرى فينا أذاه مع الرّضاع
إذا ما كرَّ أعجز كلَّ فرٍّ ... وحطَّ من البطاء إلى السِّراع
فليس تقيك شامخةُ الرواسي ... ولا تحميك باذخةُ القِلاع
ومن لم تطوه اليومَ المنايا ... فمن آتيه في غده سواع
وبين اثنين نحن فذو مُضيٍّ ... إلى السفر البعيد وذو زماع
ولم يرجع فينبأنا مُنبِّئٌ ... أذو ضيقٍ ثراه أم اتّساع
وهل لقيت لذيذَ الرَّوْحِ روحٌ ... دعاها من طوايا الغيب داعِ
وهل وقعتْ على ألمٍ مَضيضٍ ... بما نهلته من رشق المتاع
وهل تتلو وهل وتسوق أخرى ... يقُدْن زمامَ أسئلةٍ تِباع
سيمحو العلمُ عن علمٍ ويبقى ... على زحف الدهور قصيرَ باع
وحسبُ الخلقِ أن اللهَ لاقٍ ... ذنوبَهم برحمات وِساع

★ ★ ★

مضى شيخُ الثِّقاتِ وفي يديه ... بقايا للطروس وللـيراع
سعى للضاد مُحتشدَ المساعي ... فما أسماها. مسعىً وساع
وقارعَ كلَّ ذي ضغنٍ عليها ... بماضي المتن مرهوبَ القِراع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وزاد بمنطقِ العلماء عنهـا	كنورِ الصبحِ مؤتلقِ الشعاع
وطوَّعها لحاجات المعـاني	فأبدع ثَمَّ في غيرِ ابتـداع
وقرَّبها إلى العلماء روْضـاً	سخيَّ النَّبْتِ منضورَ المراعي
وورْداً دافقَ الدُفَّاعِ ذَلَّت	مصادرُه لهم بعد امتنـــاع
معاجمُ صاغها فرداً فأغنى	بهن غَناءَ جَمْعٍ واجتماع
جلاها خيرَ ماتُجلى عروسُ	عميقُ دراسةٍ وطويـلُ باع
ووصَّلها بماضيهـا وكانت	إلى أن راضها ذاتَ انقطـاع
عجبتُ لحاقدين عدوْا عليها	ومِلْءُ نفوسِهم أشَرُ الضِّباع
رموْها غير مدَّخرين وُسْعاً	لقد زلوا على أمرٍ مطـــاع
وكانوا أمسِ يُخفون الطوايا	على وَغْرٍ بموشِيِّ الخِـداع
فصالوا اليومَ بالرأي المُشاعِ	وبالخبرِ المُذاعِ بلا قِنـــاع
إذا استقووْا فإن الحقَّ أقوى	وأبقى والسرابُ إلى انقشاع
تعالى اللهُ كالئُها وواقٍ	وحارسهـــا وراعٍ أيُّ راع

★ ★ ★

أيا ابنَ الـكابرينَ بنوا فأعلوْا	صروحَ المجدِ باذخةَ اليَفــاع
قُرَيشِيِّين يقصُر عن مداهم	وباعِهِم المُرجَّبِ كلُّ باع
علت بكم من العِرْقِ المُصفّى	مساعٍ لاتُطـاولها مساع
وأورثَـكم مفاخِرَهُ عتيقُ	من الأبْيات مقصودُ الرِّباع
فنشَّأكم على خلُقٍ ودينٍ	وإسداءِ الجميلِ والاصْطناع
ومن ورِثَ السموقَ وكان أهلاً	له ضمَّ ارتفاعاً لارتفــاع
وجرَّ لقومه رسَّ المعـالي	وزاد فنال غيرَ المستطـــاع
نهضتم بالعروبة مذ صباكم	بدريِّ التـدافعِ والدفاع
وبين السابقين الصِّيدِ كنتم	رجالَ السيف منهم واليراع
ألم يُقتل أخوك شهيدَ رأيٍ	فأعلت روحُه روحَ الصراع

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فهبت أمةٌ . وصحت ثنورٌ … وطار لظى اليفاع إلى التلاع
وكنت لعارفٍ(١) هارونَ تَمْشي … مُخاطرةً شجاعاً عن شجاع
فأينَ اليومَ نحن ؟ لقد زلنا … على حكم انبضاعٍ واتّداع
قطعنا العمرَ بين هوى ولهوٍ … وتشمير النزاع من النزاع
نبيتُ إذا النوازلُ داهمتنا … رُاعيها . ونُصبح لا راعي
ونُلهينا الحياةُ عن الأفاعي … أعادينا . فتلدغُنا الأفاعي
يُداجي بعضُنا بعضاً كأن لم … نكن غَرَضاً لأنيابٍ جياع
ويَغْشانا عــدوُّ الله صفا … وبين صفوفنا عُشُّ الصراع
يواثبنا بعلمٍ عن عيانٍ … ونَدفعه بجهلٍ عن سَماع
ويطرقنا بأفئدةٍ جماعٍ … فنلقاه بأفئدةٍ شعـاع
إذا الهونُ الذي ذقناه أفضى … إلى بعثٍ فعزمٍ فانتفاع
نسيناه وقلنا ربَّ شرٍّ … لخيرٍ وانقطاعٍ لاندفاع
متى نُجمعُ على صفوٍ ورُشدٍ … متى ؟! والحقُّ يؤذن بالضياع

★ ★ ★

بني سوريةَ اعتصموا بصبرٍ … فما رَدَّ القضاء بمُستطاع
مصابُكم بصاحبكم مُلِمٌ … بكلِّ مثقفٍ في العُربِ واع
لئن عاف الحفاوةَ وهو حيٌّ … فقد صَمَدت إليه مع الوَداع

★ ★ ★

نبا عنا العزاءُ أبا « لبيب » … غداةَ نعتك للشَّرْق النواعي
حباك الله من حُلْوِ الدَّماع(٢) بجنَّته ومن طيبِ المتاع

(١) هو الأمير عارف الشهابي شقيق الفقيد الذي أعدم سنة ١٩١٦ في سبيل القضية العربية .
(٢) الدماع : عصير الشجر .

كلمة السيدة ثريا الحافظ

عن أسرة الفقيد الأمير مصطفى الشهابي

حضرات السادة الأكارم :

باسم كريمتي الفقيد ليس ونهلة الشهابي وباسم آل الشهابي عامة أحييكم وأتوجه بخالص آيات الشكر إلى رئيس مجمع اللغة العربية الدكتور طه حسين وإلى أعضاء المجمع الأفاضل وخاصة الدكتور عبد الحليم منتصر الذي أبَّن الفقيد فوفاه حقه ، وإلى الشاعر الكبير الأستاذ عزيز باشا أباظة الذي رثاه بسحر بيانه ورقيق أشعاره وإلى كل من شارك وأسهم في هذا الحفل الكريم بحضوره ومواساته ، سائلة المولى ليمنحكم الصحة والعافية وطول العمر والبقاء وليسبغ على روح الفقيد الغالي الرحمة والخلود .... ولعمري فالخلود غدا ضوءاً لمآثره القومية ومآتيه العلمية ، فقد وهب حياته كلها للعلم والبحث والتأليف حتى استدارت من حوله خصائص العظمة والمفاخر وشملته فأكرمت مثواه وخلدت ذكراه .

ايه : ياروح عمي الحبيب يامن تركت في قلوبنا لوعة لن تجف ، وفي عيوننا دمعة لن تجف ، ان مصر التي أحببتها بكل جوارحك ، مصر التي ناجيتها بأعذب شعر وأصدق عاطفة وأسمى بيان ، لن أنسى صوتك الدافيء بنبراته القوية وكلماته البليغة الفصحى وأنت تلقي علي بعضاً من شعرك في مصر وشدة حبك ووفائك لها ، كنت تقرئني الأبيات وتستعيدها حتى حفظتها . نعم مازالت نبرات ذلك الصوت الجهوري تتجاوب في أصداء سمعي وأعماق نفسي وأنت تقول :

ياساكني مصر لاتنسوا مودتنا ... إن الوفاء لكم أضحى لنادينا
أنتم بنو عمنا فاجفوا بساحكم ... حمراء بالشر تغريكم وتغرينا
ياساكني حمى الأهرام ان لكم ... في القلب ذكرى تناجيها فتحيينا
لله نيلكم المخضل شاطئه ... حاكت سوائله أخلاقكم لينا
هلا أجبتم أخا ود يبثكم ... من قاسيون تحيات المشوقينا

يا روح فقيدنا الغالي اطمئن في مثواك وانعم في جنان الخلد ، لأن مصر الوفية أكرمت اليوم ذكراك ، لا لأنك عضو من أعضاء مجمع اللغة العربية فحسب ، بل لأنك علم من أعلام الأمة العربية جمعاء ـ أمة العرب التي تفخر وتتيه بك وبأمثالك من علمائها وأدبائها العظام والسلام .

***

برقية كريمتي الفقيد الأمير مصطفى الشهابي

مجمع اللغة العربية

اللفتة الكريمة التي سجلها مجمع اللغة العربية الموقر باحياء ذكرى فقيدنا المرحوم الأمير مصطفى الشهابي وطدت في نفوسنا الاعتزاز والوفاء وتلك مأثرة من مآثر العلماء نتقدم بأوفر الشكر ونأسف لعدم تمكننا من حضور الاحتفال أدامكم الله وأبقاكم ذخراً لأبناء أمتنا .

كريمات الفقيد

لميس ونهلة الشهابي

***

كلمة الدكتور حسني سبح[١]

حضرات الزملاء الأفاضل والسادة الكرام

يطيب لي أن أقدم في حفل الاستقبال هذا وجهاً علمياً كريماً من وجوه سورية العربية ، وأستاذاً من أساتذة العلم الحديث الذين يسعدنا أن يكون أمثالهم من الأساتذة بين ظهرانينا . نحن الذين نعيش في عصر الذرة وغزو الفضاء .

إن لغتنا الضادية التي نذرنا النفس لخدمتها والارتقاء بها لتواكب حضارة هذا العصر ، ولتكون في مستوى حضارة العصر المقبل ، بأشد الحاجة إلى عالم مختص في هذا الفرع الجديد من علوم الطبيعة ليتحمل معنا عبء هذا الواجب الكبير ، ولنفيد من معرفته الواسعة في اختصاصه ومشاركته الطيبة في الاختصاصات الأخرى ، وليسهم معنا إسهاماً فعالاً في إغناء لغة القرآن الكريم بما استجد ويستجد من مصطلحات ، وما أكثرها ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

افلا يكون حرياً بنا أن نحتفل إذن هذا المساء باستقبال هذا العامل العالم ؟

ولد السيد وجيه السمان في دمشق سنة ١٩١٣ وتابع دراسته الثانوية فيها ، وكان واحداً من أظهر شبابنا ، لم يتميز باتجاهه العلمي فحسب ، وإنما امتاز كذلك بمشاركته في فروع المعرفة الأخرى الأدبية والاجتماعية .

وقد أتم دراسته العالية في فرنسا ، وكان أول سوري استطاع الالتحاق بالمدرسة المركزية Ecole Centrale وتخرج منها سنة ١٩٣٧ مختصاً بالميكانيكا

---

(١) الكلمة التي ألقاها الدكتور حسني سبح رئيس المجمع في الجلسة التي عقدت مساء الخميس في ٢٣ كانون الثاني ١٩٦٩ لاستقبال العضو العامل الجديد الأستاذ وجيه السمان .

والكهرباء ، وحينما عاد إلى وطنه لم تجد له سلطات الانتداب عملاً يتكافأ واختصاصه ويلتقي مع مؤهلاته فكلف بالتعليم في المدارس الثانوية ، وقبل ذلك مضطراً ودرّس مادة الفيزياء في حلب ثم في دمشق تسعة أعوام ، ألف خلالها ثلاثة كتب في هذه المادة ظل أحدها معتمداً لطلاب الشهادة الثانوية (البكالوريا) مدة اثني عشر عاماً حتى كانت البرامج الجديدة سنة ١٩٥٨

ولما تأسست كلية الهندسة في حلب سنة ١٩٤٦ عين أستاذاً مساعداً فيها ، ثم أصبح عميداً لها حتى سنة ١٩٥٩ ، ولا أزال أذكر زيارتي له مرة في حلب ، عندما كنت رئيساً للجامعة السورية وكلية الهندسة في حلب جزء منها ، الأثر الطيب الذي خلفه في نفسي كعامل عالم وإداري منظم وإنسان يحرص على مثاليته أشد الحرص ، وتتبدى لك غيرته على القيام بعمله بأحسن قيام ، فقد أبلى بلاء مليباً في تأسيس الكلية مع الصعاب الشديدة التي لقيها سواء في إيجاد المدرسين أو في التكوين المخابر واستيفاء تجهيزاتها بالأدوات اللازمة .

ولم يقتصر عمله في تلك السنوات على الاضطلاع بأعباء التدريس والإدارة وانما أسهم في الأعمال الفنية لمشروعين كبيرين : مشروع مرفأ اللاذقية ومشروع جر مياه الفرات إلى حلب .

ودعي إلى الإشراف على شركة الجر والتنوير في دمشق والتي أممت سنة ١٩٥١ وآلت مؤسسة مستقلة فعيّن مديراً لها ، ونهض بأعبائها وأحالها من مؤسسة انتدابية لحماً ودماً إلى مؤسسة عربية الوجه واليد واللسان .

وعين في أواخر عام ١٩٥٧ عضواً في مؤسسة الانماء ، ثم نائباً لرئيسها (وهي مؤسسة تعنى بتصميم مشاريع التنمية وتنفيذها) ثم أسندت

إليه وزارة الصناعة المحدثة عام ١٩٥٨ فقام بتأسيس هذه الوزارة أحسن قيام ، واستمر وزيراً لها ثلاث سنوات حتى أواخر ١٩٦١

وأحيل بعد ذلك إلى التقاعد ، وحرصت كلية الهندسة في جامعة دمشق على الاستفادة من عمله فعهدت اليه بالتدريس بصفة أستاذ محاضر وهو اليوم يتابع جهوده العلمية العربية في المؤسسات المختلفة التي يشرف عليها أو يشارك فيها : فهو عضو في المجلس الأعلى للعلوم منذ تأسيسه عام ١٩٥٩ ، ومقرر لجنة النشر العلمي فيه ، وسبق له أن كلف بالإشراف على إدارته خلال السنوات ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ويرأس جمعية الفيزيائيين السورية والاتحاد العلمي السوري ويدير مجلة العلوم التي تصدر في دمشق .

وإذا تجاوزنا إلى مؤلفاته التي أشرت اليها للمدارس الثانوية ، فإننا نجد السلسلة من الكتب العلمية القيمة التي انطوت على لغة علمية سليمة ، وأداء عربي صحيح ، ومصطلحات علمية جديدة في مثل :

كتاب الصواريخ والأقمار الصناعية وقد طبع عام ١٩٦٢ .

وقصة الذرة وقد طبع ١٩٦٤ .

وكتاب الطاقة الذي ترجمه عن الانكليزية .

وكتاب في مجلدين كبيرين في الكهرباء ترجمه بالاشتراك مع زملائه من جامعة دمشق عام ١٩٦٣ .

هذا عدا عن عديد من البحوث والمقالات العلمية التي نشرت في مجلة المعرفة والعلوم ، وأماليه التي تضم محاضراته في كلية الهندسة والتي لما تطبع بعد .

هذا هو تعريف موجز بالمهندس الأستاذ وجيه السمان الذي نستقبله في هذا الحفل ، وندرك أن انضمامه إلى حلقتنا يسد ثغرة اشتد شعورنا بها ، تتمثل في العناية باللغة العلمية بعلوم هذا العصر ، آملين أن يشتد به أزرنا ، ومقتنعين أنه سيخصص لهذا المجمع الذي يحتضنه بفخر بعضاً من وقته ليسهم معنا في تحقيق غاياته في اقتراح المصطلح العلمي .

إنني باسم مجمع اللغة العربية بدمشق أرحب بك أيها الأستاذ الكبير عضواً جديداً وزميلاً كريماً في مجمعنا تتويجاً لجهودك في التعريب واستكمالاً لهذه الجهود ومتابعة لها .

وفقنا الله إلى ما فيه خير العرب والعروبة في ثقافتها ولغتها وعلومها .

الدكتور حسني سبح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كلمة المهندس الأستاذ وجيه السمان

عن سلفه المرحوم فارس الخوري(١)

سيدي الرئيس ، سادتي

سلام الله عليكم ورحمته ، وتحية عاطرة إلى مجمعكم الكريم معقل اللغة العربية وملاذها ، وقد شارف الخمسين من عمره الحافل بخدمة هذه اللغة ، لغة القرآن الكريم ، لغة المدنية العربية ذات التاريخ المجيد الطويل والحكمة الواسعة والمجد التليد ، ذات الأدب الرفيع في نثره وشعره ، لغة حضارة لمعت دهراً بأسطع بريق ، وسادت وسيطرت وانفردت بمكانتها السامية أمداً مديداً .

لقد وكل إليكم ياسادتي أمر الذود عن تراث هذه اللغة وتقاليدها وقواعدها وإحياء علومها وجمع ماتفرق منها في بطون المكتبات في مختلف أنحاء العالم ونشر كنوزها الدفينة واستيلادها بكل جديد تحتاجه على مر الأيام وتجدد العصور ، وإعادة نضارتها وبهائها كلما اغبر ثوبها أو ضاق عن استيعاب مولدات الحضارة الحديثة . فيالها من مهمة كبرى ورسالة عظيمة تقومون بها على قلة في العَدد والعُدد .

إن أبناء الأمة ينظرون إليكم بنظر الإكبار والإجلال والتقدير . فخليق بمن أوليتموه مثلي شرف الضم إلى ناديكم والانتساب إلى مجمعكم أن يكبر لكم هذه اليد وأن يعمل جاهداً بقسطه من الواجب لتحقيق ماوُضع في هذا المجمع من أمان وآمال . فاسمحوا لي أن أثبت لكم هنا شكري الخالص الذي لا أجد برهاناً عليه سوى صدق العزيمة في خدمة هذا المجمع ، والعمل على تحقيق أهدافه السامية بما أستطيع من قوة وعزم .

(١) الكلمة التي ألقاها المهندس الأستاذ وجيه السمان مساء الخميس في ٢٣ كانون الثاني ١٩٦٩ في حفلة استقباله في مجمع اللغة العربية بدمشق .

ويقضي واجب الإخلاص أن أرسل من موقفي هذا تحية الخلف المعترف بالفضل إلى أعضاء المجمع الراحلين الذين سبقوا بأداء الرسالة ، وكان لهم شرف وضع أسس هذه المؤسسة والنهوض بها ، وأخص منهم الرئيس الراحل الأمير مصطفى الشهابي صاحب الأيدي البيضاء ، تغمده الله وإخوانه برحمته وأحسن لهم الجزاء على ما أسدّوه من خير وحسن صنيع ، وجعل لنا في خلفهم الرئيس الحالي وإخوانه الأعضاء أفضل العيوض .

مهمتي اليوم أيها السادة جد شاقة . يدعوني الواجب إلى الكلام عن العلامة المرحوم فارس الخوري ، العضو الراحل الذي تفضلتم بدعوتي لشغل المقعد الذي خلا بوفاته . وفارسنا من النوابغ الذين لا يجود الدهر بأمثالهم على أمة من الأمم إلا في الندر . وإن من يتأمل في حياته الحافلة الطويلة العريضة وفي أعماله ومآثره العديدة الكبيرة ، يدهش من غناها وازدخارها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان رحمه الله متعدد الشخصيات ، كأنما تجمعت في شخصه عدة رجال نابهين عبقريين . متنوع النشاط رفيعه ، زاخر المعرفة جيدها ، كأنما يغرف من بحر ، موهوباً موفقاً . فهو الطالب النجيب العصامي الذي لا يعول إلا على نفسه في كسب القوت وتدبير وسائله ، ثم هو الأستاذ المجيد والخطيب الفصيح البليغ والكاتب والشاعر المطبوع والسياسي الحاذق ورجل المجالس النيابية ورجل الدولة ، ثم هو فارس منتديات السياسة ، المدافع عن حقوق أمته وبلاده أمام جهابذة القانون الدولي ونوابغ الساسة . وهو أستاذ القانون القدير المعجب والمستشار الحقوقي الماهر والاقتصادي الناجح والمفاوض البارع ورجل الأزمات يلجأ إليه عند كل ملمة وخطب ، ثم السياسي العالمي تفتحت أمامه ميادين الامم المتحدة ومجلس الأمن واللجنة القانونية

فبرز وجلى ، وكان في كل ذلك موضع الإعجاب والإكبار والتقدير من كل من عرفوه أو سمعوه .

إن حياة كحياته مديدة في الزمن ، حافلة بالأعمال المجيدة ، ودعت في ثلثها الأول القرن الماضي وعاصرت بل عايشت في ثلثيها الأخيرين هذا القرن ، وشهدت كثيراً من الأحداث الجسام ، فلم تقف منها موقف المتفرج ، بل كان لها دورها الجلل في خدمة بلادها وخدمة العروبة ، وكان لها القدح المعلى في ميدان السياسة المالية ... إن هذه الحياة الطافحة بجسيم الأعمال لأعظم من أن توفى حقها في مثل هذا الموقف وفي أمد محدود حدود هذه الأمسية . لقد ألفت في سيرة فارسنا الكتب وحبرت المقالات ، وأعتقد أنه لايزال ثمة مايكتب عنه .

كان رحمه الله موهوباً في اللغات ، يتعلم اللغات الأجنبية بلا معلم فيتقنها ويصبح فيها خطيباً . تعلم اللغة التركية في شبابه ليتسلح بها في نضاله السياسي أيام الحكم العثماني . فانتسب إلى جمعية الاتحاد والترقي ، ثم رشح نفسه للنيابة في مجلس المبعوثان ولما فاز بالنيابة وأقام في القسطنطينية انكب على تحسين لغته التركية حتى صار يخطب بها بذلاقة لسان وفصاحة بيان وثبت جنان . وكانت له مواقف جرأة مشرفة مع زعماء الأتراك دافع فيها عن القضايا العربية خير دفاع ، ولا سيما عن جماعة الأحرار الذين سجنوا أيام الحرب العالمية الأولى بتهمة الثورة على الحكم التركي والعمل على التخلص منه ثم سيقوا إلى المشانق .

وفي إبان تمدمه التركية أخذ يهتم بالفرنسية لتكون له لغة المجتمعات الراقية ، ثم استفاد من إتقانه لها في عهد الانتداب الفرنسي فصار يخاطب الحكام الفرنسيين ويناقشهم ويخطبهم بالفرنسية في المناسبات السياسية ، في سورية أو في فرنسا مدافعاً عن حقوق بلاده .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

وتعلم الإنكليزية في صباه وفي شبابه في مدارس الإرساليات وفي الجامعة الأميركية ، وظل طول حياته يزيد ما تعلمه منها عمقاً وإتقاناً . فمكنه هذا الإتقان ، مع ما فيه من صفات الخطيب الكبير ، من البروز في محافل السياسة العالمية . وأعانته طلاقة لسانه بالإنكليزية ، مع حضور بديهته وتوقد ذهنه وعلمه الغزير وحفظه الكثير ، فارتقى إلى مراتب كبار الساسة والخطباء العالميين . فكان له في قاعات الأمم المتحدة ، ومجلس الأمن والمؤتمرات السياسية مواقف بيان مشهورة أكسبته تقدير أكبر الساسة في العالم ولفتت إليه الأنظار فأدّى أجل الخدمات لسورية ولبنان ومصر وفلسطين . وقد كان بيانه القوي قميناً بأن يجعله يفوز في ترجيح جانب الحق في جميع القضايا التي دافع عنها ، لو أن حسن البيان وقوة الحجة واللباقة ، كانت تكفي وحدها لإحقاق الحق دون أن تدعمها قوة السلاح الفاتحة . ولكن قوى الشر كانت أحياناً أكبر من أن يغلبها جلاء الحق وسحر البيان .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

إزاء إتقانه لهذه اللغات الثلاث ، كان نصيب اللغة العربية ، لغة آبائه وأجداده ، لغة قومه وإخوانه ، من العناية والتهذيب والمطالعة والمراجعة والحفظ النصيب الأسمى وحظها الحظ الأوفر . فأتقنها أيما إتقان ، وظل طول حياته يتعهدها بالمراجعة والحفظ . فبدأ بالقرآن الكريم ودرسه بتفاسيره حتى صار حجة في التفسير ، ودرس الحديث النبوي الشريف في أمهات كتب الحديث ، وحفظ منها الشيء الكثير ، فكان يستشهد به في أحاديثه ودروسه وخطبه ، ودرس التاريخ العربي والأدب العربي والشعر العربي ونوادر العرب ودواوينهم ومآثرهم ، حتى قال عنه الأستاذ محمد علي الطاهر أنه « الأصمعي وابن الأثير وابن خلدون في آن واحد ... وأنه سحبان زمانه ولقمان دهره . فإذا دار البحث حول اللغة العربية فهو إمامها والذائد عن حرمها وحياضها . وإذا كان الكلام على الشعر فهو الشاعر والحافظ والراوية ... »

راض فارسنا الشعر كما راض الخطابة والكتابة والتأليف ، وكما راض في حياته كثيراً من الأمور بمقدرته الفائقة على معالجة الأشياء باتقان وروية وعلم وحسن بصيرة . فسلست له قيادته وانقاد له طوعاً . وأسعفته في النظم قريحة فياضة غزيرة الدر ، فجاء بقصائد مطولة من أحسن ما يمكن أن يصدر عن شاعر موهوب تجيش نفسه بالشعر ولا يتعاطى شيئاً سوى قرضه . ولو أنه أراد لأصبح من كبار الشعراء فما كانت تعوزه صفة ولا وسيلة ليكون كذلك ولكن عبقريته المتحفزة الطامحة لا تقنع بلون واحد من ألوان النشاط والفعالية مها علت مكانته فيها ، ولا تكتفي بقطف ثمرة أو ثمرتين من نتاج حقلها الخصب المزدحم بمختلف أنواع الثمار . فلم يشأ أن يكون الشعر وسيلته الوحيدة في التعبير عما يعتلج في صدره ويزدحم في خاطره ، بل تركه للإفصاح عن مشاعره وأحاسيسه الوجدانية أمام المناسبات الكبيرة والحوادث الجسام كما يليق بالشعر أن يكون وبقدره ليكرم . فنظم في مناسبات الأحداث القومية والدولية والاحتفالات السياسية والأدبية قصائد مطولات ... في حرب الروس واليابان وإعدام شهداء أيار ١٩١٦ وللسلام على الجموع التي خرجت لاستقباله وإخوانه عند عودتهم من المنفى عام ١٩٢٨ . وألقى قصائد بديعة في مناسبات التكريم والتأبين ، وأذكر له في قصيدته التي قالها في مهرجان تكريم شاعر النيل المرحوم حافظ ابراهيم عام ١٩٢٩ ، وأقيم في هذه الدار العامرة وصفه لنفسه :

وإني إذا قارعت خصماً قرعته ... وخصمي من أسد البيان هصورها
فلي من جناني جرأة لا تخونني ... ولي من بياني حجة لا أعيرها
أطـاعن حسادي بسن يراعة ... يئز صليل المرهفات صريرها

ومن محاسنه الشعرية مرثيته لشهداء أيار . قال فيها :

كان التجلد في البلوى يؤاتيني ... فما له حين أدعو لا يلبيني
ضاق الفؤاد بآلام تبرحني ... وفاجعات بنار الوجد تكويني
وطارد الهمّ عن عيني الرقاد وهل ... تنام مقلة موتور ومغبون

. . . .

أبكي على أمة لج الشقاء بها ... تجري إلى طالع بالبؤس مقرون
ولى الزمان عليها كل معتسف ... من طينة البغي والطغيان معجون
من معشر جعلوا جلّى مفاخرهم ... منهاج جنكيز أو أنماط نيرون
لاحت لهم فرصة في العرب سانحة ... فنكلوا واستباحوا كل قانون
دسوا لنا كل مفتر بعيث بنا ... نهباً ويرجع في أموال قارون

ومما أضاف إليها في حفلة ذكرى الشهداء عام ١٩٢٥ ، وذكر حاله في السجن إبّان محاكمة الشهداء وإعدامهم :

بكيتهم وجدار السجن يحدق بي ... وعين حافظه بالشزر ترميني
وصاحب الحكم يمليه لكاتبه ... وناصب الحبل في الميدان يدعوني
الحظ قدمهم عني وأخرني ... حتى أرى دول التاميز والسين
تسدي الوعود بتحقيق العهود لنا ... عن كل حق بالاستقلال مضمون

حفظ فارسنا كثيراً من شعر العرب ، ولا سيما شعر المتنبي . وكان لا يرضيه من الشعر إلاّ ما هو عالي الطبقة رفيعها . والشعر ابن المرانة والمثابرة . وقد حالت الحياة بينه وبين أن يثابر على ما أحب منه .

كان ميدان الخطابة من أهم الميادين التي برز فيها فارسنا وجلى . بل يكاد يكون أهمها جميعاً . لم تقتصر عبقريته على الخطابة باللغة العربية وحدها ،

بل أجاد في كل لغة خطب بها من تركية أو فرنسية أو انكليزية ... وقد أدرك ذروة الإجادة في خطبه باللغة الانكليزية حينما انفسحت أمامه منصات الخطابة في قاعات الأمم المتحدة ومجلس الأمن . إن النجاح الذي لقيته كلماته البليغة التي ألقاها هنالك في المناسبات الكبرى كالدفاع عن مطالب سورية ولبنان في جلاء الجيشين الانكليزي والفرنسي عنها ، والدفاع عن مطالب مصر في جلاء الانكليز عن وادي النيل ، ثم دفاعه الطويل عن عروبة فلسطين ، كان منقطع النظائر وأثار في حينه عطف العالم أجمع ما خلا الأعداء ، وكان له أطيب الأثر في نفوس السامعين من ممثلي مختلف الدول . وأعجب المصريون أيما إعجاب ببيانه الساحر وحججه الدامغة التي أوردها في دفاعه عن قضيتهم ، فقدموا له شكرهم بمختلف الوسائل من تصريحات رسمية وكتب شكر وإهداء أوسمة تقدرية . وامتلأت الصحف العربية بذكر فارسنا وفارسهم وامتداح عبقريته البيانية ، فقال عنه الكاتب العربي الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد :

http://Archivebeta.Sakhrit.com

« إنه من أصحاب عبقرية البيان في أرفع طراز عرف به خطيب من خطباء هذا الزمان . فاقتياد أعنة الكلام ، ولو في لسان غير لسانه العربي ، سليقة فيه منذ صباه إلى أيام كهولته وشيخوخته . »

لعبقرية البيان هذه عند فارسنا عناصر عديدة يجدر بنا أن نقف عندها قليلاً : لم يكن 'بعيد' خطباً مكتوبة ليتلوها تلاوة كما يفعل الكثير ، بل كان يهيء موضوعه ويتمثله ويكتب له خلاصة بسيطة يضعها بين يديه . وكان عند الإلقاء يوسع هذه الخلاصة بما حفظ وهيأ من الموضوع ، ويطورها ويكسوها الكساء المناسب الذي يتفق مع ظرف الساعة وجو السامعين والروح المرفرف على القاعة . وربما بدل ما كان ينوي أن يقول واستبدل به قولاً آخر . لذلك فإن عبقريته البيانية تستمد كثيراً من روحها من نفوس

سامعيها في عالم العيان . فهو يستنبط ما يريد أن يقول حين تتلاقى الحياة بالحياة ولا يولد بيانه للاتصال به في عالم الفكر المجرد أو من وراء حجاب .

أعانه على قوته الخطابية ذاكرة قوية وبديهة حاضرة وهـدوء وحِلم يمكنانه من رباطة الجأش عند حاجتـه إلى التفكير ، فلا يطيش سهمه ولا ينال العيي منه عند الأزمات . ولا ريب في أن خبرته الطويلة في تدريس الحقوق وفي إدارة جلسات المجلس النيابي قد ساعدت على تقوية هذه الصفات في نفسه .

وإذا ذكرنا محاضراته في معهد الحقوق ، ذكرنا ذلك العدد الكبير من الحقوقيين الذين كانوا تلامذته فنبغ منهم كبار القضاة ورجال السياسة والإدارة والأعمال . وكلهم مجمع على أنه الأستاذ القوي المثالي في إتقان الموضوع الذي يدرسه وفي جودة إلقائه له وحسن أدائه . وقد رافق معهد الحقوق منذ نشأته حتى أقصته السلطة المنتدبة عنه عام ١٩٣٦ عقاباً له على نزعته الوطنية .

شغلت السياسة حياة فارسنا من شبابه إلى كهولته وشيخوخته ، فدام نشاطه السياسي قرابة أربعين عاماً : انتخب للنيابة خمس مرات خلال المدة التي عرفت فيها سورية الحياة النيابية ، ولولا التضييق عليه وإغلاق السلطة المنتدبة الباب في وجه نيابته لظل فيها ما دامت هنالك نيابة . وشغل كرسي رئاسة المجلس النيابي أربع مرات . وصار وزيراً ثلاث مرات ورأس الوزارة ثلاث مرات وكان نضاله عنيفاً مع السلطات التركية أولاً ثم مع السلطات الفرنسية ثانياً . وقاسى في نضاله هذا أشد أنواع العسف والاضطهاد وهددت حياته بالخطر . نفاه الأتراك من سورية إبان الحرب ثم نفاه الفرنسيون مع إخوانه في الجهاد إلى سجن أرواد وبعثوا به إلى الجيزرة ثم إلى لبنان وفرضوا عليه الاقامة الاجبارية فلم يثن ذلك من عزمه ولا من جهاده .

ARCHIVE

كان عضواً مبرزاً في أهم الوفود السياسية التي بعثت بها سورية إلى فرنسا عام ١٩٣٦ للمفاوضة على معاهدة الاستقلال ، وإلى المؤتمر البرلماني بالقاهرة عام ١٩٣٨ وإلى مفاوضات تأسيس الجامعة العربية . ثم رأس الوفود السورية التي ذهبت إلى الأمم المتحدة وإلى مجلس الأمن بين عام ١٩٤٥ وعام ١٩٥٢ .

كان له الدور الفعال المثمر في النضال المرير الذي خاضته بلادنا في عهد الانتداب الفرنسي ، كما وفي نضال الدول العربية الأخرى . وكان لأخلاقه الشخصية من هدوء واتزان ورصانة وفطنة ولمواهبه من ذكاء وبديهة وتوقد ذهن ، ومن علمه وأدبه وحفظه الكثير وذاكرته العجيبة أثرها البالغ في نجاحه في مجال السياسة . كان ينتخب للنيابة بالتزكية ويكلف رئاسة الوزارة عندما تشتد الأزمات ، فلا يجد السياسيون سواه كهفاً وملاذاً ، فلا يكاد يتسلم الزمام حتى تنفرج بشخصه الأزمة وتزول المشكلات .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لمعت شخصيته لمانها الباهر لما ظهر في المحافل الدولية فبز كثيراً من أقرانه الذين جاءوا من مختلف الأمم ، وكان إذ ذاك بين السبعين والسابعة والسبعين من عمره ، أي في السن التي يضؤل فيها عادة نشاط الإنسان وتتهالك قواه العقلية وتضعف ذاكرته ويفقد حيويته (١) . أما هو ، فانه ما كادت تفتح له أبواب الأمم المتحدة ولجانها حتى وجد نفسه في الجو الذي خلق له حقاً ، ليقوم بالمهمة التي هدفت حياته كلها إليها . فما كان منه إلا أن شمر عن ساعد الجد وأعمل الدرس والمطالعة والتفكير وسهر الليالي في إعداد كلماته وخطبه ودفاعه وهجومه . فأبلى أحسن بلاء وظهر للملأ تفوقه وعبقريته واعتز العرب به أيما اعتزاز .

(١) وكيف يضعف فارسنا في السبعين وهو القائل عن نفسه :

يشد إلى السبعين وهو مزيرها

كانت أول خطبة ألقاها في المحافل الدولية تلك التي خطبها في الثاني من أيار ١٩٤٥ في مؤتمر سان فرنسيسكو بحضور ممثلي ٥١ دولة . تكلم في آخرها عن خطورة المهمة الموكلة إلى المؤتمر ثم أبدى تفاؤله في إمكان تحقيق الفكرة السامية التي تهدف إليها المنظمة العالمية بالاعتماد على العقل الذي يخلق النظام ويعدل الطمع ، وبمعالجة القضايا والمشاكل بروح العقل ، ولولا ذلك لبقيت شوكة في جانب الجسم الدولي .

ثم اقترح أن تقوم محكمة العدل الدولية بمهمة حل المشكلات الناجمة والتي ستنجم ، وأن تعمل بالتعاون مع المنظمة العالمية وهيئاتها . وأعلن في نهاية خطبته نبأ تشكيل جامعة الدول العربية التي اتفقت ولادتها مع ولادة هذه المنظمة العالمية ، والتي ستساعد في إقرار العدل والسلم . وختم خطبته ببعض حكم عربية حول الحق والعدل ، واستشهد بقول أبي بكر رضي الله عنه فرجى أن تعتبر المنظمة القوي ضعيفاً حتى يؤخذ منه الحق والضعيف قوياً حتى يرد حقه إليه .

كان لخطابه هذا أحسن الأثر في نفوس السامعين من مختلف الدول ، وبرهن على ذلك ما انهال عليه من المديح والثناء من قبل رؤساء الوفود . وذاع صيته في المحافل السياسية . ودعته جامعة جنوب كاليفورنيا بعد انتهاء المؤتمر لمنحته دكتوراه الشرف في الشؤون الخارجية في ٢٩ حزيران ١٩٤٥ وذلك « بالاستناد إلى توصية لجنة مشتركة من أمناء الجامعة وأساتذتها اعترافاً بأعماله الممتازة في حقل العلاقات الدولية » .

وزاه يقوم في مجلس الأمن في يومي الخامس عشر والسادس عشر من شباط ١٩٤٦ مرات عديدة ليدافع دفاعاً مطولاً عن حرية بلاده ويطالب بانسحاب الجيشين الانكليزي والفرنسي من سورية ولبنان . يستمد دفاعه

من عدالة القضية ومن علمه الغزير بالحقوق ومن ذكائه ولباقته وبديهته ، ولا يحجم عن إيراد الشواهد والأمثلة التي تصور وضع بلاده في أذهان الحاضرين بصور بسيطة بليغة . حتى فاز هو وزميله اللبناني باكساب القضية عطف مندوبي الدول ، واستجابت فرنسا وانكلترة إلى الرغبة العامة في الجلاء .

في أواخر عام ١٩٤٦ انتخبت سورية عضواً في مجلس الأمن . فكلفت الحكومة فارسنا بأن يمثلها في هذا المجلس . وكان إذ ذاك في الرابعة والسبعين من عمره ، فظل يقوم بأعباء هذه المهمة الخطيرة طوال عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ ورأس مجلس الأمن مرتين أولاهما في آب ١٩٤٧ وثانيتها في حزيران ١٩٤٨ . كانت تلك الفترة من الزمن من الفترات الحاسمة في تاريخ الشرق العربي ، إذ عرضت على المجلس ، في جملة قضايا الأمن الدولي ومشكلات الدول ومنازعاتها ، قضية جلاء الانكليز عن مصر وقضية تقسيم فلسطين . هذا بالإضافة إلى انعقاد جلسات منظمة الأمم المتحدة ولجانها . وكان فارسنا يتكلم فيها جميعاً . فدافع عن قضية مصر وجلاء الجيوش الأجنبية عنها في صيف عام ١٩٤٧ حتى في أثناء رئاسته لمجلس الأمن . ولم يقتصر دفاعه على البلاد العربية وحدها بل تناول جميع القضايا التي لها علاقة بالسلم . وشمل دفاعه جميع الشعوب التي كانت على حق في مطالبها .

استمر النقاش في مجلس الأمن حول قضية مصر أياماً طوالاً تضافرت فيها جهود فارسنا مع جهود مندوب مصر . وألقى في ٢٦ آب ١٩٤٧ خطاباً باسم الوفد السوري ، لابصفته رئيساً لمجلس الأمن ، ناقش فيه حجج الخصم الانكليزي وفند مزاعمه تفنيداً قانونياً . وانتهت رئاسته للمجلس بانتهاء آب ولكن الجدل في قضية مصر ظل قائماً يشغل جلسات عديدة

استمرت حتى العاشر من أيلول فتكلم فارسنا مرة ثانية في هذا اليوم مفنداً ماجاء به المندوب الانكليزي من حجج جديدة . ولكن النقاش في المسألة المصرية أجل بدون أن يبت فيه .

أعقب دفاع فارس الخوري آثاراً بليغة في مصر وسورية . وأوردت الصحف ووكالات الأنباء عنه كثيراً من التفاصيل ، وكلها ثناء وشكر واعتراف بالجميل . مثال ذلك ماقالته جريدة الزمان المصرية :

« لن ينسى المصريون أبداً ذلك الصوت الرصين العميق الذي امتزج ذكره إلى الأبد بتاريخ جهادنا في سبيل السيادة والاستقلال . كان صوت كادوجان المندوب البريطاني الجاف يرتفع في مجلس الأمن الدولي وتتبعه أصوات أخرى توجه ضرباتها مباشرة أو مداورة إلى حقوق مصر المقدسة ، ويشعر المصريون وهم يسمعون تلك الأصوات النكراء بانقباض في الصدر يدوم لحظات طويلة أو قصيرة ، ثم يختلج الأمل في الصدر ويحل محل الانقباض عندما يدوي في ذلك المكان الصوت الذي نقشت نبراته على صفحات الأذهان : وهو صوت فارس الخوري مندوب سورية ورئيس مجلس الأمن الدولي في ليك سكسيس في هذه الدورة التاريخية . فكان يلقي في ذلك الجو الرهيب بضع كلمات نبرة واضحة تعبر عن آراء واضحة نبرة مثلها ، فيهدم حجة الخصم من الأساس . ولكن القضاة في ذلك المجلس كانت تنقصهم النزاهة . ولذلك لم يكتب الفوز للمحامي فارس الخوري في مرافعته المتينة الرائعة . »

وتعاقبت الأحداث سراعاً فظهرت على بساط البحث قضية فلسطين ، تلك المأساة التي يندى لها جبين التاريخ ، ليمثل منها فصل محزن جديد هو من أشد فصولها أسى ألا وهو التقسيم . شهد فارس الخوري المؤتمر الذي عقد في لندن في مطلع عام ١٩٤٧ لدراسة هذه القضية وألقى هنالك رد الوفود

على بيان وزير الخارجية الانكليزي وحذر من التقسيم وعواقبه ، ثم عاد إلى نيويورك ليمضي قدماً في تمثيل بلاده في الأمم المتحدة وفي مجلس الأمن فعرضت قضية فلسطين على الجمعية العامة لهيئة الأمم وطال بحثها في اللجنة السياسية وما تفرع عنها ، ثم في الجمعية العامة من أيار إلى تشرين الثاني من عام ١٩٤٧ ، حتى انتهى بقرار التقسيم المشؤوم ، بالرغم من جميع الجهود التي بذلها مندوبو الدول العربية ومن بينهم فارسنا خاصة . إذ ألقى عدة خطب من أبلغ خطبه مملوءة بالحجج والبراهين الساطعة التي كانت تكفي لإحقاق الحق لو كانت الدول الكبرى تريد إحقاق الحق . وبعد نجاح التصويت على قرار التقسيم ، أبان فارسنا أن ثلثي سكان العالم أبوا الموافقة عليه إما برفضه صراحة أو بالاستنكاف عنه ، وأن الذين وافقوا عليه لا يمثلون إلا الثلث فقط من سكان العالم ، وينتمي معظمهم إلى دول نائية ليس لها صلة بفلسطين أو بالشرق الأدنى ولا بشؤون القارة الأسيوية .

لم يثن الفشل من عزيمته ولم يدخل اليأس إلى قلبه : بل ظل يناضل ويكافح فجهد في منع تنفيذ قرار التقسيم أو في عرقلته . ولكن إرادات تفوقه قوة أضعاف أضعاف ، أبت أن تستمع للحجج والأدلة بل كانت تريد أن تخلق دولة اسرائيل مهما كلف الأمر .

سادتي : لفقيدنا الخالد مزايا جمة نمت كلها وازدهرت ولم يطمط بعضها حق بعض . فكأنما هو من نفسه ومن عقله في نفوس ومن عقول ومن فهمه في أفهام . تتسع ذاكرته للأمور المتباينة وللثقافات المتضاربة ولا يعسر على إدراكه شيء . ومن المدهش أن تكون شخصيته وثقافته عصاميتين . فهو لم ينل في الجامعة الأمريكية سوى شهادة البكالوريوس في الثقافة العامة . ولكنه درس الحقوق بلا أستاذ ولا مدرسة ، فنبغ فيها حتى غدا في

معهد الحقوق أستاذاً ممتازاً له مؤلفات قيمة وطلاب كثيرون معجبون به أيما إعجاب . درس العلوم المالية وأصول المحاكمات وصار نقيب المحامين وأصبح مرجعاً من مراجع القانون والتشريع . ولم تقتصر معرفته بالقوانين على نطاق بلاده بل تعدتها إلى الصعيد الدولي . فبرهن في الميادين الدولية على معرفته الواسعة المتينة إذ ابتلتها الأيام وامتحنتها الظروف القاسية التي مرت بها البلاد العربية ، فكانت قوية صامدة راسخة الأسس . تمكن من أن يقارع هنالك ألد الخصوم وأقواهم وهم من زهرة رجال الدول الكبيرة في السياسة والقانون . إن انتخابه عام ١٩٤٧ لرئاسة اللجنة القانونية ، وهي إحدى اللجان الست في الأمم المتحدة ، دليل ساطع على التقدير الذي كان له في نفوس كبار رجالات الأمم ، ونظير ذلك انتخابه عضواً في لجنة القانون الدولي ، وقد غدا في محيط الأمم المتحدة شخصية خيالية ولقب ببطل العالم الثالث .

لخص الأستاذ محمد علي الطاهر شخصيته ، وكان بعيد المعرفة به فقال :

« مناقش مداور مناور مجادل من طراز عال رفيع ، لا يقاطعك إن حدثته ولا يصادمك ولا يصول عليك في جوابه ، لأنه لقوته وتواضعه وسمو أدبه وثقته بنفسه يعتمد في مجادلتك على الحجة والنص والشاهد بدون أن يحاول إفهامك أنه أقوى منك أو أعلم أو أحكم أو أوسع إحاطـــة . ذلك أنه قد دفع ثمن ما وصل إليه من مقام جليل غالياً ونفيساً : دفعه سهراً ودرساً ومتاعب مدة سبعين عاماً من الأعوام التي عاشها وطواها بعزيمة ... وكم نام لداته وأنداده وهو ساهر لاينام . »

هذا هو فارس الخوري ، الذي فقد به المجمع عضواً ممتازاً ، وخسرت سورية والبلاد العربية ، بل خسرت بموته الإنسانية جمعاء شخصية فذة قلما يخلفها الدهر .

سادتي : أستئذنكم الآن في الانتقال إلى موضوع آخر ذي صلة هامة بأهداف المجمع ، تهتم به جميع البلاد العربية وهو من موضوعات الساعة ألا وهو موضوع المصطلحات العلمية ، وجعل اللغة العربية من جديد لغة علمية قادرة على التعبير عن جميع فروع العلم وتطبيقاته بمثل السهولة واليسر اللذين تعبر بها اللغة الانكليزية أو الفرنسية مثلاً .

تتطور المدنية في أيامنا هذه تطوراً سريعاً ، ويزداد هذا التطور سرعة في كل يوم . ذلك لأن العلم والصناعة اللذين هما عماد هذه المدنية يتقدمان بخطى حثيثة يسوقان فيها ركب الحضارة في سير منيذ ، هو في كل يوم أعجل منه بالأمس . تتسع العلوم ويبعد غورها بفضل البحث والاستكشاف اللذين تنفق عليها ألوف الملايين ، وتضخم ويكثر شمولها وتتعدد فروعها ، فينقسم الواحد منها إلى عدد من العلوم الجديدة يصبح كل منها علماً قائماً بذاته له أتباعه ومريدوه ، فيأخذ بدوره بالاتساع والتعمق ثم بالانقسام من جديد وتظهر له فروع تطبيقية . وعندما يمد الإنسان إلى الاستفادة من هــذه العلوم في حاجاته اليومية تولد ألوان جديدة من التكنولوجيا والهندسة . وليس لهذا التكاثر من حد .

نسوق على هذا أمثلة ثلاثة : لقد ولدت حاجات الحرب العالمية الثانية ، في جملة ما ولدت : **الطاقة الذرية والصواريخ والالكترونيات** . وأخذت هذه المواليد تنمو وتضخم ويعظم شمولها . إذا نحن حققنا قليلاً في أصل هــذه المواليد رأينا أن اكتشاف تفكك الذرة ، الذي هو سبب انتشار الطاقة الذرية قد وقع قبل ختام القرن الماضي بأربعة أعوام فقط ، وظلت بحوث الذرة في دور الاستكشاف حبيسة المختبرات حتى اندلعت نار الحرب الأخيرة فأريد لهذا المارد أن يخرج من قمقمه الذي هو نواة الذرة . جندوا لذلك جيوشاً من العلماء والمهندسين ورجال الصناعة وبذلوا لهم الأموال بسخاء ، فما كاد عام ١٩٤٥ ينتصف حتى كان كل شيء قد تم ، فالنظائر المشعة صارت تستعمل في الطب ، واستخدمت الطاقة الذرية للأغراض الحربية والسلمية .

وما كادت الحرب تضع أوزارها حتى عمت التطبيقات وتنوعت واتسعت . فانتشرت اليوم المحطات الكهربائية الذرية في سائر أنحاء العالم واستخدمت الطاقة الذرية في تحريك السفن والغواصات وفي تحويل ماء البحر الملح إلى ماء عذب ، واستخدمت النظائر المشعة في الطب للكشف والمعالجة وفي الزراعة لتعين على دراسة التربة والنبات وتحسين نموه وعلى إبادة الحشرات الضارة وفي الجيولوجيا والآثار لأغراض شتى ، وفي الصناعة لكثير من التطبيقات كما استخدمت القنابل الذرية والحرارية النووية للحرب والسلم ، فتستعمل الآن لحفر الكهوف والأنفاق والترع . ويطلع علينا كل يوم شيء جديد في هذا الباب .

أما الصواريخ ، فهي وإن عرفت قديماً في الصين وعند العرب وفي الغرب ، فإن إنتاجها الضخم بشكلها الحديث قد حصل في السنوات الأخيرة للحرب العالمية الثانية على يد الألمان . وسرعان ما تسلمت الدول الكبيرة المنتصرة تركة ألمانيا النازية فوضعت اليد على العلماء والمهندسين وعلى ما استطاعت أن تظفر به من مصانع وصواريخ وقطع في الأرض المفتوحة . وفي خريف ١٩٥٧ قذف الروس بأول قمر صنعي إلى الفضاء ليدور حول الأرض . وما زالت الأموال الضخمة تنفق في هذا الباب بالمليارات المديدة كل عام ، وأصبح عدد العاملين في مملكة الفضاء يقدر بمئات الألوف . حتى دار الإنسان حول القمر وأرسل رسله الآلية لتجوس أرجاء الزُّهَرة والمريخ وأصبح دوران مركبات الفضاء حول الأرض وسباحة الإنسان في الفضاء من الأمور العادية التي نسمع بها كل يوم فلا نجد فيها غرابة . واستعملت الأقمار الصنعية لدراسة الأرض والفضاء والكواكب ولدراسة الأحوال الجوية والأنواء وتسهيل سبل المواصلات اللاسلكية والملاحة البحرية والهوائية ونقل برامج التلفزة ، كما صارت تستعمل للمراقبة والتجسس .

وأما الألكترونيات فوُلدت مع الحرب العالمية الأولى وانتشرت تطبيقاتها فيما بين الحربين في مصابيح الراديو والخلية الكهربائية الضوئية وبدء تجارب التلفزة . ثم جاءت الحرب الثانية فدفعتها إلى الأمام دفعاً قوياً أظهر أجهزة الرادار والتوجيه اللاسلكي . وظهرت لها بعد الحرب تطبيقات واسعة عديدة منها الانتشار المدهش للتلفزة والترانزستور واستعمال الأمواج الهرتزية المتناهية القصر في الاتصالات اللاسلكية . وأهم تطبيق للالكترونيات هو بحق في الآلات الحاسبة الالكترونية .

ظهرت هذه الآلات في نشأتها الأولى قبيل الحرب الثانية وتحسنت في أثنائها ، ثم أخذت بعد الحرب تتطور وتتحسن حتى غدت اليوم على درجة عالية من الكمال لايفوقها إلا ما يرتقب لها في الغد من تحسين وتطوير جديدين كانت تستعمل في الأصل في المختبرات العلمية الكبيرة لتقوم بالعمليات الحسابية المعقدة الطويلة التي تحتاج إنجازها إلى جهود عدد كبير من العلماء والحاسبين وإلى زمن طويل جداً يقضونه في حسابات مضنية . صارت الحاسبات الألكترونية تنجز هذه الأعمال في دقائق . ثم أخذ نطاق استعمالها يتسع وأدخل عليها التعديل والتحسين لكي تتمكن من القيام بأعباء مهمات متنوعة وظهرت منها زمر وأصناف كل زمرة لها وظيفة وتخصص ، واستمر التحسين والتطوير إلى اليوم . وكلما تقدم علم الالكترونيات استفيد من مكتشفاته الجديدة في استيلاد جيل جديد من الآلات الحاسبة .

تستعمل هذه الآلات الآن في شتى الميادين ، وذلك حسب أنواعها . لقد أصبحت ، بالاضافة إلى قدرتها الفائقة على الحساب آلات مفكرة ذات ذاكرة واسعة جداً يرجع إليها عند كل عقبة . تلقى عليها الأسئلة العويصة فتجيب عنها بمنتهى الضبط والإحاطة .

تستعمل في تسيير المعامل الكبيرة التي طبق فيها نظام العمل الآلي ، وتستعمل في إدارة المؤسسات وتوجيهها في الطريق الصحيح من حيث العمل وحسن التصرف بالأموال ، وفي تنظيم سير القطارات على شبكات السكك الحديدية الكبرى ، وفي تنظيم السير في المدن المزدحمة . وتقوم في دور البيع الكبيرة بتدوين الحسابات وفرزها وإعداد الفواتير وبيانات الأرباح والخسائر ، وتستعمل في أعمال التصميم الهندسي المشروعات الكبيرة والصعبة وتعتمد عليها مراكز إطلاق الصواريخ وتسيير مراكب الفضاء ومحطات توليد الطاقة . وتعتمد عليها الدوائر العسكرية في إعداد خطط الدفاع والهجوم وتحريك أسراب الطائرات وإعداد عمليات السوق . ويتسع نطاق تطبيقها في كل يوم . وقد بلغ من اتساع ذاكرتها الصنعية أنها غدت قادرة على استيعاب وحفظ علم كامل كالفيزياء أو الكيمياء ، فلا يلقى عليها سؤال في أحدهما إلا أجابت عنه بدقة ، بقدر ماتتسع له المعلومات التي أودعت ذاكرتها . وأصبحت تقوم مقام مكتبة كاملة بكتبها ومجلاتها وجزازاتها . وبهذه المناسبة أذكر أنه قد ولد بفضلها علم جديد يسمى Informatique وهو في الواقع فن معالجة المعلومات والمعرفة بواسطة العقول الالكترونيـــة . كما ولد علم آخر يسمى Cybernétique ويعالج وسائط الاتصال والإفصاح والسيطرة والتحكم لدى الانسان وفي الآلات ، كما يبحث في أوجه الشبه بين العقل البشري والعقل الالكتروني .

من أمثلة الاستعمالات القريبة للدماغ الالكتروني ، ما يراه الأطباء من الفائدة في إقامة مركز الكتروني تودع لديه الاستمارات الصحية والطبيـــة لجميع المواطنين في القطر ، ويكون لكل مواطن رقم خاص به ، فاذا قصد هذا المواطن طبيباً لمرض ألم به ، يتصل معاون الطبيب فوراً بهذا المركز بواسطة جهاز اتصال خاص كالهاتف ، فيحصل في مدة دقيقة على

صورة كاملة للاستشارة الصحية لهذا المريض ، فيقدمها المريض إلى الطبيب عندما يستقبله .

تجري تجارب كثيرة للاستعانة بالعقول الالكترونية في التعليم . ونذكر أن بعض أنواع هذه الآلات قد صنع لترجمة النصوص من لغة إلى أخرى ، ويشترط أن يكون النص الذي يترجم قد كتب بأسلوب لا تعقيد فيه ، واختيرت كلماته ومصطلحاته بدون أن يكون لها تعداد في المعاني .

يقدر الآن أن العقول الألكترونيـة ستحل في المستقبل القريب محل العديد من الجماعات المفكرة . وتتبارى الشركات التي تصنعهـا ، وهي من كبار الشركات في العالم ، في تحسينها . واستنباط أصناف جديدة منها تكون فتحاً جديداً في علم التطبيق . مثال ذلك أن شركة I. B. M. قد وظفت مؤخراً مبلغ خمسة مليارات دولار لإنتاج صنف جديد من الآلات الحاسبة تعد صنعه الآن ليكون النموذج التقدمي لهذه الآلات في المستقبل القريب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اقتصرت أيها السادة على التنويه بهذه الأصناف الثلاثة من المكتشفات الحديثة لأعطي فكرة تقريبية عن مدى التقدم العلمي والصنـــاعي . وإن وسائل الإعلام تنبئنا كل يوم عن مكتشفات ومخترعات جديدة .

سادتي : إن لغتنـــا العربية التي حوت أوسع كنوز الأدب واتسعت للفلسفة والعلوم فقامت بأدائها خير قيام أصبحت بحق لغة المدنية والحضارة خلال قرون طويلة . ثم اعتراها ركود ، واتفق لسوء الحظ أن وقع هذا الركود في إبان النهضة الأوربية وما تبعهـا من رقي إلى الآن . فبعثت الآداب والفنون ونشأت العلوم الحديثة وارتقت الصناعة وازدهرت المدنية . ونشأت اللغات الأوربية الحية فسايرت هذا الرقي واستطاعت أن تضع الكلمات والمصطلحات لجميع ما أبدعه الرقي من محدثات جديدة . فبلغ عدد المصطلحات العلمية عشرات الألوف . وهنالك معجمات مستقلة لكل علم أو فن بمفرده .

لا تستقيم لأمة حضارة ولا قوة إلا إذا كانت لغتها على المستوى الرفيع الذي يمكنها من البحث والتدريس والتعبير والتأليف في جميع مقومات هذه الحضارة .

ونحن نشعر جميعاً باستحكام أزمة المصطلحات العلمية وتزايد خطورتها كل يوم . وأن أخطر ما فيها هو هذه الفوضى النازلة بها . فلكل قطر عربي مصطلحاته الخاصة ، وتتبع في القطر الواحد مصطلحات تختلف من مؤسسة إلى مؤسسة ومن جامعة إلى جامعة ، بل من كلية إلى كلية وأستاذ إلى استاذ . وقد بذلت جهود حميدة تقصد إدخال شيء من النظام على هذه الفوضى القائمة . فقامت المجامع اللغوية بقسط من هذا العمل وظهرت بعض المعجمات في مصطلحات الطب والعلوم الحيوية والطبيعية ، وألفت الجامعة العربية مكتب التعريب في الرباط ليقوم بجمع المصطلحات من مختلف الأقطار العربية ودفعها إلى مؤتمرات تعقد بين الفينة والفينة لتنظر فيها وتقرها ، ولا نزال نرتقب انعقاد هذه المؤتمرات لنستفيد من ثمراتها .

إن الواجب المفروض علينا في هذا النطاق جد كبير ، ولا مندوحة لنا عن النهوض ولو بقسم من أعبائه . فلنشمر عن ساعد الجد مستعينين بالله وهو ولي العون والتوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله .

وجيه السمان

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الغلطات المطبعية

الواردة في مقالة «فوات الوفيات في طبعته الجديدة»
في القسم الأول من نقد الجزء الثاني
«مجلة المجمع: المجلد ٤٣ ج ٤ ص ٧٤٩ رجب سنة ١٣٨٨»

الصفحة	السطر	الوارد	الصواب
٧٥٠	٦	الطبقة الأولى	الطبعة الأولى
٧٥٢	١	بجّاية	بجاية
٧٥٣	٢	حواشية	حواشيه
٧٦٤	٧	هو أنها	هو أنه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تصحيح بعض الأخطاء

الواردة في الجزء الأول والثاني من المجلد الرابع والأربعين

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١١٤	٧	قسيم	قيم
١١٤	٨	الفانية	الغائية
١١٤	١٣	أي الفكر	الى الفكر
١١٦	٤	ضبطت	خبطت
١١٩	١٩	النائية	الغائية
١٢٠	١٠	المتعلم	المتكلم
١٢٠	١١	فالمتعلم	فالمتكلم
١٢٠	١٥	التفهم	التفهيم

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٢٠	١٦	وصرفت	وصدقت
١٢١	٢٣	قلما يدل	فكما يدل
١٢٤	٢٣	المتدل	المقول
١٢٧	٨	وبهذا	ولهذا
١٢٨	٥	في الأصل مبنية	لأن العادة في الأصل مبنية
١٢٨	١٢	بالجمال	للجمال
١٣١	١٨	ليقاس	يقاس
١٣٣	٣	للفظ	اللفظ
١٣٣	٨	النرض	المرض
١٣٣	٩	الجم بينها	الجمع بينها
١٣٤	١	جاؤا	جاؤوا
١٣٤	٩	أدّى توجيه	أدّى إلى توجيه
١٣٥	١٣	التقديس	النقد ليس

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

الدكتور جميل صليبا

غلط وصوابه

ورد في الصفحة ٢٤٥ من الجزء الأول والثاني من المجلد الرابع والأربعين

وجدتُ في ما ذكر الأُستاذ الكبير السيّد عدنان الخطيب من ترجمة المرحوم عيسى اسكندر المعلوف ، وذلك في العدد الأخير من مجلة المجمع قطعة من قصيدة لي في رثاء المعلوف . وقد جاء في القطعة من غلط الطّبع .

ظفر العـــلم بعلوفيّةٍ من براعٍ (كالرياض) وضّاءْ

وصوابه : من يراعٍ كالرياحين .

وجاء في القطعة أيضاً :

يا (أبي) التاريخ بلّغت ذرىً لم تتحْ عليآؤها للنظرآءْ

وصوابه : يا أبا التاريخ .

وجاء أيضاً :

أم تولّته (يد) طاغية سخّر العلم لشرٍ وشقآء

وصوابه : أم تولّته يدا طاغيةٍ .

ثمّ انّي وجدت الألف الممدودة ، في كلّ مواضعها من القطعة ، لم يجعل عليها مرتّب الحروف المدّة . في حين أنّ المدّة تُرسم على الألف الممدودة لأنّها تُمدّ بالتلفظ أيضاً . بمعنى أن ألف « السمآء » تكون أطول من ألف « السّماع » ، مثلاً . وقد اختلفوا في تقديرها بين ألفين إلى ستّ ألفات (انظر [البيان] للإمام اليازجي ، و [الإتقان] للإمام السّيوطي) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذلك ، وإن قيل في الردّ على ما هنا ، إن علامة المدّ من فوق الألف في مثل كلمة السّماء ، تحذف في الرّسم ، لأنّ المدّ على الألف تعويض عن همزة مفتوحة قد حُذفت ، وأصل كتابتها هكذا « أا » ، مثل مآرب ، فلا يجوز وضعها على مثل « الرّجاء » و « السّماء » ، لأنّها لا تلفظان « الرّجأا » و « السّمأا » .

ولقد أخذ الإمام اليازجي في هذه الكتابة بالرّأي الأوّل ، وجرى عليه في « الجنان » و « الطبيب » و « البيان » و « الضيآء » ، وفي كلّ كتاب وضعه ، أو وقف على طبعه . وأنا من الّذين يحبّون أن يأخذوا إخذه في كلّ نكتة لغويّة . (بيروت) أمين نخلة

***